



نظرات في السنة

تأليف

دكتور

محمد عبد المنعم القبيسي

الطبعة الأولى

١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م

حقوق الطبع محفوظة

الناشر

مكتبة الكليات الأزهرية

حسين محمد امين وشركاه

٩ شارع الصنارقية ميدان الأزهر

٧٣٤ - ٩١٤٠٨ - ٩٣١٢٩٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن دعا
بدعوته ، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين .

وبعد :-

فهذه قطوف من الثمر الجنى الطيب - اقتطفتها من رياض السنة ، ورأيت
أن أتقدم بالقارئ إليها ، برهانا على الحاجة للسنة التي تناولى عليها من
لا علم عنده ، فشكك فيها بكلمة حق يراد بها باطل ، يكفيننا كتاب الله ،
ونسى أن السنة هي المذكرة التفسيرية الصحيحة ، والمينة لبعض الأحكام
التي قد لا يتعرض لها القرآن إلا من الناحية الإجمالية وقد قال سبحانه :
(وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا) .

وسيكون هذا البحث مبوبا لموضوعات متعددة . وقد أذكر حديثاً في
موضوع ، مع أنه قد يتناول غيره في فقرة منه ، إلا أنى أذكره في ذلك
الموضوع ، نظرا لأغلب فقرات الحديث .

ولعل هذا هو السر في اختلاف منهج المحدثين ، فيذكره البخارى في
كتاب ، ويذكره مسلم في كتاب آخر .
وسوف أعتمد على مصادر الحديث .

والله الموفق

الموضوع الأول

ﷺ النبي ﷺ

نحن لا نكتب في هذا الموضوع عن ميلاده أو حياته ، فقد أكثر السكاتبون في هذا الموضوع ، ولا حاجة لإعادته - وإنما نكتب عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ونتعرف عليه من زاوية أخرى زاوية الحديث :

١ - فهو الإنسان الحريص على هداية الناس ، يحذرهم ما يعلمه من أخطار تعييط بهم ، ويبيدهم عنها ما استطاع (مثلى ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً ، فجعل الجنادب والجراد يقعن فيها ، وهو يذهب عنهما ، وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدي) خ > ٢ (بدء الخلق) ص ٤٣ .

٢ - وهو المربي الفاضل الذي يرشد تلاميذه إلى كل فضيلة ، ويعلم كل فرد أن يقف في مخططة لا يتجاوزها ، حرصاً على النظام العام ، فإذا انتهك فعلية أن يتقدم ليشترك في تدعيم بنيانه . غير خائف ولا هياب (بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، وعلى أثرة علينا ، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله ، إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله تعالى فيه برهان ، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا - لا نخاف في الله لومة لائم) خ > ٢ الفتن ص ١٤٥ .

٣ - وهو الرحيم في غضبه ، لم تنسه ثورته مصلحة الفرد المعتدى على مصلحة الجماعة ، فيوفق بينهما بالحكمة (أتى رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وريج الخمر تنبعث من فيه - فقال النبي اضربوه قال أبو هريرة : فلما انصرف قال

بعض القوم : أخزأك الله . قال النبي : لا تقولوا هكذا ، لا تعينوا عليه
الشيطان (خ > ٢ (الحدود) ص ١٥٠ .

٤ - وهو المصلح المنصف ، يحارب الترفيف في صورته الخليعة ، ويصل
كل محتاج (أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع ، ونهانا عن سبع .
أمرنا بعبادة المريض ، واتباع الجنائز ، وإفشاء السلام ، وتشميت العاطس ،
وإررار المقسم ، ونصرة المظلوم ، وإجابة الداعي ، ونهانا عن تحتم بالذهب ،
وعن شرب بالفضة ، وعن المياثر الحمر والقسى ، وعن لبس الحرير والإستبرق
والديباج) خ > ١ (الجنائز) ص ٨٦ .

د - وهو الكريم يجود بما عنده ، فإذا لم يستطع أن يعطيه رافقه
ودعا الناس لمساعدته ، وإذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه فقال : اشفعا
تؤجروا ، ويقضى الله على لسان نبيه ما أحب (خ > ١ (الزكاة) ص ٩٨ .

٦ - وهو الطالب من ربه في خشوع وذلة ، والمستجاب له بما هو
فوق مطلوبه (قرأ قول إبراهيم ومن عصاني فإنك غفور رحيم . وقول عيسى
إن تعذبهم فإنهم عبادك ، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم . فقال :
اللهم أمي ثلاثا وبكى . فأنزل الله جبريل يقول له : إن الله سيعطيك في أمتك
ولا نسوؤك) أحمد .

٧ - وهو المدعو لضيافة ربه ، أراه من عجائب مخلوقاته ما لم يسمح به
لسواه ، فبلغه للناس ليبتهغوا ما عند الله من خير ، ويحذروا ما لديه من عقاب
(قمت على باب الجنة ، فسكان عامة من دخلها المساكين وأصحاب الجد
محبوسون ، غير أن أصحاب النار قد أمر بهم فأدخلوا النار) خ > ٢ (النكاح)
ص ١٢٢ ١٢٣ .

٨ - وهو واسع الصدر ، لين الجانب ، يستجيب لسكل رغبة مشروعة

(يسروا ولا نعسرو ، وبشروا ولا تنفروا) خ > ١ ص ١٥ ، ٢٢ (كتاب العلم) .

٩ -- وهو المرن في حذر (ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بين أمرين نط الا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا . فان كان إثمًا كان أبعد الناس منه ، وما انتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينقم لله تعالى) خ > ٢ (اسلام أبي ذر) ص ٥٢ .

١٠ وهو القدوة الحسنة ، لا يخفى على الناس شيئًا ينتفعون به . (قال لفاطمة : إنى لأرى الأجل إلا قد اقترب ، فاتق الله وأصبرى ، فإنه نعم السلف أما لك) .

١١ - وهو صاحب الخلق العظيم ، والحس المرهف ، يعلم أهله في رفق (ما عاب رسول الله طعاما قط -- إن اشتهاه أكله ، وإن كرهه تركه) خ > ٢ (اسلام أبي ذر) ص ٥٢ .

١٢ - وهو الذى يراعى الظروف ، ولا يتقيد بالعادات التى لا لمصلحة فيها (شرب النبى قائمًا)^(١) (ودخل يوم الفتح بعامة سوداء) .

١٣ - وهو الحبيب لأمته . تمام أعينهم على ذكراه ، وتصحوا بصائرهم على رؤياه ، معصومة تعاليمه (من رأى فى المنام فسيرانى فى اليقظة ، أو كأنما يرانى فى اليقظة ، لا يشتمل الشيطان بى) خ بالمعنى > ١ ص ١٩ العلم .

١٤ - وهو الذى أجله المنصفون من أعدائه فقد أورد الترمذى وأبوداود روايات تقبيل اليد للنبى فقط ، وكذا رجله كما فعل اليهوديان .

(١) خ > ١ (الحج) ص ١١٠

١٥ -- وهو الذى لم يمنعه اختلاف العقائد أن يستخدم فى بيته أو خارجه غير المسلمين (فقد روى أنه خدم النبي - غلام يهودى) (١) .

١٦ -- وهو الذى يجب أن يستمع إلى آيات ربه ، تنلى من فم غيره ، ليزداد فيها تأملا . فى معنى الحديث (اقرأ على القرآن يا ابن مسعود . قال : أقرأ عليك وعليك نزل ؟ قال : إني أحب أن أسمع من غيرى . فقرأ ابن مسعود سورة النساء حتى بلغ قوله تعالى : فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ، وجئنا بك على هؤلاء شهيدا . فرفع رأسه إذ النبي مستغرق فى البكاء) (٢) .

١٧ -- وهو الذى جعلت الصلاة عليه قربى وزلنى إلى الله ، يجازى الله عليها بالإحسان من أداها ، ويحقق له ما تصبو إليه نفسه ، ويتمناه قلبه (إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول ؛ ثم صلوا على ، فإنه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا ، ثم سلوا الله لى الوسيلة فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو . فمن سأل لى الوسيلة حلت له الشفاعة) .

١٨ -- وهو الذى اختار أطيب الأوقات وأجدرها بالإجابة ، فأهاب بالموءمن أن يدعو لنفسه وللنبي فيها (من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاما محموداً الذى وعدته - حلت له شفاعتى يوم القيامة) (٣) .

١٩ -- وهو الذى يتعرف على الخلق بعد وفاته بمقدار صلاتهم عليه (إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فأكثروا على من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم

(١) خ ١٦ (الجنائز) ص ٩٢ (٢) خ ٢٥ (تفسير القرآن) ص ١٠٣

(٣) خ ١٦ ص ٥٦

معرضة على) أبو داود والنسائي .

٢٠ -- وهو الذى يعرف قدر نعمة الله عليه فيقوم بشكره ويقول
للمتسائلين عن حاله وقد غفر الله له يقول : (أفلا أكون عبداً شكوراً)
خ ١ (التهجد) ص ٨١ .

٢١ -- ولقد كان مشغولاً بربه فى يقظته ونومه ، لا تنصرف عنه بصيرته
(إن عيني تنام ، ولا ينام قلبى) خ ١ (التهجد) ص ٨٢

٢٢ -- ولقد قامت تعاليمه على أساس من المنطق ، وفهم لخصائص النفس
فكل ما فى الكون إما خير أو شر . والشر يجب اجتنابه ، والخير مجال لتنافس
المتنافسين (فإذا أمرتكم بشيء فأنوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء
فدعوه) .

٢٣ -- وجسده لا يبلى (كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟
قال : يقول بليت . قال النبي : إن الله حرم على الأرض أجساد الأنبياء)
أحمد .

٢٤ -- وقد أمر الله بالصلاة عليه ، ومن لم يؤدها فذلك هو المحروم
(رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على) (الترمذى .

٢٥ -- وإذا كان بعض الناس قد خرجوا على تعاليمه فليس ذلك يعيبها ، بل
يعيب الناس الذين مالوا بقدمية التعاليم إلى الوثنية والخرافات رغم التحذير
والتنبيه (لا تجعلوا قبرى عيداً ، وصلوا على فان صلاتكم تبلغنى حيث كنتم)
أحمد .

٢٦ -- وكان أعرف الناس بالرجال ، وأشدهم استمساكاً بحسن المعاشرة
يعلم ما تحدّثه الكلمة من أثر فى النفس فيقول (لا يبلغنى أحد منكم عن أحد

من أصحابي شيئا ، فإنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر) .

٢٧ - ولحديثه تأثير بالغ على القلوب والأسماع ، جعل البعض يروى تأثيره في الجماد فقال (بكى الجزع على ما كان يسمع من الذكر عندما فارقه ، واتخذ المنبر يخطب عليه) خ > ١ (الجمعة) ص ٧١ .

٢٨ -- وكم بلغت به الكياسة والفضنة إلى حد لم يجعل نفسه يوما في موضع شبهة ، فيتهم ، وإن كان هو المعصوم عند الله والناس . كان ذات ليلة معتكفا فدخلت عليه إحدى زوجاته وقام يودعها في الظلام ، فرآه رجلان من أصحابه وعرفاه ، فحولا بصرهما عنه وعن المرأة . فناداهما لأنها صافية . فتعجب الرجلان . فقال مشفقاً عليهما (إن الشيطان يجرى من ابن آدم بجرى الدم ، وإنى خشيت أن يقذف في قلبكما شرا) خ > ١ (الاعتكاف) ص ١٢٧ .

٢٩ - وشمل وده الأموات كما شمل الأحياء ، فلم ينسه طول الزمان أن يذكر للبيت حقه (صلى على قتلى أحد بعد ثمانين سنين وقال : إنى بين أيديكم فرط ، وأنا شهيد عليكم ، وإن موعدكم الحوض ، وإنى لأنظر إليه من مقامى هذا ، وإنى لست أخشى عليكم أن تشركوا ، ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها) خ > ١ (الجنائز) ص ٩١ .

٣٠ - والعطاء يزنون الأمور بميزان غير الميزان الذى يزن الناس به أعمالهم ، فيلاحظون منصبهم الرفيع ، ومقام مولايم الأسماء فنراهم يعظمون التافه من الأمور إن نسب إليهم ولو كان ترك الأذى وحسنات الأبرار سيئات المقرين (إنه ليغان على قلبى ، وإنى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة) مسلم .

٣١ - ولقد كان يشعر أن تكريم مندوبيه تكريم لشخصه ، فيثيب عليه بأحسن منه (لأنهم كانوا الأصحابنا مكرمين ، وإنى أحب أن أكافهم) .

٣٢ - وكم علم أصحابه الحياة السهلة الخالية من التكلف أو التعقيد (لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا) .

٣٣ - وأروع أمثلة العدل نستشهد بها من خلقه ونسئلهما من هديه - استدان ديننا فجاء الدائن يشتمه ، وهم بعض أصحابه بتأديب ذلك المتطاول على مقام النبوة . فقال لصاحبه (أنا وهو أولى منك بغير هذا ، تأمره بحسن التقاضى وتأمرنى بحسن الأداء) .

٣٤ - ومع مقامه المحمود وقيامه بواجبه ، لم ينبج من البلاء - بل يربط بين الدين والابتلاء على أنه ضريبة يؤديها المتدين تكفيراً عن ذنوبه حتى ياتى الله ظاهراً راضياً (أى الناس أشد بلاء ؟ قال : الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل . يتلى الناس على قدر دينهم ، فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه ، وعن ضعف دينه ضعف بلاؤه ، وإن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشى على الأرض ما عليه خطيئة) .

٣٥ - ونشر بين أصحابه الوعى الصحى والاعتناء بالأسنان (لقد أمرت بالسواك حتى خشيت أن أدرد) .

٣٦ - ورسم طريقاً واضحاً يصل منها العبد إلى غايته ، مطمئن القلب هادئ النفس إن هو اأزم بمحدود مارسم له (ليس من عمل يقرب إلى الجنة إلا أمرتكم به ، ولا عمل يقرب إلى النار إلا وقد نهيتكم عنه فلا يستبطن أحد منكم رزقه ، فإن جبريل ألقى فى روعى أن أحدا منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه فاتقوا الله أيها الناس . وأجملوا فى الطلب ، فإن استبطأ أحد منكم رزقه فلا يطلبه بمعصية الله . فإن الله لا ينال فضله بمعصيته) .

٣٧ - ولقد كان صاحب مبادئ لم يخرج عليها في شدته وريخائه ،
وهي أسس لحياته العريضة العميقة (المعرفة رأس مالى ، والعقل أصل ديني ،
والحب أساسى ، والشوق مركبي ، وذكر الله أنيسى ، والثقة كنزى ، والحزن
رفيقي ، والعلم سلاحى ، والصبر ردائى ، والرضى غنيمتى ، والفقر نفري ،
والزهد حرفتى ، واليقين قوتى ، والصدق شميمى ، والطاعة حسبى ، والجهاد
خلقى ، وقرعة عينى فى الصلاة) القاضى عياض فى الشفاء الصحيح وقفه على

٣٨ - ولقد كان صادقاً فى كل مايقول ، يضرب لأمته الأمثال بأب
وفى لأبنائه ، لا يشك فى حنانه (إنما أنا لكم مثل الوالد على ولده أعلمكم) .

٣٩ - ومن الناس من يدفعه تزمته فيمتنع عن المباح ظاناً أنه الورع .
ولعمري إنه الجهل القبيح ، والجرأة المتسترة وراء الخوف والخشية (ما بال
أقوام يتزهون عن الشيء أصنعه ، فوالله إنى لأعلمهم بالله ، وأشهدهم له
خشية) .

٤٠ - ولقد كان يراعى مشاعر الناس وعواطفهم ، ويحس بأن التهميد
لسكل تغيير أمر لا بد منه . وأن الثورة على التقاليد دفعة واحدة لها من ردود
الفعل أضرار وعواقب ينبغى للمصلح أن يتلashaها قال لعائشة (لولا قومك
حديث عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم ، فأدخلت فيه ما أخرج منه ،
وبلغت به قواعد إبراهيم) خ ١ (الحج) ص ١٠٨ .

٤١ - والمساواة أساس لصحته ، وحق المعلم على طلابه أن يتأسوا
به ، وليس هو السيادة واستغلال النفوس وتسخير الدهماء (علمت أنكم
تتكفونى ، ولكنى أكره أن أتميز عليكم . وأن الله سبحانه يكره من عبده
أن يراه متميزاً بين أصحابه) .

٤٢ - وليس بفظ ولا غليظ ، وليكنه حكيم رشيد ، يضع الدواء

في موضع الداء فيمحو أثره . جاء وإليه برجل وقالوا : أنه يجب الزنا . فقال (اللهم طهر قلبه ، واغفر ذنبه ، وحصن فرجه ، فما كان شيء أبغض إليه بعد من الزنا) مسند أحمد عن أبي أمامة وهو دعاء لمن قال اتذن لي في الزنا .

٤٣ - وجاءه آخر من المولعين بالحديث عن المعضلات وجهل الأوليات - وتلك ظاهرة خطيرة وإن بدت من الرجل ساذجة . قال له الرجل : علمني من غرائب العلم . فقال النبي (اذهب فأحكم ما هنا لك ثم تعال أعلمك من غرائب العلم) .

٤٤ - ولقد كان بليغا يراعى مقتضى الحال ، ويطابقه كلامه ليسهل على السامع فهمه (أمرنا معاشر الأنبياء أن نكلم الناس على قدر عقولهم) .

٤٥ - وكان يعلم أن ضرب الأمثال يبرز المعقول في صورة المحسوس المشاهد ، فيسهل على الناس فهمه ، ويتضح تصورهم له على حقيقته (إنى رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسى ، وميكائيل عند رجلى يقول أحدهما لصاحبه : اضرب له مثالا . فقال : اسمع سمعت أذاك ، واعقل عقل قلبك . إنما مثلك ومثل أمتك مثل ملك اتخذ داراً ثم بنى فيها بيتاً ثم جعل فيها مادبة ثم بعث رسولا يدعو الناس إلى طعامه - فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من ترك . فآلته هو الملك . والدار الإسلام ، والبيت الجنة ، وأنت يا أحمد رسول ، فمن أجابك دخل الإسلام ، ومن دخل الإسلام ، دخل الجنة ، ومن دخل الجنة أكل منها) خ > ٢ (الاعتصام بالكتاب والسنة) ص ١٦١ ، ١٦٢ قريبا منه .

٤٦ - وكان يعلم أن الأزمة الاقتصادية أشد تمزيقا لصفوف أعدائه ، فيسأل ربه أن ينزلها بهم ويقول (اللهم اشدد وطأتك على مضر ، واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف) خ > ١ (الآذان) ص ٦٥ .

٤٧ - وكان يعطف على أصحابه الذين واجهوا المشكلات معه ، فلما مات عثمان بن مظعون (قبله النبي بعد موته) .

٤٨ - ولم تكن مهمته بالأمر السهل ، فقلوب أشد من الحجارة قسوة تعاديه ، وآيات كالزلازل تهز جسمه وروحه معا ، ونذير عدل من السماء ينزل عليه (شيبتي هود وأخواتها : الحاقة ، والواقعة ، وعم ، والتسكوير ، والغاشية) .

٤٩ - ولقد كان ما يشعر به في داخل نفسه ينعكس آثاره على بدنه يراها كل راء (آيت النبي وهو يصلي ، ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء) .

٥٠ - ومن سننه الاختلاط بالناس لحل مشاكلهم ولكن لا مانع من ساعة ينفرد فيها يراجع أعماله معهم ، ويستلمهم من ربه ما يزودهم به من نصح وإرشاد (حجب إلى الخلوة والوحدة والنظر والتفكير) هداية المرشد ص ٣٧٥ .

٥١ - وله طريقة في الحياة ، بها انتصر على أعدائه ، ودعا الأمة للسير عليها ؛ فانتصرت حين أجابته ، فلما خرجت عليها افترسهم الذئاب . ولن يصلح الله هذه الأمة إلا بما صلح به أوائلها من عود إلى السنة (لازتم منصورين على أعدائكم مادتم متمسكين بسنتي ، فإن خرجتم على سنتي ساط الله عليكم من أعدائكم من يخيفكم ، فلا ينزع خوفه من قلوبكم حتى تعودوا إلى سنتي) .

٥٢ - وقد اتخذ خاتما لدوائته ؛ وكتب عليه رسالته تميزا له عما يشبهه (اتخذ النبي خاتما من فضة ؛ ونقش محمد رسول الله ، كما أني أنظر إلى بياضه في يده) خ - ١ (العلم) ص ١٥ .

٥٣ — ولقد كان يعظم العلم ويعلمه أصحابه ، ويفضل من فيه استعداد له (بينا أنا نائم ، أتيت بقدرح ابن ، فشربت حتى إنى لأرى الرى يخرج فى أظفارى ، ثم أعطيت فضلى عمر . قالوا : فما أولته ؟ قال : العلم) خ ١٠ (العلم) ص ١٦ .

٥٤ — والشفاعاة العظمى التى سيمنحها الله له ، لا ينتفع بها إلا من سلم قلبه من الشرك ، وتنزهت جوارحه من صورته (أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه) خ ١٠ (العلم) ص ١٨ .

٥٥ — وعلى الناس أن يرققوا مشاعرهم ، فيبتغوا لأنفسهم الخير حين يتسمون باسمه ، وليس لهم أن يدعوا بعضهم بعضا بما هو من خصائص رسولهم (تسموا باسمى ، ولا تكفروا بكفىتى) خ ١٠ (العلم) ص ١٩ .

٥٦ — وله خصائص لا ينبغى أن تنسب إلا إليه ، فقد زوى نبع الماء من أصابعه^(١) ، فعلى المسلمين ألا ينسبوا هذا لإله . على أنه معجزة ثانوية . وقد أمر قومه^(٢) بشرب أبوال الإبل وألبانها ، وليس لنا أن نأمر بذلك ، فهو يعلم عن ربه غير ما نعلمه نحن .

٥٧ — ولقد كان نظيفا طيب الرائحة . (وقد صح أنه شرب لبننا ومضمض وقال : إن له دسما) خ ١٠ (الوضوء) ص ٢٧ .

وصح كذلك أنه تبول قائما^(٣) . ونضح الماء بعد بول الصبى^(٤) على ثوبه ولم يغسله .

(١) خ ١٠ الوضوء ص ٢٥ (٢) خ ١٠ (الوضوء) ص ٢٧

(٣) خ ١٠ (الوضوء) ص ٢٨ (٤) خ ١٠ (الوضوء) ص ٢٨

٥٨ - وروى أن عدد المتوضئين من حجر صغير كان في يده ثمانون أو يزيد^(٥) وروى أنه داوى جراحه بغسل الدم وحشاه بحصير محروق^(٦) . فإذا جاء الطب ينهانا عن ذلك لما فيه من خطر ، فعلينا أن نمتثل . ولا مانع من أن تكون الواقعة من خصائصه صلى الله عليه وسلم .

وخصائصه قد يصرح بها وقد يشير إليها . ومن القواعد أن من ادعى الخصوصية فعليه الدليل . وكلام الأطباء يصلح أن يكون مخصصاً متى ثبتت الواقعة ، وإلا تعارض الشرع مع العلم وهذا بعيد . ومما صرح به من الخصائص (أعطيت خمسا لم يعطين أحد قبلي - نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة وبعثت لى الناس عامة) مخ ج ١ (التيمم) ص ٣٤ .

٥٩ - ومن الخصائص التى تخصه ما روى أنه لم يرد السلام على : من سلم عليه ، لأنه كان جنباً^(١) — مع أنه يقول : (المؤمن لا ينجس) مخ ج ١ الغسل ص ٦١ .

٦٠ - ومما هو مختص به قوله (ثم عرج بنى حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقدام ، ثم أدخلت الجنة فإذا فيها حبال اللؤلؤ وإذا ترابها المسك) مخ ج ١ (الصلاة) ص ٣٦ .

(١) مخ ج ١ (الرضوء) ص ٣٦ .

(٢) مخ ج ١ (الوضوء) ص ٤٩ بعد غسل الدم .

(٣) مخ ج ١ (الصلاة) ص ٤٩ .

٦١ -- وكان لا يفارق الرفق بالصغار وإن كان في عبادته (كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب ، فإذا سجد وضعها ، وإذا قام حملها) (١) .

٦٢ -- وكان يشفق على الكبار كذلك (إنى لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي ، فأتجاوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه)
خ ١ (الأذان) ض ٦٠ ، ٦١ .

٦٣ -- وهو الذي قد أراه ربه العجائب ، ليبشر وينذر (قد دنت مني الجنة حتى لو اجترأت عليها لجئتكم بقطاف من قطافها ، ودنت مني النار حتى قلت : أي رب أو أنا معهم ؟ فإذا امرأة حسبت أنه قال تخدشها هرة . قلت ما شأن هذه قالوا : حبستها حتى ماتت جوعا لا اطعمتها ، ولا أرسلتها تأكل من خشيش أو خشاش الأرض) (الأذان) ص ٦١ .

٦٤ -- ولقد كان سمحا لا يحمل الناس على ما يصبر عليه هو ، إلا أن يكلفه ربه به فيدعو الناس إليه (عن عائشة أنه دخل وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعث ، فاضطجع على الفراش وحول وجهه ، ودخل أبو بكر فانهرنى وقال . هزيمة الشيطان عند رسول الله ؟ فقال : دعهما) خ ١ (العيدين)
ض ٧٣ .

٦٥ -- وهو الذي استجاب ربه دعاه (لما رأى من الناس إديارا قال : اللهم سبعا كسيع يوسف ، فأخذتهم ستة حصت كل شيء حتى أكلوا الجلود والميتة والجيف ، وينظر أحدهم إلى السماء فيرى الدخان من الجوع . فأتاه أبو سفيان فقال : يا محمد إنك تأمر بطاعة الله وصلة الرحم ، وإن قومك قد هلكوا - فادع الله لهم . قال الله : فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين .

يغشى الناس - هذا عذاب أليم . ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون ،
أنى لهم الذكري وقد جاءهم رسول مبين ، ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون .
إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون (خ > ١) (الاستسقاء) ص ٧٦ .

٦٦ - ولقد ضرب في العفو أروع الأمثال حين انقطع عناد بن أبي
موتة ، وكان زعيما للمنافقين ، فطلب ولده المؤمن من الرسول أن يصلي عليه ،
فلما تقدم للصلاة (قال عمر . أليس الله قد نهاك أن تصلي على المنافقين ؟
قال ، أنا بين خيرتين : (استغفر أو لا . ثم صلى عليه . فنزلت ولا تصل
على أحد منهم مات أبدا ، ولا تقم على قبره) خ > ١) (الجنائز) ص ٨٧ .

٦٧ - - وكم كان يتمنى أن يهدى الله أبا طالب للإسلام ، عرفانا من النبي
لجمالة أبي طالب له ، وبدت منه كلمات تدل عما في قلبه من حب لهديته ،
لكن مشيئة الله أبت إلا ما كان من موت الرجل على ما كان عليه من شرك
(أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك . فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا
أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي ، من بعد ما تبين لهم أنهم
أصحاب الجحيم) خ > ١) (الجنائز) ص ٩٢ .

٦٨ - وكان يجب أن يرى الأعداء من نفسه القوة ومن معه ، حتى
لا يطمع فيهم (عن عمر : فالنا والرمل ، إنما كنا رأينا به المشركين وقد
أهلكهم الله ، ثم قال : شيء صنعه النبي فلا نحب أن نتركه) خ > ١) (الحج)
ص ١٠٩ .

٦٩ - وكان لا يمنع أحدا من عمل خير كان قد تعود أن يعمله في
الجاهلية ، فإن الإسلام يدعو إلى الخير . فمن كان خيرا في الجاهلية ، فليواصل
عمله في الإسلام ولا حرج (استأذن العباس أن يبني بمكة ليأبى منى من
أجل السقاية ، فأذن له) خ > ١) (الحج) ص ١١٠ .
(م ٢ نظرات في السنة)

٧٠ - وكان متواضعا (شرب من مكان أيد الناس في زمزم ، وعرض أن يعمل فيها) خ > ١ (الحج) ص ١١٠ .

٧١ - وكان فقيها يعبد الله على علم ، فكل شيء لا يقطع الصلة بالله لا يفسد على العبد عبادته (تزوج ميمونة وهو محرم) والظاهر أنه كان عقدا لا دخولا . ومن أنكر هذا زعم أنه الدخول وهو بعيد الوقوع منه وهو محرم . ومتى صح الحديث وجب حمله على العقد^(١) (٢) خ > ٣ (غزوة خيبر) ص ٨٣ .

٧٢ - وكان لا يخذعه عمل المتمسحين بالحرم ، وهم يعملون على تشويه قدسيته (دخل عام الفتح^١ وعلى رأسه المغفر ، فلما نزعها جاءه رجل . فقال : إن ابن خطل متعلق بأستار الكعبة . فقال : اقتلوه) خ > ١ (جزاء الصيد) ص ١١٨ .

٧٣ - ولقد أكمل الله به البناء ، وأودع فيه من الخصائص ما استغنى به عن إرسال جيش من المرسلين ، وضمن كتابه عموما ومرونة يسع بهما الزمان والمكان والأشخاص إلى يوم القيامة (مثل ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله ، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون . هلا وضعت هذه اللبنة ؟ فأنا تلك اللبنة ، وأنا خاتم النبيين) خ > ٢ (لإسلام أبي ذر) ص ٥١ .

٧٤ - وهو الذي أيدته ربه في غير موضع ، ورفع عنه الحجب ، فأجاب عن تحديات قریش بعلم من غير أن يكون هناك تصادم للمعقول . ومن العجب أن نفراً يزعمون أن الله نقل له بيت المقدس ينظر إليه وهو في مكة ، مع أن

(١) خ > ١ (جزاء الصيد) ص ١١٨ .

الحديث لم يتعرض لنقل البيت من موضعه (لما كذبتى قريش ، قمت في الحجر فجلا الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه) (١) .

٧٥- وكان يحب التيسر والأخذ بالرخص يروى أنه (أفطر عند السكيد وهو مسافر إلى مكة) خ ج ١ (الصوم) ص ١٢٣ .

٧٦- وإذا كان الإسلام ثورة على الجاهلية ، فليس بالثورة العمياء بل ما فيها من خير أبقى عليه، وما فيها من شر ألغاه . سأله سائل نذرت في الجاهلية اعتكاف ليل ثم أسلمت . فقال له النبي : (أوف بنذرك الاعتكاف في الجاهلية) (٢) .

٧٧- ولقد عاش حياته زاهداً في الدنيا ، يتعامل مع المسلمين وغير المسلمين ، لتتحدى به أمته (رهن درعه عند يهودى وقال : ما أمسى عند آل محمد صاع بر ولا صاع حب ، وإن عنده لتسع نسوة) خ ج ١ (البيوع) ص ١٢٩ .

٧٨- ولقد تحدثت عنه الكتب السماوية السابقة بالإجلال والتقدير ، ومهدت لرسالته ، ولفقت أنظار أهل الكتاب إليه لينتظروا مقدمه . وهذه صفة الرسول في التوراة (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وحرزاً للأمينين . أنت عبدى ورسولى . سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غيظ ولا صخاب في الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ،

(١) خ ج ١ (الاعتكاف) ص ١٢٧ .

(٢) خ ج ٢ (الإسراء) ص ٦٤ .

ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ، ويفتح بها أعينا عميا ، وأذانا صما ، وقلوبا غافيا (١) .

٧٩- وكان يعلم المسلمين ألا يتوانوا في سداد ديونهم ، فإذا جاءه ميت سأل هل عليه دين ؟ فإن لم يكن عليه دين أو كان عليه وعنده وفاء صلى عليه وإن لم يكن عنده وفاء تركهم يصلون عليه ، حتى فتح الله عليه وقال (أنا أولى بكل مؤمن من نفسه : من ترك مالا فإلهه ، ومن ترك ديننا أو ضيعة فإلى وعلى) .

٨٠- وإذا كانت الدبلو ماسية الحديثة يستدل بها على مدى تقدم الإنسان وتحضره ، فإن النبي أقر ما فيها من محاسن ، وتجنب ما فيها من عيوب (لاتخبروني على موسى فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأصعق معهم ، فأكون أول من يفيق ، فإذا موسى باطش بجانب العرش ، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي ، أم كان بمن استثنى الله) خ > ١ (الخصومات) ص ١٤٧

٨١- وهو بشر يجوز أن ينسى بعد التبليغ ، ويستحيل أن ينسى قبل التبليغ وإنكار الأول مكابرة ، وإنكار الثاني كفر - إذ فيه ضياع الرسالة إن جاز النسيان قبل التبليغ . وعلى هذا نحمل الحديث (سمع رجلا يقرأ في المسجد فقال : رحمه الله ، لقد أذكرني كذا وكذا - آيات أسقطهن من سورة كذا وكذا) خ > ٢ (الشهادات) ص ١

٨٢- وكان يكره الشرك والمشركين ، ويكافئ على المعروف (أوصى عند موته بثلاث : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزه ، ونسى الراوى الثالثة) خ > ٢ (الحور) ص ٢ ، ٢٦

٨٣- وكان ذا مروءة ، يقدم المرأة على نفسه ، ويدعو لمساعدتها (عثرت

ناقة النبي ووقع ، ووقعت صفيه فقال : عليك المرأة . فألقى أبو طلحة ثوبا على وجهه وأتاها ، فألقاه عليها وأصلح لهما مركبهما (خ > ٢ (الحور) ص ٢٧

٨٤ - وإذا وسع الله عليه فلا مانع عنده من أن يستمتع بما هو مباح له . ويروى : (انكسر قدحه ، فاتخذ مكان الشعب سلسلة من فضة) خ > ٢ (الحور) ص ٢٧

٨٥ - ولقد أيد من سبقه من المرسلين وآمن بهم ، وأعلن أخوتهم له ، وتلاقى شرائعهم معه (أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة ، والأنبياء أخوة لعلات : أمهاتهم شتى ودينهم واحد) خ > ٢ (بدء الخلق) ص ٤٥

٨٦ - ولقد كانت له أسماء يعبر بها عن صفاته وشماله ، فصح عنه (لى خمسة أسماء : أنا محمد ، وأحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب) خ > ٢ (اسلام أبي ذر) ص ٥٠

٨٧ - وكانت قريش تطعن فيه شأن كل عدو يطعن عدوه ، وكان لا يرد عليهم ويدافع الله عنه (ألا تعجبون كيف يصرف الله عنى شتم قريش ولعنهم يشتمون مذمما ويلعنون مذمما ، وأنا محمد) خ > ٢ (اسلام أبي ذر) ص ٥١

٨٨ - وكان بعض أبناء بنته يشبهه في جسمه (قال أبو بكر للحسن : بأبي شبيه بالنبي لا شبيه بعلي) خ > ٢ (اسلام أبي ذر) ص ٥١

٨٩ - وكان زمان بعثته من خير الأزمان التي مر بها الإنسان . (بعثت من خير قرون بني آدم قرنا ، حتى كنت من القرن الذي كنت فيه) خ > ٢ (اسلام أبي ذر) ص ٥٢

٩٠ - وأحمد مهد الله لنبوته بالرؤيا الصالحة في النوم . فيروى (جاء ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام ، فقال أولهم : أيهم هو؟ وقال أوسطهم : هو خيرهم . وقال آخرهم خذوا خيرهم . فكانت تلك . فلم يره حتى جاءوا ليلة أخرى فيما يرى قلبه والنبي نائمة عيناه ولا يتنام قلبه ، وكذلك الأنبياء . فتولاه جبريل ثم عرج به إلى السماء) (١) .

٩١ - ولقد عاش واثقا بربه ، مطمئنا لوعده ، متحدثا بفضل الله عليه (لأنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ، ثم يمينا أو ينجير) خ ٢٣ (مرض النبي ووفاته) ص ٩٧

٩٢ - وكانت تنتابه الأمراض غير المنفردة، ويعالج نفسه منها . ويروى (إذا اشتكى نك على نفسه بالمعوذتين، ومسح جسمه بيده) خ ٢٣ (مرض النبي ووفاته) ص ٩٧

٩٣ - ولا نشك في أن الله أيده بالمعجزات ، وأولها وأبقاها القرآن الكريم . ولا ننكر أن له معجزات أخرى ، وإن توقف البعض فيها فلا أنهم يشكون في ثبوتها لا في إمكانها . ومن ذلك ما روى أنه (انشق القمر في عهد النبي شقتين ، فقال : اشهدوا) (٢) .

٩٤ - وكذلك ما تنبأ به من أحداث فردية غيبية ، يتوقف البعض فيها . ويرى أنه كان على أحد فاضرب الجبل . فقال (اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان) (٣) يعني أبا بكر وعمر وعثمان . ورأينا في مثل هذه

(١) خ ٢٣ (إسلام أبي ذر) ص ٥٢

(٢) خ ٢٣ (إسلام أبي سفيان) ص ٥٥

(٣) خ ٢٣ (فضائل الصحابة) ص ٥٧

الأخبار أن نستبعد تدخل العقل ليحكم عليها . فهي منسوبة لنبي قد لا يدرك العقل ما يؤيده الله به . وعلى المتوقفين فيها أن يكون سندهم تقليدا . فإن صح ما يستندون إليه انكرناها ، وإن لم يستطيعوا صدقناها والله أعلم .

٩٥ - ولقد كان في المعارك يصاب بجراح ، ويصاب من يدافع عنه (عن طلحة أنه وفي النبي بيده ، فضرب فيها حتى شلت) خ ج ٢ (فضائل الصحابة ص ٥٨ : ٥٩ .

٩٦ - وكان يعجب بالمهارة الشخصية ، ومن ذلك أن أسامة بن زيد وأباه كانا نائمين فدخل قائف وقال (إن هذه الأقدام بعضها من بعض . فسر النبي وأعجبه وأخبر به عائشة) (١) . أما العمل بمقتضى الثقافة والحكم بها فسألة فقهية أنكر الحكم بها علماء الحديث ، واختلف فيها الفقهاء .

٩٧ - وكان يدعو الله لمن سأله الدعاء (سألتني جن نصيين الزاد ، فدعوت الله ألا يمر بروث ولا بعظمة إلا وجدوا عليها طعاما) خ ج ٢ (مبعث النبي) ص ٦٤ .

٩٨ - ولقد زاد إكرام الله له فطيب خاطره ، وخفف العذاب عن عمه الذي جامله ، وإن كان في الحقيقة نصره نصره لله (ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك . قال : هو في ضحضاح من نار ، ولو أنا لسكان في الدرك الأسفل من النار) (٢) .

(١) خ ج ٢ (فضائل الصحابة) ص ٥٩ .

(٢) خ ج ٣ (مبعث النبي) ص ٦٤ .

٩٩ - ولن تجد لسنة الله تبديلا أو تحويلا ، ولعل هذا يوضح لنا شق صدره قبيل المعراج لإعدادا لعالم الفضاء الذي سيصعد إليه . ولا يقال اصطغمه الله لنفسه ، فلماذا لم يعده الله من قبل ؟ والحق أن للطيار ملابس لا غنى له عنها أثناء طيرانه ، ولو استمر يرتديها لضايقته كثيرا . وفي الحديث (بينما أنا في الحطيم . وربما قال في الحجر مضطجعا إذ أتاني آت يقول فشق ما بين ثغرة نحره إلى شعرته ، فاستخرج قلبي ثم أوتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا ، فغسل قلبي ثم حشى ثم أعيد ، ثم أوتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار ، ويضع خطوه عند أقصى طرفه وذكر من هم في السموات : آدم فيحيا وعيسى ، فيوسف ، فادريس ، فهارون ، فوسى ، إبراهيم ثم رفعت إلى سدرة المنتهى ، فإذا نبقها مثل قلال حجر ، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة . قال : ثم أوتيت إياناء من خمر وإياناء من لبن وإياناء من عسل فأخذت اللبن . فقال : هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك . فلما جاوزت ناداني مناد : أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي) خ ج ٢ (الإسراء والمعراج) ص ٦٤ - ٦٦ .

١٠٠ - ولقد أرشده ربه حين تسكلم في ثورة غضبه (شج النبي يوم أحد فقال : كيف يفلح قوم شجوا نبيهم ؟ فنزلت ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون) (١) .

١٠١ - وكان أحيانا يعالج بعض أصحابه الذين أصيبوا معه (ضرب سلمة بن الأكوع في ساقه يوم خيبر ، فنفت فيها النبي ثلاثا ، فما اشتكى بعد منها) خ ج ١ (غزوة خيبر) ص ٨١ .

(١) خ ج ٢ (غزوة أحد) ص ٧٦ .

١٠٢ - وكان يحسن الظن بالناس ، ويعلم الأمة أن تقييم الأحكام على أساس الظاهر من أحوالهم ، بعيدة عن التجسس أو التخمين (لأنى لم أومر أن أنقب قلوب الناس ، ولا أشق بطونهم) (١) .

١٠٣ - والحق عنده وحدة لا تقبل التجزئة . قال له مسيلة الكذاب : الأرض بينى وبينك . فسكتب إليه (لو سألتنى قطعة الجريد ما أعطيتكها ، وإن تعدوا أمر الله فيك . وإن أدبرت ليعقرنك الله ، وإنى لأراك الذى أريت فيه ما أريت - وهذا ثابت بحبيك عنى) خ ٢٠ (وفدبنى حنيفة) ص ٩٠ .

١٠٤ - ولقد أراه الله بعضا من أحوال أمته فى حياتهم الأبدية ، ومدى تجاوز الله عنهم ، وأراه كذلك منزلته التى أعدها الله له جزاء على عمله الصالح (أنانى الليلة آتيان ، فابتعثانى فاتهبيا بى إلى مدينة مبنية بدين ذهب ولبن فضة ، فتلقانا رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راه ، وشطر كأقبح ما أنت راه . قالاهم : اذهبوا فقعوا فى ذلك النهر ، فوقعوا فيه . ثم رجعوا إلينا فذهب ذلك السوء عنهم ، فصاروا فى أحسن صورة ، قالالى : هذه جنة عدن وهذاك منزلك . قالوا : أما القوم فإنهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ، تجاوز الله عنهم) (٢) .

١٠٥ - وصرح القرآن بشيء مما سيعطيه الله له ، فلما صعد إلى السماء أطلعه الله عليه (لما عرج به إلى السماء قال : أتيت على نهر حافظاه قباب اللؤلؤ مجوفا فقلت ما هذا ؟ قال : هذا السكوثر) (٣) .

-
- (١) خ ٢٠ (غزوة الطائف) ص ٨٨ .
(٢) خ ٢٠ (تفسير القرآن) ص ١٠٥ .
(٣) خ ٢٠ (تفسير القرآن) ص ١١٥ .

١٠٦ - وكان عظيماً في سلمه وحر به ، لم تنسه حلاوة النصر أن يمنح أعداءه الحرية الشخصية ، وإن كانت امرأة تملكها بملك اليمين ، وأصبحت لاحول لها ولا قوة نتيجة الحروب التي ارتضاها أهلها ، ليعوقوا بها سير الدعوة الإسلامية (روت عائشة أن ابنة الجون لما أدخلت على النبي قالت : أعوذ بالله منك . فقال لها : لقد عدت بعظيم ، ألحقى بأهلك) خ > ٢ (الطلاق) ص ١٢٤ .

(١٠٧) وكان رحيمًا بالضعفاء يوصي بهم ، ويعد الأوصياء المحسنين بمنزلة تدنو من منزلته عند الله (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا . وأشار بالسبابة والوسطى ، وفرج بينهما شيئاً) خ > ٢ (الطلاق) ص ١٢٥ .

(١٠٨) والذين لا يحسبون للمستقبل حساباً فيصرفون ما عندهم لا يفكرون في غدهم ، وقد ابتعدوا عن تعاليمه كثيراً . فلقد كان يدخر ويروي (كان يبيع نخل بنى النضير ، ويحبس لأهله قوت سنتهم) خ > ٢ (الحور) ص ٢٠ .

(١٠٩) ونهى عن المثلة ولو كانت بالحيوان (لعن النبي من مثل بالحيوان) (٩) .

(١١٠) وكان بصيراً بالأمور نبيل الغاية ، يدخر لأتمته ما هو الأنفع لها (لسلك نبي دعوة مستجابة يدعو بها ، وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة) خ > ٢ (الدعوات) ص ١٥٧ .

(١١١) وإذا كان بالناس جذب ، كان أبعد الناس عن الاحتكار وحتى

الادخار ، فإنه في وقت الشدة لون من الاحتكار ، ويجب أن يكون الإنسان مع الناس في شدتهم ورخائهم . وهذه حاله يدخر في الرخاء ويبدل في الشدة (أنفق بلال ، ولا تخش من ذي العرش إقلالا . أما خشيت أن يكون له بخار في جهنم) (أخرجى الذهبية ، فما ظن محمد بربه وهذه عنده) .

(١١٢) وكان بشرا رسولا ، إن أنسته بشريته ذكرته نبوته (إنى بشر اللهم من دعوت عليه فاجعل دعائى عليه رحمة) (١) .

(١١٣) وفي رواية (إن لكل نبى دعوة مستجابة ، وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى ، فهى نائلة منكم إن شاء الله ، من مات لا يشرك بالله شيئا) .

(١١٤) وكان وفيا بالعهد ، يحذر من الإخلال به (من ظلم معاهداً أو انتقصه حقه ، أو كلفه فوق طاقته ، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس ، فأنا حجيجه يوم القيامة) .

(١١٥) وكان يعرف أنه ضيف فى الدنيا ، فلم يعبا بها (مالى وللدنيا إنما أنا كرجل . قال تحت شجرة ثم تحول عنها وتركها) .

(١١٦) وكان يجب أن يرى أمته طيبة القلب نظيفة البدن (مالكم تدخلون على قلوبنا . استأكروا) .

(١١٧) وكان يفعل الشيء ويتركه تشريعاً لأمته فلبس الخاتم وخلعه وكذلك الخميصة (٢) ، ومزى الستر المعلق على حجرة إحدى زوجاته (٣) . كل هذا ليبهر أمته ، وعليهم أن يتفقهوا وأن يفقهوا سنته صلى الله عليه وسلم .

(١) سنن أبي داود (الدعوات) ص ١٥٨ خاص بالمؤمنين .

(٢) سنن أبي داود (الصلاة) ص ٢٤ (٣) سنن أبي داود (الصلاة) ص ٢٤

وصدق الله إذ يقول (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، لمن كان
يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيراً) .

(الموضوع الثاني)

(الله)

(١) ليست الفكرة عن الله في السنة كالفكرة عنه في علم الكلام
أو الفلسفة ، فإنها فيهما معقدة أو مشوهة . أما في السنة فإنها واضحة لاتعقيد
فيها ولا تشويه ، لأنها حديث المتكلم عن الله بعلم ، وأساسها الصلة بينه وبين
خلقه ، وهي صلة وثيقة لا انقطاع فيها ولا فجوة . فهو السيد المالك الذي
الترم بالشيء تفضلاً قبل أن يلزم به العبد ، ويكلفه به تكليفاً عادلاً . إذ فيه
مصالحة العبد ، والالتزام به يتمشى مع فطرته . وهو السيد المنقذ بإرشاده من كل
تخبط وحيرة . وهو الصمد المحتاج إليه في كل شيء . وهو السيد الذي يعفو
عن أساء وندم ، ومد يده رافعاً زلته إليه . وهو السيد ذو السلطان والقوة ،
لا ينتفع بطاعة ولا يضار بمعصية ، ولكنه يكلف بما شاء ، لا اعتراض على
المالك فيما ملك . وهو السيد الذي لا حدود للملكة ، فلا ينقصه عطاء ولا يزيد
فيه منع . وهو السيد السائد الحاكم بين عباده ، الذي يجازيهم على أعمالهم .
(يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرماً ، فلا تظالموا .
يا عبادي كلّم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم . يا عبادي كلّم جانح
إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم . يا عبادي كلّم عار إلا من كسوت ،
فاستكسوني أكسكم . يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب
جميعاً ، فاستغفروني أغفر لكم . يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ،
ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني . يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم
كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً . يا عبادي لو أن

أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ماله شيئا . يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص الخيط إذا أدخل البحر . يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفىكم إياها . فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه (م تحرير الظلم > ١٦ .

٢ - والحب انعكاس لإحساس داخلى . وثمره لشعور وجدانى ، تبدو معاملة فى نحو التعجب والفرح . وكل إنسان مطالب بهذا الحب لربه ، تعبیر عن معرفته لنعمه . ولسوف يمنح الله عليه جزاء ، لا يحسن القلم تصويره ، ولا تدرك الخواطر كنهه (أين المتحابون بجلالى ، اليوم أظلمهم فى ظلى ، يوم لا ظل إلا ظلى) م فضل الحب فى الله > ١٦

٣ - والذين آمنوا أشد حبا لله ، يحبونه عن معرفة ، ويتشوقون لمسا عنده . فهو غاية مسعاهم ومنتهى رجائهم (المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور . يغطهم النيون والشهداء) .

٤ - وقد نتساءل هل كل من تحبه يحبك ؟ إن ذوى الحس المرهف لا يترددون فى أن يقولوا نعم . والعليم الخبير يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، فكل من اجتمع عليه أو أعطى من أجله أو مشى فى سبيله ، له حب بحب ، وعطاء بعمل (وجبت محبتي للمتحابين فى ، والمجالسين فى ، والمتزاورين فى ، والمتبازلين فى) .

٥ - ولسوف يقف كل عبد بين يدى ربه ، يسأله عن عمله من غير وسيط بينهما ، وبلغة يفهمها . وهذا قرع للنفوس الغافلة وعون للهمم العالية أن تزيد نشاطها ، لتقدم إنتاجها ، فتنقى به سوء العذاب يوم القيامة (ما منكم

من أحد إلا سيكلمه ربه ، ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم . وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه . فاتقوا النار ولو بشق تمرة) خ - ١ (الزكاة) ص ٩٦ ، ٩٧

٦ - ولله على عبده حقوق ، وللعبد عند ربه مطالب ، ثمنا أن يرهب مقامه ، ويسير في ركب الحياة ، مستحضرا عظمته (من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل . ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة) .

٧ - وللجزء ميزان عنده : -

الخير فيه أجور لا حدود لها * والشر بالمثل أو عفو وغفران .
تتسع ساحتها للوافدين من خلقه ، وتتسع رحمته للمذنبين من عباده ، إن أقبلوا عليه أسرع إليهم بفضله ، وإن أدبرت عنه جوارحهم ، وهتفت بوحدانيته قلوبهم - تشكو إليه ضعف الجوارح ، وتبته أسفها - تلقتهم مغفرتة (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد ، ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة سيئة مثلها أو أغفر . ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعاً ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً . ومن أتاني يمشي أتيته هرولة . ومن لقيني بقراب الأرض خطايا لا يشرک في شيئا ، لقيته بمثلها مغفرة) خ - ٢ (التوحيد ص ١١٢ ، ١٦٣

٨ - ورحمته وسعت كل شيء ، والتوبة عنده لا تحدها كلمات . والذنب إن تكرر من غير إصرار عليه قد يدخل في دائرة عفوه .

والمهم عنده إحساس العبد بذنبه ، واستعظامه له ، وخشيته من عصاه - فيوقن أنه في قبضة غافر الذنب ، وقابل التوب . شديد العقاب ، ذى الطول ، لا إله إلا هو ، إليه المصير . وليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة ، أو يصيبهم عذاب أليم . فلا يغيريهم حمله (أذنب ذنبا عبد فقال : اللهم

اغفر لي ذنبي . فقال الله تبارك وتعالى : أذنب عبدى ذنبا ، فعلم أن له ربا يغفر الذنب ، ويأخذ بالذنب . ثم عاد وأذنب فقال : أى رب - اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى مثل ما قال ثلاثا . ثم قال : قد غفرت لعبدى وليفعل ما يشاء (خ ح ٢ (التوحيد) ص ١٦٣ .

٩ - ومن ستر الله عليهم فى الدنيا ، وتيقظت ضمائرهم بعد ، وعملوا الصالحات - تكفيرا عن ماضيهم ، قد تنسيهم الأيام سوء ما قدموا ، ويفتح لهم الأمل صفحة جديدة مع مولاهم - هؤلاء سوف يمثلون بين يديه فيقررهم بذنوبهم من غير أن يفضحهم ، ايعلموا فضله عليهم (يدنى المؤمن من ربه يوم القيامة . فيقرره بذنوبه - فيقول : أنعرف ذنبا كذا . فيقول : رب أعرف . قال : فإنى قد سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم - فيعطى صحيفة حسناته) خ ح ١ (المظالم) ص ١٤٨

١٠ - والعقد الذى أبرم بين المخلوق والخالق ، قد يجهل العبد بعض جوانبه ، نتيجة انحراف طرأ على فطرته . وحين يتكشف له ربما يسلم نظريا بحق سيده ، ولا يرضى به عمليا ، وربما يتمسك بحق نفسه من غير أن يلتزم عمليا بحق سيده . وحق السيد لإفراجه بالعبادة . وحق العبد الممنوح له تفضلا النجاة من العذاب . ولأمر ما - كان من الحكمة ألا يخبر العامة بما منح لهم ، فيسيئوا تأويله ، ويشوهوا جماله (هل تدرى ما حق الله على عباده ، وما حق العباد على الله ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فان حق الله على العباد أن يعبدوه ، ولا يشركوا به شيئا . وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا . فقلت : أفلا أبشر الناس . قال : لا تبشرهم فيتكلوا) خ ح ١ (العلم) ص ٢٢ بالمعنى .

١١ - والله لا تحجبه الحواجز عن عبده ، بل هو فى شعوره ، ومعيته

ساطعة في وجدانه - إن هو إستقامت فطرته ، وسلمت من الآفات ذاكرتة
(أنا عند ظن عبدي ، وأنا معه حيث يذكرني) .

١٢ - وما يرضيه أن تشعر بالحاجة إليه - فتطلب منه ، وتأمل فيه . وفي
لحظة رضائه عنك لو وضعت خطيئتك في رحمته ، لذابت وتلاشت مهما بلغ
حجمها ، وزاد جرمها . (يا ابن آدم إنك مادعوتني ورجوتني ، غفرت لك
على ما كان منك ولا أبالي . يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم
استغفرتني غفرت لك) .

١٣ - وهو شديد المحال ، جبار متكبر . لو كشف سر جبروته لقطع
الباركل رجاء فيه . وهو الغفور الرحيم ، لو رفع الستار عن فضله - لطمع
فيه كل مجترىء عليه (لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجهنمه أحد .
ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ، ما قنط من جهنمه) خ ج ٢ الاستمذان
ص ١٤٤ .

١٤ - ولله في كل شيء حكم ، بعضه واضح جلي ، وبعضه خفي - ابتلى
الناس به . وله في أرضه حصى يرعاه ويصونه . وعلى الناس أن يسلكوا
سبيل السلامة ، وأن يتجنبوا طريق الندامة . فان اشتبه عليهم طريق ،
فالأسلم لهم ألا يعبروه ، وعليهم أن ينصرفوا لإصلاح قلوبهم التي عليها حياة
أبدانهم (إن الحلال بين وإن الحرام بين ، وبينهما مشبهات لا يعلمهن كثير
من الناس - فمن اتقى الشبهات إستبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات
وقع في الحرام - كالأعشى يرى حول الحى ، يوشك أن يقع فيه . ألا وإن
لكل ملك حصى ، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا
فسدت فسد الجسد كله - ألا وهى القلب) خ ٢ ج ١ (الايمان) بالمعنى ص ١٣
واللفظ لمسلم .

١٥ - ولله صفات لا تشبهها صفات الحوادث ، بيد أنه لتيسير فهم
صفاته - يخاطبنا بما نعلم . وعلينا أن نؤمن بالتنزيه . وما لا تدركه حواسنا

يستحيل أن تتصوره على الحقيقة عقولنا . وصفات الله له وحده ليس لأحد أن ينازع فيها ؛ ولما استحق أشد العذاب لجرأته وتطاوله (العز لإزاري ، والكبرياء ردائي . فمن ينازعني في واحد منها فقد عذبتة) .

١٦ - ويجب من عباده أن يرفقوا بأنفسهم في كل شيء (إن الله يحب الرفق في الأمر كله) خ ج ٢ (الأدب) ص ١٤٠ .

١٧ - ويجب كذلك أن تكون نعمه ظاهرة على عباده من غير فخر ولا خيلاء (إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده) .

١٨ - ولم يكن الله قد عزل نفسه عن العالم كما تقول بعض الفلاسفات . ولم تكن حركة العالم بالشوق إليه وهو في عزلة عنه كما تروى بعضها ، ولكنه مع خلقه أينما كانوا وحيثما وجدوا - هو بجانب مريضهم لينظر من عاده ، وبجانب المحتاج لينظر من وده - فإنه أغنى وأفقر ، وأعطى ومنع ، وأصح وأمراض . وينظر ماذا عمل الأمانة فيما استودعهم إياه ، ليكافئهم أو يعاقبهم . (إن الله عز وجل يقول يوم القيامة : يا ابن آدم مرضت فلم تعدني . قال : يارب وكيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده ، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده . يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني . قال : يا ربى كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه ، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي . يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني . قال : يارب كيف أسقيتك وأنت رب العالمين ؟ قال : استسقاك عبدى فلان فلم تسقه ، أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي) .

١٩ - والسز والعلانية سواء بالنسبة لعلمه ، وربما كان السر أفضل - رحمة بالعبد من أن تستهويه الشياطين ، فتجعل عمله رياء وسمعة . والطالبون منه يمكن أن يكتبي منهم بما في سرائرهم ، لكنه أراد أن يعبدوه كذلك بالسنتهم في هدوء وخشوع . (أربعوا على أنفسكم ، فانكم (م ٣ - نظرات في السنة)

لاتدعون أصبا ولا غائبا ، إنه معكم ، إنه سميع قريب) ، خ ج ١٢ (الحوز)
ص ٢٣ .

٢٠ - وما دعا الله أحدا الى خير الا كان سبحانه يضرب للناس الأمثال بعمله . وربما رجحت ميزان العبد عنده ذرة من الخير ، يقدمها العبد الى غيره - فينال بها ثواب الله ورضوانه (حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء ، إلا أنه كان يخالط الناس . وكان موسرا . وكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر . قال الله عز وجل : نحن أحق بذلك منه - تجاوزوا عنه) خ ج ١ (البيوع) ص ١٢٩ .

٢١ - وهو الذى تحيا القلوب بذكره ، وتموت بالغفلة عنه (مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكره ، مثل الحى والميت) خ ج ٣ (الدعوات) ص ١٥٩ .

٢٢ - ومن أجل معانى الذكر الشعور بمراقبته ، ولذلك الشعور جزاء بالخير عنده (فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى . وإن ذكرنى فى ملائكته فى ملائكتهم) خ ج ٢ (التوحيد) ص ١٦٢ ، ١٦٣ .

٢٣ - ولله سجنود يبحثون عن الذاكرين له بالعلم ، أو بالتأمل والتفكير ، أو بتريد ألفاظ مأثورة فى أدب وخشوع ، ليس فيها تشويش أو مجاهرة . وهؤلاء الذاكرين ومن يسعده الله بالجلوس معهم جزاء . نكل بيانه للحديث فيقول : (إن الله تعالى ملائكة يطوفون فى الطرق ، يلتمسون أهل الذكر . فإذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا هلوا الى حاجتكم ، فيحنونهم بأجنحتهم الى السماء الدنيا - فيسألهم ربهم وهو أعلم : ما يقول عبادى ؟ قال : يقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك . فيقول : هل رأونى ؟ فيقولون : لا والله مارأوك . فيقول : كيف لو رأونى ؟

قال : يقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيذا ، وأكثر لك تسبيحا . فيقول : فماذا يسألون ؟ قال : يقولون يسألونك الجنة . قال : يقول وهل رأوها ؟ قال : يقولون لا والله مارأوها . قال : يقول فكيف لو رأوها ؟ قال : يقولون لو رأوها كانوا أشد عليها حرصا ، وأشد لها طلبا ؛ وأعظم فيها رغبة . قال : فمن ما يتعوذون ؟ قال : يقولون يتعوذون من النار . قال : فيقول وهل رأوها ؟ قال : يقولون لا والله مارأوها . فيقول : كيف لو رأوها ؟ قال يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فرارا ، وأشد لها مخافة . قال : فيقول فأشهدكم أني قد غفرت لهم . قال : يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم ، إنما جاء لحاجة . قال : هم الجلساء ؛ لا يشقى بهم جليسهم) خ ج ٢ (الدعوات) ص ١٥٩ ، ١٦٠ .

٢٤ - والخجول من المعصية أقرب إليه من المغرور بالطاعة ، لأن الأول عاصى نائب ، والآخر طائع عاصى - فأهدر طاعته بغروره ، أما الأول فأزال معصيته بالتوبة - ولذلك كان أحظر بفضل الله من الآخر . ويروى في هذا أن طائعا لقي عاصيا . فقال له العاصي . عسى الله أن يغفر لي . فرد عليه المغرور : والله لا يغفر الله لك ، فقال الله عز وجل (من ذا الذي يتألى على ألا يغفر لفلان ؟ إني قد غفرت له وأحبطت عمله) .

٢٥ - وإذا كانت أحكام الناس قد تكون عقبة في سبيل الضعفاء ، ولا تحد من سلطان الأقوياء ، فحكم الله نعرفه على غير هذا الوجه - ينصف الضعفاء ، ويهذب الأقوياء (إن الله تعالى أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحد ، ولا يفخر أحد على أحد) .

٢٦ - وكل حق للجماعة هو حقه ، وكل من يؤذيها يقتص الله منه (إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا) .

٢٧ - وكل ما حرمه على العبد فهو لمصلحته ، ايس لله فيه منفعة . ولكنه يريد من العبد أن يطيعه (إن الله تعالى يغار ، وغيره الله أن يأتي المرء ما حرم الله عليه) خ > ٢ (النكاح) ص ١٢٣ .

٢٨ - وكل شيء عنده بمقدار ، عالم الغيب والشهادة ، الكبير المتعال ، يحلل ويحرم ، ويدع أموراً لم ينسها . ولكن اقتضت حكمته ألا يظهر الحكم فيها . رحمة بالناس - فقد يسوؤهم إظهارها ، وعليهم أن يحملوا المسكوت عنه على المذكور الشبيه به ، أو يحملوها على البراءة الأصلية - فهي مباحة لهم . هذا إن كان المسكوت عنه حكماً شرعياً يتعلق بمصلحة العباد .

إما إن كان حكماً قديماً ، فعليهم ألا يشتغلوا به . وقد أراد الله بنا شيئاً ، وأراد منا شيئاً - فما أرادنا طواه عنا ، وما أرادنا منا أظهره لنا . ويكفي أن نشغل بالمعلوم ، ولا نقيه في غياهب المجهول ، وأن نلتزم بمحدود ما وضح لنا ، ولا نبحث فيما لا طائل فيه (إن الله تعالى فرض فرائض . فلا تبضيعوها ، وحد حدوداً فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها) .

٢٩ - ومن الناس من يمتنعهم الله بالحديث معهم ، أو ينجلي عليهم برحمته إليهم أو يطهرهم بغفران ذنوبهم . ومنهم المحروم من كل هذا ولهم بعد الحرمان عذاب الحريق . هؤلاء الخائبون الخاسرون . منهم من منع عن مضطر حاجة ، أو خان أخاه فصدقه وهو عليه كاذب - متخذاً اليمين بالله خداعاً ونصباً ، أو وضع يده في يد ظالم لينال دنياً ، أو خلع يده من يد عادل لينال الدنيا عند غيره . وكل هؤلاء معتدون على الفضيلة ، ومنتهكون لحماها ، يروعون المجتمع ويؤفونه - فأغضبوا الله الذي يرعى المجتمع ويصونه (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكهم ولهم عذاب

أليم : رجل على فضل ماء بالفلاة يمنع من ابن السبيل . ورجل بايع رجلا سلعة بعد العصر فخلف بالله لأخذها بكذا وكذا فصدقه وهو على غير ذلك . ورجل بايع إماما لا يبايعه إلا لادنيا فان أعطاه منها وفي ، ولأن لم يعطه لم يف (خ ١٠) (الشرب) ص ١٤٤ .

٣٠ - وهو الذي يجب عباده إن أحبوه ، ويبخضهم إن جحدوا نعمته . وعلى الطالبين منه أن يراجعوا أنفسهم هل استجابوا له قبل أن يطالبوه بالإجابة ؟ وهم العبيد ، فكيف لا يستجيبون للسيد ثم يطمعون في فضله ؟ وليس الموت . هو باب الوصول إليه وكلنا يكره الموت . كلا . لقد صح الرسول فهم عائشة حين قال (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه . قالت عائشة : فكنا نكره الموت . قال لها : ليس كذلك ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته ، أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه . وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله فكره الله لقاءه) خ ٢ (الاستئذان) ص ١٤٦ .

٣١ - ولكن الوصول إليه بالعمل الصالح (إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا . وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ، يمد يديه إلى السماء - يارب يارب . ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذى بالحرام - فأتى يستجاب لذلك) .

٣٢ - والصالح الذي يتقرب به إليه ما شرعه لعباده ، وأخلصوا نياتهم له فيه - فاستبعدوا عن أذهانهم وجرارحهم كل صور الشرك . وأفردوه وحده فتوجهوا بالعمل إليه ، عندئذ يبقى عملهم ويسقط ما عداه من الأعمال (إذا كان يوم القيامة جرى بالدينيا فيميز منها ما كان لله . وما كان لغير الله رعى به في نار جهنم) .

٣٣- والإخلاص له والقيام بأوامره - كلها سبيل رضاه (من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده لا شريك له وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، فارقها والله عنه راض) .

٣٤- ولقد حارب الله الرياء وعده لونا من الشرك وإن تفه مقداره ، لما في ذلك من ضرر وخطورة (اليسير من الرياء شرك) .

٣٥- وقد خلقنا لعبادته وهدانا سبيلا الخير والشر . وفي مسيرة الحياة تعترض الإنسان مشاكل معقدة ، يحتاج في حلها إلى بصيرة نيرة وعقيدة راسخة . فقد تحمل يارضاء المخلوق وسخط الخالق - وهنا يكون الابتلاء . فالمؤمن لا يرضى بغير الله بديلا ، والفاجر لا يعرف لربه سبيلا - فيغضبه ويرضى غيره . وسرعان ما يتبدل الأحوال ويحول الله عنه القلوب التي اكتسبها بسخط الله، فتقلب عليه ناقة لاعتة (من أسخط الله في رضا الناس سخط الله عليه ، وأسخط عليه من أرضاه في سخطه . ومن أرضى الله في سخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه من أسخطه في رضاه حتى يزينه ويزين قوله وعمله في عينيه) .

٣٦- وأودع في يد الإنسان المال واختبره فيه؛ لأنه من أعز ما يحرص عليه الإنسان . وقد أمره الله على استمساكه به وصيانتها له . بيد أنه قد يضع منه لأمر فوق إرادته ، وقد ينفق منه بإرادته . ومن عدل الله معه أن ما أنفقه الإنسان بإرادته ابتغاء وجه الله يحفظه له عنده ، لاتصبيه آفة ولا يطرأ عليه نقصان (يا ابن آدم أفرغ من كنزك ، وعندي لا غرق ولا حرق ولا سرق . أو فيك أخرج ما تكون إليه) .

٣٧- ولا يظن ظان أن ما يبذله الله ينقص ما عنده ، وليسكن يطرزه وينميه . وليس الله في حاجة ، فالكل مفقود إليه . وهو الغنى الحميد . سخاؤه لا

ينقطع ، وعطاؤه لا يحد . لكننه منع عن بعض خلقه - ليعلم الناس فضله وعدله إن هو بدل الأحوال وصير الغنى فقيراً (يا عبدى أنفق أنفق عليك . يد الله ملى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار . أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض ، فإنه لم يغيض ما بيده ، وكان عرشه على الماء . ويده الميزان يخفض ويرفع) خ ج٢ تفسير القرآن ص ١٠٥

٣٨ - ولا يجب الله من العبد أن يعذب نفسه من تلقاء طاعة يخترعها ، يريد منها القربى إلى الله ، وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يتهاذى بن ولديه يبدو عليه التعب . قال : ما شأنه ؟ قالوا : نذر أن يمجح لله ماشياً . قال : مروه أن يركب وليهد بدنة . ثم قال (إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغنى) خ ج١ (جزاء الصيد) ص ١١٧

٣٩ - والله مع العبد في حركاته وسكناته ، في حسبه وضميره ، ومن الأمور البديهية أن نزوع الإنسان في وحدته يغير نزوعه وهو مع الناس ، فقد يكبت بعض رغبانه بالقدر الذى تذكره الجماعة عليه ، ويظهرها بالقدر الذى تؤيده فيه عملاً بتقاليدهم ، وإحساس المرء بأن الله معه دائماً يتطلب منه أن يدرك أنه ليس وحده ، وأنه ملتزم بتعاليم صادرة إليه من يملك زمامة . وعليه أن يهذب غرائزه ويستحي من الله (الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، وتذكر الموت والبلى . ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا وآثر الآخرة على الأولى - فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء) .

٤٠ - والذين يجتمعون على الله ويؤلف بين قلوبهم حبه ، هم في كنفه ورعايته ، يحبهم ويحبونه . وأكثرهم حبا لصاحبه هو الأكثر حظاً بحب الله له (ما من رجلين تجابا في الله بظهر الغيب إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه) .

٤١ - وهو المنعم الذى يجرى بعض نعمه على أيدي أناس من خلقه ، فأوجب شكرهم لأن خيرهم جرى على أيديهم (من لا يشكر الناس لا يشكر الله) .

٤٢ - بيد أن لهذا الشكر ميزانه الذى وضعه الله لنا ، فلا نرضى مخلوقا بسخط الخالق المالك . والصبر واليقين والرضا بما قسم - سبل إلى الفرج والراحة (لاترضين أحدا بسخط الله ، ولا تحمدن أحدا على فضل الله ، ولا تظمن أحدا على ما لم يؤتكم الله - فإن رزق الله لا يسوقه إليك جرح حريص ولا ترده عنك كراهية كاره . وإن الله بقسطه وعدله جعل الروح والفرج فى الرضا واليقين . وجعل الهم والحزن فى السخط) .

٤٣ - وهو ذو مغفرة وذو عقاب أليم ، وإن كان إلى الرحمة بعباده أسبق (إن رحمتى تغلب غضبى) خ ج ٢ (بدء الخلق) ص ٣٢

٤٤ - وللعلم والحلم مكانهما عنده فى نيل مغفرته (إنى لم أجعل على وحلى فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان فيكم ولا أبالي) .

٤٥ - ولا يكلف نفسا إلا وسعها ، وأحب الأعمال إليه أدومها عنوانا للصلة بينه وبين العبد (يا أيها الناس خذوا من الأعمال ما تطيقون ، فإن الله تعالى لا يمل حتى تماوا ، وإن أحب الأعمال إلى الله مادام وإن قل) خ ج ٢ (الاستئذان) ص ١٤٤

٤٦ - ومن الناس من يلعن أيام الضيق وليالى البؤس ، ظانا أن الزمان قد أنزل به الشقاء . وربما كان الإنسان هو السبب فيما نزل به ، فعليه أن يأخذ بالأسباب وأن يدع النتائج للخالق ، ولا يسب زمانا أجرى الله فيه ما قدره فبكون قد سب الله ومقادير . نعوذ بالله من ذلك (يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر ، بيدي الأمر ، أقلب الليل والنهار) خ ج ٢ (تفسير القرآن) ص ١١١

٤٧ - والله يجب من العبد أن يكون بينهما سر لا ينكشف ، وأن يكون اهتمام العبد منصرفا إلى ربه ، مصلحا لسريته أكثر من علانيته إذا كرا آخرته أشد من ذكره لدنياه . (من أحسن فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس . ومن أصلح سريره أصلح الله علانيته . ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه) .

٤٨ - ومن عرفه حق معرفته تولدت في نفسه الرهبة منه ، ومن لم يعرفه لم ينشغل به . والذين يرهبون سلطاناه في الدنيا فيستقيمون على شره يؤمنهم في حياتهم الأبدية من الفزع الأكبر . أما الذين لم ينشغلوا به وأمنوا مكره فسوف يخيفهم حين يعرفهم جبروته (وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدى خوفين ، ولا أجمع له أمين - إن أمننى في الدنيا أخفنه يوم القيامة ، وإن خافنى في الدنيا آمنتته يوم القيامة) .

٤٩ - وهو العليم بأحوال عباده . من أربهم سلطاناه أسقط عنهم أفعالهم رحمة بهم . وللرهبة منه آثار تبدو على وجه الخائف منه ، فتى أحس بها من غير افتعال منه أو تظاهر فله تلك البشارة (إذا اقشعر جسد العبد من مخافة الله عز وجل ، تكاثرت عنه خطاياها كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها) .

٥٠ - وهو العادل في حكمه ، لا يقبل من العبد أن يطلب أكثر مما يعمل . وأكثر الناس بغضا له الذين يطلبون بغير عمل ، ولا يؤدون شيئا يطلب منهم (ما أقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل . كيف أجود برحمتي على من بخل بطاعتي) .

٥١ - والعدل والتسامح من أحب شيء إليه (أحب الأديان إلى الله الخنوفية السمعية) .

٥٢ - والله خلق عباده على فطرته ، ومنحهم إدراكا وقدرة يتمكنون بهما أن يختاروا اختيارا حرا خال من أى تأثير لتقوم مسؤوليتهم ويصبح تكليفهم ، وليسوا كالريشة فى الهواء تميلها الريح كما قالت الجبرية . وكان من الممكن أن يحملهم الله على ما يريد منهم ، لكن لا يتفق مع عدله وثوابه وعقابه ، وفضل الناس فيما بينهم بالعمل ، فناداهم الله عن طريق شرعه ، ونادتهم الشياطين عن طريق شهواتهم : ومن الناس من يجيب الشيطان لضعف رضيه الإنسان لنفسه أجلبه عليه هو اه لا لعجز القادر الذى حكم فعدل (عبدى أخذك الشيطان منى لا لعجزى ، ولكن لضعفك أنت) .

٥٣ - والله قضاء على خلقه ، لكننه أخفاه عنهم ، ولم يكلفهم معرفته ولكن كلفهم الإيمان به . وطالبهم أن يكونوا بقضائه راضين ولتقديره مستريحون . وحذرهم أن يقعوا فى المعاصى محتجين بقضائه . فعندهم من أسباب تجنبها ما يقيمهم شرها ، فإن رضوا بتقديره عليهم استراحوا وأراحوا . وإن سخطوا أتعبوا أنفسهم وفقدوا إيمانهم ، وليس لهم إلا ما كان (عبدى إن رضيت بما قسمته لك أرحت نفسك وبدنك وكنت عندى محمودا . وإن لم ترض بما قسمته لك سلطت عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش فى البرية ، ولا ينالك منها إلا ما قسمته لك ، وكنت عندى مذموما) .

٥٤ - وهو المنعم على عباده ، المتجاوز عن خطاياهم - الذى فتح بابه لكل عائد إليه . فلا نجد أحدا ينعم على من يسىء ثم يعفو إلا القاهر فوق عباده ، الغفور الرحيم (يا ابن آدم خلقتك يدي وربيتك بنعمتى وأنت تعصينى ، وإن رجعت إلى تبت عليك ، فمن أين تجد لك ربا مثلى وأنا الغفور الرحيم) .

٥٥ - وهو العزيز ذو الجبروت ، يتساقط أمام جبروته كل جاه . وقدرة أزلية أبدية ، يحصى كل مستجير به . وقد يرى أن الخير للعبد مفارقاته

الدنيا ليستريح مما فيها من متاعب ، ولينعم بما عنده من راحة . وهو أنيس لمن يستأنس به ولا أنس بغيره ، فقد تكون مصيبة المرء من جليس سوء يظن الإبتئاس به . وقد خلقنا الله للعمل ونهانا عن الكسل ، وأمرنا أن نصون النعم وأن نتجنب الأحقاد (يا ابن آدم لا تخف من سلطان مادام سلطاني باقيا وسلطاني لا ينفد أبدا . يا ابن آدم لا تأنس بغيري وأنا لك ، فإنك إن طلبتني وجدتني ، وإن أنست بغيري فتك وفاتك الخير كله . يا ابن آدم خلقتك للعبادة فلا تلعب ، وقسمت لك رزقك فلا تتعب . إن كثرت فلا تفرح ، وإن قل فلا تجزع) .

٥٦ - وهو يحب ويكره ، ويزيد حبه ويزيد بغضه كلما كان المرء إلى ربه أقرب وعن هواه أبعد . فيحب الجود والكرم ، والتواضع والتوبة . ويبغض البخل والتكبر والعصيان (أحب ثلاثا وحبى ثلاثا أشد - أحب أهل السخاء وحبى للفقير السخى أشد . وأحب المتواضعين وحبى للغنى المتواضع أشد . وأحب التائبين وحبى للشباب التائب أشد . وأبغض ثلاثا وبغضى ثلاثا أشد - أبغض البخلاء وبغضى للغنى البخیل أشد ، وأبغض المتكبرين وبغضى للفقير المتكبر أشد ، وأبغض الفساق وبغضى للشيخ الفاسق أشد) .

٥٧ - ومن الناس من يقابل إحسانه بالإساءة ، وغفرانه بالتمادى فى المعصية . والويل لهم إن لم يتوبوا (عبدى كم أنحبب إليك بالنعم وتبغض إلى بالمعاصى ، خيرى إليك نازل وشركى إلى صاعد) .

٥٨ - وهو الذى يرزق من أطاعه ، ويعطى من عصاه - لا ينسى أحدا . ومن الخير للإنسان أن يستجيب لمن يطلب منه أن يستجيب له ، وألا يتعجل (يا ابن آدم لا تطالبنى برزق غد كما لا أطلبك بعمله ، فإنى لم أنس من عصافى ، فسكيف من أطاعنى ؟) .

٥٩ — وهو الحليم.. يؤخر العقاب عن شاء الحكمة ، فلا يحملنك حمله أن تتبادى في مخالفته.. فهو يملك ولا يهلك . وقد يسكن من غضبه أناس صالحون ، لم يعاجلك بالعقوبة عسى أن يكون صلاحهم حاملا لك على التوبة ، وحافزا لك على الندم (إني أهم بعذاب عبادى ، فأنظر إلى عمار المساجد وجلساء القرآن وولدان الإسلام فيسكن غضبى) .

٦٠ — وهو العفو الغفور ، يفرح بالعائدين من معاصيهم إلى الرجاء فى رحمته ، ينتظرهم بفضله ، فكيف بمن عكف على طاعته وغار على انتهاك حرمانه ، وقام بالأمر والنهى يصون حماه ؟ (لو يعلم المدبرون عنى كيف انتظارى لهم ، ورفق بهم ، وشوقى إلى ترك معاصيهم ، لأقبلوا- هذا بالمدبرين عنى ، فكيف بالمقبلين على ؟) .

٦١ — والله يخفض ويرفع . ومن قوائمه فى الدنيا أنه مامن شىء يرتفع فيها إلا خفضه (حق على الله ألا يرتفع شىء من الدنيا إلا وضعه) خ ح ٢ (الخور) ص ١٨ ، ١٩ .

٦٢ — والدنيا وما فيها متاعها قليل عنده . أما الحياة الآخرة فهى الحيوان التى تعظم الحياة فيها ، ولذلك فمن أراد الآخرة قد يعطيه الله الدنيا معها — ومن أراد الدنيا فاله فى الآخرة من نصيب (إن الله يعطى الدنيا على نية الآخرة . ولا يعطى الآخرة على نية الدنيا) .

٦٣ — ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مرید ، ومنهم من يجادل فيه بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير . ومنهم الملحدون الذين لم يقدره قدره فينسبون إليه الصاحبة والولدوينكرون البعث ، محكمين العقل فى أمور غيبية لاتدرکها العقول ، متجاهلين قدرته وأوصافه . ولو أن عندهم ذرة من عقل أو أنارة من علم ، لأيقنوا أن الصاحبة والولد يخالفان

للتوحيد ومناقضان للتنزيه الواجبين له سبحانه ، وأن إنكار البعث حد
لقدرته وطعن في أخباره . والصانع يرى من نفسه القدرة في المرة الثانية أكثر
من الأولى - فكيف بالخالق الذي لا ينقطع ابداعه (يشتمني ابن آدم وما ينبغي
أن يشتمني ويكذبني وما ينبغي له . أما شتمه فقول له إن لي ولدا . وأما تكذيبه
فقوله ليس يعيدني كما بدأني)^(١) .

٦٤ - والكلام عن الله سبحانه في القدم بقدم الفكر الإنساني ، ولم
تخبطت الفلسفات وجد الفكر - ومع ذلك لم تقدم لنا البحوث العقلية فكرة
صحيحة عن الله . وكان التسلسل الذي ينتهي إلى الله ينتهي بهم إلى الحكم على
الله بما يحكمون به على الخلق ، وهذا قياس حذرنا منه (يأتي الشيطان أحكم
فيقول : من خلق كذا . من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك ؟ فإذا بلغه
فليستعد بالله ولينته) خ > ٣ (بدء الخلق) ص ٣٦ .

٦٥ - بل إن بعض الشرائع السماوية تدخل في تحريفها وتأويلها وتأويلا
غير صحيح ، أناس يصورون فيه الله بصورة الإنسان . فيروى أنه
جاء حبر فقال : (لانا نجد أن الله يجعل السماء على أصبع ، والأرضين على
أصبع ، والشجر على أصبع ، والثرى على أصبع ، وسائر الخلق على أصبع -
فضحك لقول الحبر ثم قرأ وما قدروا الله حق قدره) خ > ٢ (تفسير
القرآن) ص ١١١ .

٦٦ - والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ، والسماوات مطويات بيمينه
سبحانه وتعالى عما يشركون . وهو الملك لا مالك معه (يقبض الله الأرض
ويطوى السماوات بيمينه ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض ؟) خ > ٢
(تفسير القرآن) ص ١١١ .

(١) خ > ٢ (بدء الخلق) ص ٣٢ .

٦٧ - وهو على كل شيء قدير ، وهذا لون من التصوير لقدرته (تسكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلاً لأهل الجنة ، فصدقه اليهودي) خ - ٢ (الاستئذان) ص ١٤٦ .

٦٨ - والله يحب عباده المؤمنين به ، يحب لقاءهم وهم يريدون البقاء في الدنيا (وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته) .

٦٩ - وإذا ساءت سيئتكم وسرتك حسنتك ، فأنت ذلك المؤمن ، والله يحب منك أن ترتفع بنفسك إلى أسنى الفضائل ، وإياك أن تنزل إلى أسفل الرذائل فييخصك الله (إن الله يحب معالي الأمور وأشرافها ، ويكره سفاسفها) .

٧٠ - وكل ما فاتك من الله سوى الله يسير ، وكل حظ لك سوى الله قليل . والمحب يتعلل إلى محبوبه بكل شيء ولا يتملى عنه بشيء ويتبع آثاره ولا يلدع استنباره . وينبغي أن يكون فرحك في العطاء بالمعطي ، ولذتك في اللذات بمخالق اللذات ، وتنعمك في النعمة بالمنعم دون النعم لأن ذكر النعمة عند ذكر المنعم حجاب ، ورؤيتك النعمة عند رؤية المنعم حجاب ، وقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها . ومعرفة الله تأتي القلب من عين الجود وبذل الموجود ، والسريرة إذا كانت أقبح من العلانية فذلك الجور . فإذا استوت معها فذلك العدل . وإذا فضلت السريرة على العلانية فذلك الفضل . ومن بث وحزن على ما أنزله الله به فكأنما يشكوه . وإنه ليفنى حزن كل ثكلى . وحزن التائب لا يفنى ، والزاهدون في الدنيا يبيحهم الله الجنة . وليست الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ولا بإضاعة المال ، ولكن الزهد في الدنيا أن تسكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك .

وإذا أصابتك مصيبة من غير أن تكون السبب فيها كنت بثوابها أفرح منك بها لو بقيت عنك . ونحن نحب الله لما يغذيها به من نعم لا تنقطع . وقد أوحى لعيسى إني أحب إلى عبدى المؤمن من نفسه التى بين جنبيه . وقال موسى يوماً يارب أوصنى . قال : أوصيك بى . قال : وكيف ؟ قال لا يعرض لك أمران أحدهما لى والآخر لنفسك إلا آثرت محبتى على هواك . فلا يكتر همك ما يقدر يكون . وما ترزق تأكله . وقد كان الأوائل يتشوقون إليه . وقال حذيفة عند موته : حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم . وعن ابن عمر لمن كلمه أثناء طوافه : كلمتنى فى الطواف ونحن نتخيل الله بين أعيننا . فسر فى طريقك إلى ربك على الحب له . (إن الله يأمر جبريل فيقول : أقبض حلوة الطاعة من قلب عبدى ، فإن تأسف عليها فردها عليه وزده ، وإلا فدعه) .

٧١ — (إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا ركن إلى الدنيا أن أزعم حلوة مناجاته إياى من صدره ، وأن أدعه فى الدنيا حيراناً) .

٧٢ — وفيما نزل من كتب (معشر المتوجهين إلى بحبى ما يضركم ما نابكم من الدنيا إذا كنت لكم حصناً ، وما يضركم من عاداكم إذا كنت لكم سلماً) .

وقد أوحى لعيسى (أنزلى منك كهمك واجعلنى ذخراً لك فى معادك) .

٧٣ — (إني والإنس والجن فى نبأ عجب ، أخلق ويعبد غيرى ، وأرزق ويشكر غيرى) .

٧٤ — وأعظم شئ للإنسان أن يحس بأن الله رقيب عليه (سبق المفردون . قالوا : وما المفردون ؟ قال الذاكرون الله كثيراً والذاكرات) .

٧٥ - وهو الذى ينجى الإنسان من عذابه (مأعمل آدمى عملاً قط أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل) .
٧٦ - وسأل سائل عن أعظم شيء . فقال له (لا يزال فوك رطباً من ذكر الله) .

٧٧ - وقد ذكر قوم ربهم . فقيل لهم (إنما تذكرون من جلال الله عز وجل من التهليل والتكبير والتحميد ، يتعاطفن حول العرش له دوى كدوى النحل ؛ يذكرن بصاحبهن . أفلا يجب أحدهم أن يكون له ما يذكر به ؟)

٧٨ - وذكر الله فى أدب وخشوع روضة من رياض الجنة (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا . قالوا : وما رياضها ؟ قال خلق الذكر) .

٧٩ - والمطلوب من كل إنسان أن يجدد صلته بربه من قلبه ولسانه وجوارحه (جددوا إيمانكم . قالوا : وكيف نجدده ؟ قال : أكثروا من قول لا إله إلا الله) .

٨٠ - وفيما يروى (أن أحب الكلام إلى الله عز وجل ما اصطفى الله لملائكته سبحان ربي وبحمده سبحان ربي وبحمده) .

٨١ - وللإخلاص قيمة فى الثواب على العمل (إن عبداً من عباد الله قال : يا رب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك ولعظيم سلطانك فعضلت بالملكين فلم يدريا كيف يكتبانها . فقالا : ياربنا إن عبدك قد قال مقالة لا ندري كيف نكتبها ؟ فقال الله لهما : اكتبها كما قال عبدى حتى يلتقيا فأجزيه بها) .

٨٢ - والله عز وجل أسماء يدعى بها (إن لله تسعة وتسعين اسماً من

أحصاها دخل الجنة) خ > ٢ (الشروط) ص ١٢ .

وهذه أسماءؤه : —

هو الله ، الذى لا إله إلا هو ، الرحمن . الرحيم . الملك . القدوس .
السلام . المؤمن . المهيمن . العزيز . الجبار . المتكبر . الخالق . البارئ . المصور .
الغفار . القهار . الوهاب . الرزاق . الفتاح . العليم . القابض . الباسط .
الخافض . الرافع . المعز . المذل . السميع . البصير . الحكيم . العدل .
اللطيف . الخبير . الحلیم . العظيم . الغفور . الشكور . العلي . الكبير .
الحيظ . المقيت . الحسيب . الجليل . الكريم . الرقيب . المجيب . الواسع .
الحكيم . الودود . المجيد . الباعث . الشهيد . الحق . الوكيل . القوي . المتين .
الولي . الحميد . المحصي . المبدئ . المعيد . الحق . المميت . الحى . القيوم .
الواجد . الماجد . الواحد . الأحد . الصمد . القادر . المقنتر . المقدم .
المؤخر . الأول . الآخر . الظاهر . الباطن . الوالى . المتعالى . البر . التواب .
المنتقم . العفو . الرؤوف . مالك الملك . ذو الجلال والإكرام . المقسط .
الجامع . الغنى . المغنى . المانع . الضار . النافع . النور . الهادى . البديع .
الباقي . الوارث . الرشيد . الصبور . الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا
أحد .

٨٣ - وطاعته مفتاح الخير (لو أن عبادى أطاعونى لسقيتهم المطر بالليل ،
فأطلعت عليهم الشمس بالنهار ، ولم أسمعهم صوت الرعد) ذلكم الله
رب العالمين .

(م ٤ - نظرات فى السنة)

الموضوع الثالث

(الدعاء)

١ - وقال ربكم أدعوني أستجب لكم ، أجيب دعوة الداعي إذا دعاني ، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلمهم يرشدون . وفي القرآن غير ذلك من الأدعية وكذا في السنة - وهي أدعية مأثورة علمها الله للناس . ومن العجيب أن ينصرفوا عنها إلى غيرها من الأدعية ، مع أنهم قد يحفظونها ويعملون عنها والأولى أن تتبع ولا تبدع ، وأن نحفظ أدعيتنا - فهي أسلم وأحكم وأحق بالقبول .

والناس يختلفون في دعائهم - فمنهم من يدعو بما هو محرم ، أو يطلب قطيعة ، أو يعتدي في دعائه . وها هو النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا وتعلم منه . فبأي شيء دعا ، وماذا طلب ؟ (اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى) لقد طلب النبات على الهدى ، واللزوم لتقوى الله ، والتعفف عن كل مكروه ، والكفاية لكي لا يحتاج - وتلك حاله .

٢ - وعلى المسلم أن يقتدى برسوله ، فإذا أخرج من بيته لجأ إلى ربه واستعان به ليحفظه من الغواية ، أو الهوى إلى الرذيلة ، أو الابتلاء ، أو التعرض لظلم (اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أضل ، أو أزل أو أزل ، أو أظلم أو أظلم ، أو أجهل أو يجهل علي) .

٣ - وعلى العبد أن يخضع لربه ، ويؤمن به ، ويأخذ بالأسباب ، ويندم على معصيته ، ويغار على حرمت ربه ، وينتصر به ويسأله العصمة - فهو القادر الباقي (اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت وبك خاصمت . اللهم أعوذ بعزتك ، لا إله إلا أنت أن تضلني . أنت الحي الذي لا تموت ، والجن والإنس يموتون) .

٤ - وعليه أن يقول عند نومه (اللهم أسلمت نفسي إليك ، ووجهت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك ، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، وبنيك الذي أرسلت) (١) .

٥ - فإذا انتهى من صلاته قال (اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك) .

٦ - وعليه أن يستعين بربه من كل ما يريق ماء وجهه ، أو يخذله عند الله والناس (اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه يثس الضجيع ، وأعوذ بك من الخيانة فإنه يثس البطانة) .

٧ - وهذا مسافر يجيء للنبي فيقول له (استودع الله دينك وأمانتك وخواتم عملك . فيقول المسافر : زدني . فيقول له : زدك الله التقوى . قال زدني . قال : وغفر ذنبك . قال : زدني . قال : ويسر لك الخير حيث كنت) .

٨ - ولقد كان يعلمهم الإستخارة كما يعلمهم الآية من القرآن (إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين غير الفريضة ثم ليقل : اللهم إني استخيرك بعلمك ، واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم . فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب . اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدره لي ويسره لي ، ثم بارك لي فيه . وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ، فاصرفه عني واصرفني عنه وأقدر لي الخير حيث كان ، ثم رضني به - ويسمى حاجته)
خ ١٣ (التهجد) ص ٨٣

٩ - فإذا جلس في مجلس وأراد الانصراف منه قال ما يكفر عنه ذنبا أذنبه في ذلك المجلس (من جلس في مجلس كثير فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك : سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك . إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك) .

١٠ - ونسأله أن يرزقنا الحشية منه حتى لا نقع في معصية تغضبه ، وأن يوفقنا لطاعته ، ويثبتنا على اليقين به ، وأن يهون علينا مصائب الدنيا ولا يسلطها علينا ، ولا يبتلينا في ديننا (اللهم أقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتنا ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ماتهمون به علينا مصائب الدنيا . اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييننا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا .

١١ - فإذا سافر العبد قال عند سفره (سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، وإنا إلى ربنا لمنقلبون . اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ، ومن العمل ما ترضى . اللهم هون علينا سفرنا هذا ، واطوئ عنا بعده . اللهم أنت الصاحب في السفر ، والخليفة في الأهل . اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنظر ، وسوء المنقلب في المال والأهل والولد) وإذا رجع قال ما تقدم وزاد (آيئون تائبون عابدون لربنا حامدون) (١) وإذا ارتقى مكانا عاليا في سفره كبر ، وإذا نزل سبح خ ج ٢ (الحور) ص ٢٣ .

١٢ - وعلى العبد أن يدعو في السر (أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصبا ولا غائبا ، إنه معكم ، إنه سميع قريب) (٢) .

(١) خ ج ١ (العمرة) ص ١١٦ (٢) خ ج ٢ (الحور) ص ٢٣

١٣ - فإذا ذهب اللقاء العدو قال (اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم) .

١٤ - وإذا نزل مكانا جديدا قال (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق) .

١٥ - فإذا هل هلال الشهر قال (اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام ، ربى وربك الله ، هلال رشد وخير) .

١٦ - وعلى العبد قبل أن يعين حاجته أن يثنى على ربه ، ويصلى على النبي صلى الله عليه وسلم (إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه ، ثم يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم يدعو بعد بما شاء) .

١٧ - وليقل بعد الفراغ من صلاته (اللهم إني أعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من أن أورد إلي أرذل العمر ، وأعوذ بك من فتنة الدنيا ، وأعوذ بك من عذاب القبر) خ ج ٢ (تفسير القرآن) ص ١٠٥ .

١٨ - وليستغفر الله ثلاثا ويقول (اللهم أنت السلام ومنك السلام ، تباركت يا ذا الجلال والإكرام) (اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد) خ ج ١ (الأذان) ص ٦٨ .

١٩ - ولبعض الكلمات رجحان في ميزان العبد (لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده عدد خلقه ، ورضاء نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته) .

٢٠ - فإذا آوى إلى فراشه فليستمع لذلك الإرشاد (إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليمنفص فراشه بداخلة إزاره ، فإنه لا يدري ما خلفه عليه . ثم يقول : باسمك ربى وضعت جنبي وبك أرفعه ، إن أمسكت نفسي فارحمها ،

وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين (خ ج ٢ (الدعوات)
ص ١٥٨ .

٢١ - ولزوم الطاعة من أجل النعم على الإنسان (اللهم مصرف القلوب
صرف قلوبنا على طاعتك) .

٢٢ - وهناك أمور على الإنسان أن يفر إلى الله منها (تعوذوا بالله من
جهد البلاء ، ودرك الشقاء ، وسوء القضاء ، وشماتة الأعداء) (١) .

٢٣ - (اللهم إني أعوذ بك من العجز ، والكسل ، والجبن ، والهرم ،
والبخل ، وأعوذ بك من عذاب القبر ؛ وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات) خ
ج ٢ (الدعوات) ص ١٥٩ .

٢٤ - ولكل إنسان ذنوب نسأله التجاوز عنها (اللهم اغفر لي خطيئتي ،
وجبلي ، وإسراني في أمري ، وما أنت أعلم به مني . اللهم اغفر لي جدتي وهزلي ،
وخطئي وعمدي ، وكل ذلك عندي . اللهم اغفر لي ما قدمت ، وما أخرت ،
وما أسررت ، وما أعلنت ، وما أنت أعلم به مني . أنت المقدم وأنت المؤخر
وأنت على كل شيء قدير) خ ج ٢ (الدعوات) ص ١٥٩ .

٢٥ - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، ونسأله بقاء نعمه ورفع نقمه
(اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحول عافيتك وبقائه ، ونقمته ،
وجميع سخطك) .

٢٦ - ورضا الله خير ما يحصل عليه الإنسان في الدنيا (اللهم آت نفسي
تقواها وزكها ، أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها ، اللهم إني أعوذ بك

من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها) .

٢٧ - والقناعة رأس الغنى (اللهم اكفني بحلالك عن حرامك ، واغنني بفضلك عن سواك) .

٢٨ - والله يغضب إن تركت دعاءه . وبني آدم حين يسأل يغضب يطبع على أه بيت من الشعر (اللهم إني أسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والسلامة من كل إثم ، والغنيمة من كل بر ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار) .

٢٩ - وعلى المرء أن يدعو لأخيه بظهر الغيب (ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك ولك بمثل) .

٣٠ - وعلى الداعي ألا يستعجل ربه ، فإنه لا يعلم ما يمكنه له من خير ، ويصرفه عنه من شر (يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، يقول قد دعوت ربي فلم يستجب لي) خ ٢٥ ; الدعوات (ص ١٥٨) .

٣١ - وقد يظن الداعي أن تحقيق مطلوبه هو الخير له . وربما كان هذا صحيح ، وربما كان هناك خير منه (ما على ظهر الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء مثلها ، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم) .

٣٢ - وعلينا أن نتجنب الحمد على الناس ، ونذعو كل يوم (اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر) .

٣٣ - وعلى الإنسان ألا يسب مظاهر الطبيعة ، فإن رأى ما يزعجه فليجأ إلى ربه (لاتسبوا الريح ، فإذا رأيتم ما تسكروهون فقولوا اللهم إنا نسألك من

خير هذه الرياح ، وخير ما فيها ، وخير ما أمرت به . وأعوذ بك من شر هذه
الرياح ، وشر ما فيها ، وشر ما أمرت به) .

٣٤ - واستقامة العبد واستجابته لربه يقربان من إجابة الله له . وفيما
سبق من أحاديث أنه ذكر الرجل (يطيل السفر ، أشعث أغبر ، يمد يديه
إلى السماء يارب يارب ، ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذى بالحرام -
فأنى يستجاب له) .

٣٥ - وقد تعثرى المرء أزمات نفسية فيقول (اللهم إني أعوذ بك من
الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والسكسل ، وأعوذ بك من الجبن
والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال) .

٣٦ - ولا يدعو على شيء لا يستحقه (وإنه من لعن شيئاً ليس له بأهل ،
رجعت اللعنة عليه) .

٣٧ - وإذا رأى إعوجاجاً في الناس قال (اللهم لا يدركنى زمان
لا يتبع فيه العلم ، ولا يستحيا فيه من الحليم) .

٣٨ - وعليه أن يبدأ عمله مبكراً في الحديث : (اللهم بارك لأمتي
في بكورها) .

٣٩ - ولا يلوم على عاصي، وعليه أن يحمده الله على عافيته . وقد سبق
أن رجلاً جاء إليه وهو يحب الزنا فدعا له (اللهم طهر قلبه ، واغفر ذنبه ،
وحصن فرجه . فما كان شيء أبغض إليه بعد من الزنا) مستند أحمد عن أبي
أمامة .

٤٠ - وعلى الإنسان أن يعرف ربه في رخائه حتى يستجيب له في

وقت شدته (من سره أن يستجاب له عند السكر والشدائد فليكثر الدعاء عند الرخاء) .

٤١ - ومن دعاء داود (اللهم إني أسألك أربعا وأعوذ بك من أربع : أسألك لسانا ذا كرا ، وقلبا خاشعا وبدنا صابرا ، وزوجة تعينني في دنياي وآخرتي ، وأعوذ بك من ولد يكون علي سيدي ، ومن امرأة تشيبيني قبل وقت المشيب ، ومن مال يكون نعيما لغيري ووبالا علي ؛ ومن جار سوء إن رأى مني حسنة كتمها ، وإن رأى مني سيئة أفضاها) .

٤٢ - وعلى المرء أن يؤمن عند الدعاء خصوصا في الصلاة (إذا أمن الإمام فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه)
خ > ١ (الأذان) ص ٦٤ .

٤٣ - وليطلب من الله أن يقيه شر الديون للناس ، وأن يستعيز بربه من غلبة الدين (فما أكثر ما تستعيز من المغرم . فقال : إن الرجل إذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف) .

٤٤ - وكان يقول (اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، وأعوذ بك من فتنة الحيا والممات . اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم) خ > ١ (الأذان) ص ٦٧ .

٤٥ - وتجوز الصلاة على الناس فإنها دعاء لهم . فقد ورد (اللهم صل على آل فلان ، اللهم صل على آل أبي أوفى) (١) .

٤٦ - والرقية نوع من الدعاء (باسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا ، يشفي سقيمنا بإذن ربنا) خ > ٢ (الطب) ص ١٣٦ .

٤٧- وكان يقول عند الكرب (لا إله إلا الله . العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم) خ > ٢ (الدعوات) ص ٥٨ .

٤٨- ويروى : (اللهم إني أسألك لذنة العيش بعد الموت ، والنظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك) .

٤٩- وعلى الإنسان أن يتعد عن ظلم الناس حتى لا يتعرض لدعائم عليه (دعوة المظلوم مستجابة . وإن كان فاجرا ففجوره على نفسه) .

٥٠- وفي معنى الحديث (اتقوا دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب) خ > ١ (الزكاة) ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

الموضوع الرابع

تنبؤات

١- لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله . وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو . عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول ، فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا - ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ، وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا .

والغيب الحقيقي هو ما استأثر الله به . وقد يكون الغيب إضافيا أو تسيبيا . فهو غيب بالنسبة لمن يحمله ، وشهادة بالنسبة لمن يعلمه .

ونحن نتحدث في هذا المقام عن تنبؤات نبي ورسول ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى . فإذا كان الواقع بصدقه فذلك أمر ضروري ، لأنه يخبر بعلم ووحى من ربه .

وأول ما يصادفنا من هذه التنبؤات فتنة الإنسان في دينه وتسلط الدنيا عليه إلا من عصمهم الله (بادروا بالأعمال الصالحة فستكون فتن كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا ، ويصبح كافرا ويمسى مؤمنا - يبيع دينه بعرض من الدنيا) .

٢ - والإسلام يدعو إلى صالح الأعمال دائما ، فإن الإنسان يتقلب في حياته بين الضيق والفرج ، ثم ينتهى بما لا بد منه ، ثم يقدم للحساب على ما قدم (بادروا بالأعمال سبعا : فهل تنتظرون إلا فقرا منسيا ، أو غنى مطغيا ، أو مرضا مفسدا ، أو هراما ممغدا ، أو موتا مجهزا ، أو الدجال فشر غائب ينتظر ، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر) .

٣ - وقد أيد الله هذه الأمة بقدر تمسكها بأثر رسولها ، فإن كذبت عليه وابتدعت في الدين لماليس منه - فقد خرجوا من عداد المبشرين ، ووجب على المؤمنين أن يأخذوا حذرهم منهم (يكون في آخر أمتى أناس دجالون كذابون ، يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم ، فيأياكم وإياهم ، لا يضلونكم ولا يفتنونكم) .

٤ - وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم . والخروج على الله ورسوله والتنازع يسببان الفشل وينذران بالفناء ما لم تعصم بالدين ، ونعمل على وحدة الصف وإزالة ما في القلوب . ولا يقال إن الصلاح لم يزل في بعض أفراد من الأمة - فاتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة (دخل فزعا وقال ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ، وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها . فقلت : يا رسول الله أنهلك وبيننا الصالحون ؟ قال نعم ، إذا كثرت الخبث) . خ > ٢ (بدء الخلق) ص ٣٨ ، ٣٩ .

٥ - وتبقى الأمم وتزدهر حياتها بمقدار أمانة أهلها . فإذا ضاعت الأمانة

فما بينهم وهي أعم من الودائع ، فكلمة الحق أمانة والصدق أمانة ، وكل فضيلة في عنق الجميع أمانة . وسيأتي زمان ترتفع فيه هذه الأمانة ويكثر فيه النفاق والكذب والغش ، والويل للناس يؤمئذ من أنفسهم ومن الله (حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ، ثم نزل القرآن فعملوا من القرآن وعلموا من السنة . ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال : ينام الرجل النوم فتقبض الأمانة من قلبه ، ويظل أثرها مثل الوكت (١) . ثم ينام النوم فتقبض الأمانة من قلبه ، ويظل أثرها مثل أثر المجل (٢) كجمر دحرجته على رجلك فنفظ (٣) فتراه منتبرا (٤) وليس فيه شيء ، ثم أخذ حصاة فدحرجها على رجله . فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال إن في بني فلان رجلا أمينا . وحتى يقال للرجل ما أجلده ! ما أظرفه ! ما أعقله . وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان . ولقد أتى على زمان وما أبالي أيكم بايعت . لأنه إن كان مسلما ليردنه على دينه . وإن كان نصرانيا أو يهوديا ليردنه على ساعيه . وأما اليوم فما كنتم . أباع منكم إلا فلانا وفلانا) خ > ٢ الاستئذان ص ١٤٥ .

٦ - وإذا انتشر حب الذات وتحسنت الأهواء وأحس المؤمن كأنه في غربة ، فعليه نفسه - سائلا ربه أن يصرف عنه شر الأشرار (لأنه ستكون بعدى أثره وأمور تكروهونها . قالوا : فما تأمرنا ؟ قال : تؤدون الحق الذي عليكم ، وتسالون الله الذي لكم) :

٧ - ولقد كان غير خائف على الأمة من فقر ينزل بها ، ولكنه كان

(١) أى ناقصا . وهو بالتاء المشناه .

(٢) انتفاض اليد من أمر عمل شاق .

(٣) اضطرب .

(٤) مرتفعا .

يخشى أن تفتح الدنيا ذراعها فيتسابقوا إليها لينالوا متاعها بطريق غير مشروع ، فيحملهم التنافس على أن يضرب بعضهم رقاب بعض (أبشروا وأملوا ما يسركم - فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولسكنى أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها - فتهلككم كما أهلكتهم) (١) .

٨ - والصدق والوفاء من أعظم الفضائل . وقد أخبرنا أنه سيشتيع السكذب والإخلال بالوعود وسيطرة شهوات البطون على العقول . (خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم . ثم يكون بعدى قوم يشهدون ولا يستشهدون ، يخونون ولا يؤتمنون ، يذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السمن) . خ > ٢ (الشهادات) ص ١٠ .

٩ - ومن أعظم ما يصيب الإنسان أن تصادر حريته الدينية أو يفتن في دينه (يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شرف الجبال ومواقع القطر ، يفر بدينه من الفتن) خ > ١ (الإيمان) ص ١٠ .

١٠ - وقد حذرنا من تلاعب الشيطان بنا لإيقاع الشقاق في صفوفنا (إن الشيطان قد يئس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ، ولسكنه لم ينأس من التحريش بينهم) .

١١ - ولقد أندر أقواما يجيئون من بعده ، يظلمون الناس ، ونساء يغررن الرجال بمقاتتهم (صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات

رؤوسهن كأسنمة البخت ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها - وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا) .

١٢ - وقد تنبأ بكثرة المال في أيدي الناس (يكون خليفة من خلفائكم في آخر الزمان ، يحشو المال ولا يعده) .

١٤ - ولقد تنبأ بحروب مدمرة تحصد الرجال حصدا (ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب فلا يجد أحدا يأخذها منه ، ويرى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة - يلذن به من قلة الرجال وكثرة النساء) خ ١٠ (الزكاة) ص ٩٧ .

١٤ - ولسوف تنقرض جماعة سالحة ، تخلفها جماعة فاسدة الضمائر ، لا يبالئهم الله بالا (يذهب الصالحون الأول فالأول ويبقى حشالة كحشالة الشعير أو القمح لا يبالئهم الله بالا) (١) .

١٥ - وليست العبرة في الأمم بكثرة عددها بل بمقدار إيمانها وتمسكها ، وتمسكها بتراتها ، وبذل حياتها دفاعا عن مبادئها (يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها . فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن . قالوا : وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت) .

١٦ - وقد أشار إلى بعض البلاد بأنها ستكون مسرحا لفتن ، يمرح الشيطان بأناس فيها (اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا . قيل وفي نجدنا ؟

قال : هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان) خ > ١ (الاستسقاء)
ص ٧٧ .

١٧ - وقد يكون بعض ما تنبأ به لم يكشف لنا الله عنه بعد ، فلا نستطيع وقوعه - ففتى صح الخبر وثبتت نسبته إليه فهو واقع بالضرورة .
ومن هذه الأخبار نزول عيسى المسيح ليحكم بشريعة الإسلام ، ويصحح الأوضاع ، ويقتل الفتنان (ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد) (١) .

١٨ - وسيأتي زمان يكاد الناس لا يثقون في الرجل ولو حلف (ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته) (٢) .

١٩ - وللقيامة علامات تبعد وتقترب من قيامها ، فإن الزمان وإن طال علينا فهو حاضر من الأزل إلى الأبد أمام الله ، ليس هناك شيء بعيد عنه .
ونلاحظ أنه يذكر الحروب مرتبطة بقيام الساعة ، وفي ذلك من الإشارة إلى أن فناء الإنسان من أسبابه تلك الحروب المدمرة (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك صغار الأعين حمر الوجوه ذلف الأنوف كأن وجوههم المجان (٣) المطرقة . ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر) خ > ١ (الخور) ص ٢٠ .

٢٠ - ولقد أخبرنا عن زوال دولتين كبيرتين ، تحكمان الدنيا في عصره . وصدقت نبوءته والتاريخ خير شاهد (هلك كسرى ثم لا يكون

(١) خ > ١ (البيوع) ص ١٣٥ . (٢) خ > ٢ (الشهادات) ص ١

(٣) لا يستحيون من شيء ولا يباهون به .

كسرى بعده . وقصر ليهلكن ثم لا يكون بعده . ولتقسمن كنوزهما في
سبيل الله (خ ٢٠) الحور) ص ٢٤ .

٢١ - ولقد أشار إلى أوصاف لسكان بعض البلاد فقال (رأس الكفر
نحو الشرق . والفقر والخيلاء في أهل الخيل والإبل ، والفدادين أهل الوب .
والسكنينة في أهل الغم) خ ٢٠ بدء الخلق ص ٣٧ .

٢٢ - وما لفت النظر إليه أنه كلما تولى أمر الناس جماعة غير أكفاء ،
فهذا إيدان بالزوال (هلاك أمتي على يدي غلبة من قريش ، إن شئت أن
أسميهم بنى فلان وبنى فلان) (١) .

٢٣ - ويبلغ الخطر درجة يستحيل معه العلاج إن كان غير كفء يخدع
الناس باسم الدين ، فإنه يحطم الأمة من داخل نفوسها ، ويحطمها كذلك
في حياتها . إذ الخداع بالدين يصيب المرء في ضميره وحسه . وإمامة غير الأكفاء
تصيب المرء في أملة (يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء
الأحلام ، يقولون من قول خير البرية ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم
من الرمية - لا يجاوز إيمانهم حناجرهم : فأينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فإن قتلهم
أجر لمن قتلهم يوم القيامة) خ ٢٠ (إسلام أبي ذر) ص ٥٣ ، ٥٤ .

٢٤ - وهؤلاء الذين يفتنون الناس بغير علم ، الذين أوجب الإسلام
قتلهم - إنما استحقوا ذلك لأنهم يهللون الحرام (ليسكونن من أمتي أقوام
يستحلون الخير) (٢) والحرير والخمر والمعازف . ولينزلن أقوام إلى جنب
علم (٣) يروح عليهم بسارحة لهم ، يأتيهم حاجة فيقولون ارجع إلينا غدا ،

(١) خ ٢٠ (إسلام أبي ذر) ص ٥٣ .

(٢) أي يستحلون تمنه أي الزنا . (٣) أي جبل .

فبيتهم الله ، ويضع العلم . ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة)
خ ح ٢ الأشربة ص ١٣١ ، ص ١٣٢ .

٢٥ - وقد حذرنا من الفتن والسير فيها ، فإن التحريض عليها أو السعي
في إثارتها اشتراك فيها وجريمة تعظم أوزارها وقانا الله شرها (ستكون فتن
القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من
الساعي من تشرف^(١) لها تستشرفه ، ومن وجد فيها ملجأ أو معاذا فليعد به)
خ ح ٢ (الفتن) ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

٢٦ - ولما كانت الفتن أسبابا للأحقاد ، فالحروب فالدمار فالفناء . ربط
كل هذا بقيام الساعة واقترابها (لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض
الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى^(٢))

٢٧ - والرشاء والسكذب مع ما سبق من علامات الفناء (لا تقوم الساعة
حتى تقتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة . وحتى
يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين - كلهم يزعم أنه رسول الله . وحتى
يقبض العلم وتكثر الزلازل ، ويتقارب الزمان ، وتظير الفتن ، ويكثر الهرج
وهو القتل . وحتى يكثُر فيكم المال فيفيض حتى يهيم رب المال من يقبل
صدقته ، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا إرب^(٣) لي به . وحتى
يتناول الناس في البنيان . وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه
وحتى تطلع الشمس من مغربها . فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون -
فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت في إيمانها
خييرا . ولتقوم الساعة وقد نشر الرجلا ن ثوبهما بينما فلا يتبايعانه ولا

٢ - خ ح ٢ (الفتن) ص ١٥٥

١ - سعى لها فإنها تبتلعها .

٣ - حاجة .

يطويانه . ولتقوم الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته^(١) فلا يطعمه .
ولتقوم الساعة وهو يليب^(٢) حوضه فلا يسقى فيه . ولتقوم الساعة وقد
رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها) خ > ٢ (الفتن) ص ١٥٥ .

٢٨ - والموفق من ابتعد عن الفتن وانكرها قلبه وجوارحه (تعرض الفتن
على القلوب كالحصير عودا عودا ، فأى قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء ،
وأى قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين - على أبيض
مثل الصفا ، فلا نضره فتنة مادامت السموات والأرض . والآخر أسود
مربادا كالكوز مجخيا^(٣) ، لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب
من هواه) .

٢٩ - وقد حذرنا من خصال نذكرها والأسف يملأ قلوبنا أنها أدركتنا
ونسأله السلامة منها (يامعشر المهاجرين خصال خمس لمن ابتليتم بهن ونزلن
بكم أعوذ بالله أن تدركوهن : لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها
إلا فشى فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم . ولم ينقصوا المكيال والميزان
إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان . ولم يمنعوا زكاة أموالهم
إلا منعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا . ولم ينقضوا
عهد الله وعهد رسوله إلا سلط عليهم عدو من غيرهم فيأخذ بعضهم ما في
أيديهم . وما لم تحكم أمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم) .

٣٠ - وقد نهانا عن سب أصحابه . وما كنا نتصور أن أحدا يرضى ضميره
أن يظعن فيهم وهم السابقون الأولون المتبعون باحسان وقد رأينا من
يجرحهم باسم حرية البحث . ونسى أننا دونهم شأنا (لا تسبوا أصحابي ،
فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) خ > ٢
(فضائل الصحابة) ص ٥٧ .

٢ - يقترب منه .

١ - أعده .

٣ - خاويا .

الموضوع الخامس

(الرؤيا)

١ - كلما صفا القلب وسمت الروح ، تسكشف للإنسان في نومه ما كان محجوباً عنه في يقظته. ولعلماء النفس تفسيرات للاحلام تدور حول ما كان مشغولاً به الإنسان في يقظته . لكن قد يرى الإنسان في نومه ما لم يطرأ له على بال من قبل . ونرى أن التقريب لهذا هو أن القلوب الصافية ينضح عليها من الاشعاع العلوى ما يرسم لها خطوطاً سرعان ما يكشف الواقع عن صحتها (إذا اقترب الزمان ^(١) لم تكدر رؤيا المؤمن تسكذب ، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة) خ ٢٠ (التعبير) ص ١٥٢ ، ١٥٣

٢ - وقد يرى الانسان في منامه شخصاً يأمره بأشياء . فان كانت هذه الأوامر تتفق مع ما جاء به الشارع فهو صحيح ما يراه . وقد يكون النبي صلى الله عليه وسلم . وإن كانت الأوامر مخالفة ، فتلك أضغاث أحلام (من رأى في المنام فيسيرانى فى اليقظة ، أو كأنها يرانى فى اليقظة - لا يتمثل الشيطان بى) خ ١٠ (العلم) ص ١٩

٣ - وقد تكون الرؤيا سالحة . أعم من أن تكون مطمئنة أو مهددة إن وقعت منه مخالفة لله ، فتلك رؤيا سالحة من الله وإن كان فيها تهديد ووعيد أما إن رأى ما يطمئنه على مخالفة أو ما يهدده على استقامة - فذلك حلم أوحى إليه به الشيطان فلا يفزع منه ، وعليه أن ينحول عن الجنب الذى كان نائماً عليه ولينفض عن يساره . ويستحسن أن يتوضأ ويصلى ما شاء . ولا يخبر

(١) الزمان الذى يهتدو فيه القلب قلما تتخلف رؤياه عن الواقع .

أحدآ به كي لايعاوده الشيطان بوساوسه (الرؤيا الصالحه من الله ، والحلم من الشيطان - فن رأى شيئآ يكرهه فلينبث عن شماله ثلاثآ ، وليتعوذ من الشيطان فانه لا يضره) خ ٢٥ (بآء الخلق) ص ٣٧

٤ - ومن الناس من يختلق ويكذب ويرى عينيه ما لم تسكن رأته . وهذا ظالم افتري على الله كذبا وقال أوحى لى ولم يوح ليه شىء (إن من أعظم الفراء أن يدعى الرجل لى غير أبيه ، أو يرى عينه ما لم تر ، أو يقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل) خ ٢٥ (مناقب قريش) ص ٤٨

٥ - وكم كانت الرؤيا من المسلمين يقرهم النبي عليها فى الأذان وفى ليلة القدر (أرى رؤياكم قد تواترت فى السبع الأواخر - فن كان متحريرا فليتحررها فى السبع الأواخر) خ ١١ (فضل ليلة القدر) ص ١٢٦ ، ١٢٧

٦ - وما يراه الانسان فى نومه يجب أن يكون صادقا فيه ، كما يجب أن يكون صادق الحديث دائما (من تحلم حلمآ لم يره ، كلف أن يعقد بين شعيرتين ولم يفعل . ومن استمع لى حديث قوم وهم له كارهون صب فى أذنيه الآنك يوم القيامة) خ ٢٥ (التعبير) ص ١٥٣

الموضوع السادس

(الأولياء)

١ - هم المؤمنون الذين لم تنقطع صلتهم بالله والتزموا بما شرعه للناس أجمعين . فالإيمان والقيام بالفرائض والتزام الشرع - أصول لا بد منها لتحقيق الولاية. هؤلاء من آذاهم أو عاداهم فقد عادى الله لأنهم صور عملية لما شرعه، يحبه ويحبونه - أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، يجاهدون فى سبيل

الله ولا يخافون لومة لائم . يقومون بالفرائض ويتسابقون في التطوع إلى أن يستغرقوا بأحاسيسهم ، فلا يسمعون مكرها أو محرماً ولا ينظرون إليه ولا يمشون في طريقه . لا تغريهم الدنيا يلجأون إلى الله فيجيرهم (إن الله تعالى قال : من عاد لي ولياً فقد آذنته بالحرب . وما تقرب إلى عبدى بشيء أحب إلى مما افترضت عليه . وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه . فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ورجله التى يمشى عليها . وإذا سألتى أعطيته . وإن استعاذنى لأعيذنه) خ > ٢ (الاستئذان) ص ١٤٥

٢ - وتلك المنزلة العالية والهمة السامية - قد وجدت فيمن سبقنا من الأمم . ولا حرج على فضله أن يهب هذه الهمة لأناس من خير أمة أخرجت للناس ، وفي مقدمتهم من تعلموا من النبي مشافهة ، وسطعت عليهم أنواره (لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون فإن يك في أمى أحد فإنه عمر) خ > ٢ (فضائل الصحابة) ص ٥٨

٣ - ولقد نضح على قلبه مراد الله في غير موضع من القرآن . قال عمر (وافقت ربي في ثلاث : آية الحجاب ، ومقام إبراهيم ، وعسى ربه . . . الآية) خ > ١ (الصلاة) ص ٤١

وآية الحجاب نزلت عندما قال للنبي : أنه يدخل عليك البار والفاجر فلو أمرت نساءك أن يحتجبن . فنزلت (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) .

ومقام إبراهيم عندما أشار بالصلاة فيه . فنزلت (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) .

وعسى ربه . . . قالها تهديداً لبعض زوجات النبي اللاتي أغضبن
رسوله .

٤ - والأولياء يعملون ويجاهدون، ولا يستريحون على حساب الناس .
يعمل الناس ولا يعملون . ومع ذلك يلقبون (كان النبي سهرأ فقال : ليت
رجلا من أصحابي صالحاً يحررنا الليلة إذا سمعنا صوت سلاح فقام سعد بن
أبي وقاص بالحراصة) خ > ٢ (الحور) ص ١٩

وقصته وغيره بمن كرمهم الله وفيها كرامات الأولياء سأوردها في باب
القصص .

ومن الناس أدياء يعبدون المال وييغون الجاه ، لا ترى لهم عملاً ينتفع
به . وعودوا أنفسهم الكسل وزهدوا في العلم ، ومع ذلك يسميهم بعض
الناس أولياء (تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخيصة - إن أعطى رضى
وإن لم يعط سخط . تعس وانتكس . وإذا شيك فلا انتقش^(١)) . طوبى لعبد
أخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماء ، إن كان في الحراصة
كان في الحراصة . وإن كان في الساقية كان في الساقية . إن استأذن لم يؤذن له
وإن شفع لم يشفع) خ > ٢ (الحور) ص ١٩

٦ - ومن أراد أن يتعرف على نماذج صالحة من المؤمنين الأولياء فليرجع
إلى تاريخ الصحابة ليعرف مدى أعمالهم (لسكل أمة أمين وأمين هذه الأمة
أبو عبيدة) خ > ٢ (فضائل الصحابة) ص ٦٠

(١) لم يستخرج له ما شيك به ، ولم ينتبه إلى ما ينبه الفطن .

٧- وها هو على بن أبي طالب يقول له النبي (ألا ترى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه ليس نبي بعدي) (١)

٨- وقد حدد الشارع مظهر أ من مظاهر الولاية ، وبين منزلتهم العظيمة عند الله (يا أيها الناس اسمعوا واعقلوا ، واعلموا أن الله عز وجل عبادة ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يرغبهم النبيون والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله . فقال أعرابي : لمنعتهم لنا ؟ قال النبي : هم ناس من أفناء الناس ونوازع القبائل لم تصل بينهم أرحام متقاربة ، تحابوا في الله وتصافوا . يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها . فيجعل وجوههم نوراً وثيابهم نوراً ، يفزع الناس ولا يفزعون . وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

٩- وهم يتقبلون في البلاء ويصبرون عليه . أحسنوا عبادة ربهم وقنعوا بالكفاف . لا يعرفهم الناس - ليس لهم خرافات تردد عنهم (إن أغبط أوليائي عندي لمؤمن خفيف الحاذ (٢) ذو حظ من صلاة ، أحسن عبادة ربه ، وأطاعه في السر ، وكان غامضاً في الناس ، لا يشار إليه بالأصابع . وكان رزقه كفافاً فصبر على ذلك . ثم تقر بيده فقال : عجلت منيته . قلت بوا كيه . قل ترائه) .

(١) خ ٢٣ (غزوة تبوك) ص ٩٢

(٢) خفيف الظهر -

(الموضوع السابع)

العلم

١ - إن كل علم لا يعمل به صاحبه هو حجة عليه عند الله . ولا بد من أن يكون كل قول مصحوبا بعمل (يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فنندلق أفتاب بطنه ، فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى ، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يا فلان مالك - ألم تذكّر ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : بلى كنت أمر بالمعروف ولا آتية ، ونهى عن المنكر وآتية) (١)

٢ - ولقد دعا الإسلام إلى العلم ، وأكرم طلابه ، وشاد بمطلبهم .
(الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضاء بما يطلب) .

٣ - وقد قارن الإسلام بين العابد على علم والمتعبد بجهل ، فأظهر فروقا بعيدة بينهما لا يكادان يجتمعان . فإذا أضاف العالم العامل بعلمه تعليمه للناس فقد اكتسب ربها لا يكاد يحصل عليه بعمل آخر (فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم . ثم قال : إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ، ليصلون على معلم الناس الخير) .

٤ - وقدورث العلماء تركة الأنبياء ، فانهم ما تركوا لأمتهم مالا أوجاها ، ولكن تركوا لهم معارف يحملها ويحافظ عليها علماءهم الذين شرفهم الله ، واستأمنهم على ما استأمن عليه أصفياه ومرسله (العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، إنما ورثوا العلم - فن أخذه أخذ بحظ وافر) .

٦ - ولقد أخذ الله على العلماء الميثاق ، وأوجب عليهم تبليغه وتبيينه ، ووجه الناس إليهم يسألونهم عن حكم يجهلونّه . وإذا كان قد بشرهم فإنه كذلك

(١) خ (بدء الخلق) ص ٣٦

توعدهم إن هم كتموا شيئاً يعلونه (من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار)

٦ - ومن العلم ما يجب أن يبذل للناس كالماء والهواء - وهو ما يحتاج إليه العبد لتصحيح دينه . وحينئذ يجب على العالم أن يبذله لله ، وأن يكون تعلمه له من أجل الله لا من أجل الدنيا . فإن اتجهت نية العبد إلى طلب الدنيا عن طريق تعلم علم يحتاج إليه الناس في دينهم ، فقد خسر دنياه وآخرته (من تعلم علماً مما يتنقى به وجه الله عز وجل ، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف^(١) الجنة يوم القيامة) .

٧ - ومن حكمته أنه لا يمحو العلم من أذهان الناس ، ولكن إذا أراد بقوم سوء فإنه ينتقص من علمائهم بأن يتوفاهم . وتحدث للناس أفضيات لا يجدون من يسألونه ، وعندئذ يلجأ الناس إلى الأدعياء فيسألونهم فيفتونهم بغير علم ، فيقع المفتى والمستفتى في ضلال وحيرة . والويل لمن ألقى الناس بغير علم (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا) خ - ١ (العلم) ص ١٨ .

٨ - ومن العلم ما يحرم تعلمه - كالسحر إلا للعالم عامل يتعلمه ليحذر الناس من شروره وليميز بينه وبين المعجزة كما قيل .

وللسحر حقيقة كما قال أهل السنة ، وليس بخيال كما زعم الزاعمون الذين حكموا العقل في مسائل لا يعرفون كتبها . ومن الأولى أن نحمل النصوص على ظاهرها كي لا تصطدم بالواقع على أننا نعتقد أن الله هو النافع الضار ،

لكن يهيمىء الأسباب . وهام الصحابة يسألون عن السحرة فيقول لهم النبي :
(ليسوا بشيء . فقالوا : يا رسول الله أنهم يحدثون أحيانا بشيء فيكون
حقا . فقال : تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى فيقرها في أذن وليه ، فيخلطون
معه مائة كذبة)

(٩) ومن أصدق حسا وأبعد عن الخرافات من أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ؟ ومن أعلم بالحقائق منه ؟ لم يعترض على أصحابه أن يقولوا
كلاما دقيقا . لأنهم يحدثون أحيانا بشيء فيكون حقا . فهل أنكر عليهم أنه
حق ؟ أو أنه بين لهم كيف يحصل السحرة على ذلك الحق ويكذبون من عند
أنفسهم ، شأن كل انسان كذاب لانجد له في كل مائة كلمة كلمة صدق . وليس
علم السحر بما يمت بصلة إلى علم الغيب ، فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى
من رسول . وما أبعد السحرة عن الرسل ، فإن بينهما حواجز كثيفة وفوارق
بعيدة . فالرسل يتلقون عن الله ، والسحرة يتلقون عن الشياطين - وهى
لا تنزل إلا على كل أفاك أثيم ، يلقون السمع وأكثرهم كاذبون . فالشياطين
كذبة ، وأولياؤهم من الإنس أكذب منهم (إن الملائكة تنزل من العنان وهو
السحاب ، فتذكر الأمر قضى فى السماء فيسترق الشيطان السمع فيسمع معه فيوحيه
الى الكاهن فيكذبون معه مائة كذبة من عند أنفسهم) (١)

(١٠) وقد يتعلم البعض من سير النجوم علما - هو شعبة من السحر (من
اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد)

(١١) أما التشاؤم الذى قد يعتاد عليه بعض الناس من غير أن يتحرر
من سلطانه - فالمطلوب من ذلك المتشاؤم ألا يمنعه تشاؤمه عن خير ولا يصدده
عن عمل . وإلا فقد رجع بنفسه إلى الجاهلية التى أنقذنا الله من شرورها ،
وإلى الشرك الذى نقى الإسلام أبناءه من جراثيمه .

وأما علم الفلك - فعلم قيم احتوى من دقائق البحث ما يجعلنا نقطع بأن مصدره السماء (ومنا رجال يتطيرون؟ قال: ذلك شيء يحدونه في صدورهم فلا يصدهم. ومنا رجال يخطون؟ قال: كان نبي من الأنبياء، يخط فن وافق خطه فذاك)

١٢ - لكن من الناس من يبالغ ويغالى، فيضيف إلى الحق زورا وإلى الصدق بهتاناً، فإن صدقت عنده نظرية اندفع لتقديس قائلها، ونسى دينه فأمن بعلمه المحدود وكفر بربه (هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: قال أصبح من عبادى مؤمن بى، وكافر بى فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب. وأما من قال مطرنا بنوء كذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب) خ ١ (العلم) ص ١٩، ٢٠.

١٣ - وعلى الإنسان أن يتشرب من روح العلم النافع - فيهدب نفسه وأن يترفع بها عن الجدل والسفسطة، وأن يتواضع، يبغى الحق ويدعن له (لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء، ولا تماروا به السفهاء، ولا تخيروا به المجالس - فن فعل ذلك فالنار النار).

١٤ - وأخطر شيء على الجماعة الإنسانية عالم لا ضمير معه، سايط اللسان قوى البرهان، يخدع الناس بدهائه (إن أخوف ما أخاف عليكم بعدى منافق عليم اللسان).

١٥ - وقد حض الإسلام على تعلم العلم - ومنه ما يكون تعلمه فرض عين وهو ما يحتاج إليه كل إنسان. ومنها ما هو فرض كفاية وهو ما تحتاج إليه الجماعة. وتعلم العلم بفرعيه خير من صلاة يؤديها صاحبها بغير علم (لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلى مائة ركعة، ولأن تغدو فتعلم باباً من العلم عمل به أو لم يعمل به خير لك من أن تصلى ألف ركعة).

١٦ - وكم كان الشيطان يلعب بجهالة العباد ويفسد عليهم عبادتهم، ولا ينجو من حباله إلا فقيه حاد البصيرة (فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد)

١٧ - وخير ما يجنيه الإنسان من دنياه هو العلم - الذى يهديه للحق أو يردده عن الباطل - ولن يستقيم دين العبد حتى يكون تدينه بعلم وتعقل (ما اكتسب مكتسب مثل فضل علم يهدى صاحبه إلى هدى أو يردده عن ردا ، وما استقام دينه حتى يستقيم عقله) .

١٨ - والإيمان يحمل على البحث ويدفع المؤمن أن ينشد الحكمة أنى وجدها - فهى بغيته وهو أحق من غيره . ومن الإهانة له أن يكون غيره أغزر علما منه (الحكمة ضالة المؤمن ، فحيث وجدها فهو أحق بها)

١٩ - وسبيل الله كل طريق يلتمس فيها الخير . وطريق العلم هو من سبيل الله (من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع) .

٢٠ - وإذا كانت الأمم الحديثة تتباهى بمحو الأمية منها ، فإن الإسلام سبق إلى تقرير هذا المبدأ ، بل وذهب أبعد من هذا فقصر الأجر على العالم والمتعلم فقط (العالم والمتعلم شريكان فى الخير ، ولا خير فى سائر الناس) .

٢١ - وقد أوجب على كل إنسان أن يقول بما يعلمه إن سئل . فان لم يمكن يعلم فعليه أن يحيل السائل على من يعلم ، أو يقول له لا أدري وفوق كل ذى علم عليم . ولم تستح الملائكة أن تقول لا علم لنا إلا ما علمتنا (من علم شيئا فليقل به . ومن لم يعلم فليقل الله أعلم) خ ٢٣ (تفسير القرآن) ص ١٠٩ عن ابن مسعود .

٢٢ - وعلى العالم البيان للناس والعمل انفسه . فان لم يكن يعمل لكتنه يبين فقد حمل من الشر نصفه ، وكان كالشمعة تضيء للناس وتحرق نفسها .

٢٣ - وقد يكون للقليل من العلم ثمار طيبة ، وهو أفضل من علم كثير يصحب صاحبه غرور (وكفى بالمرء علما إذا عبد الله عز وجل . وكفى بالمرء جهلا إذا أعجب برأيه) .

٢٤ - ومن الناس من يسأل ليتعلم . وعلى العالم أن يجيبه ، والا كان ظالما . ومن الناس من يسأل للتعنت ، وعلى العالم أن يرشده للفائدة (لا تمنعوا العلم أهله ، فان في ذلك فساد دينكم والتباس بصائرهم . ثم قرأ إن الذين يكتبون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون . إلا الذين تابوا وأصلحوا وينبوا)

٢٥ - وبذل العلم من العالم يزيد في علمه ، وهو صدقة منه على من علمه . وكذا الناصح الأمين تعد نصيحته صدقة على من أرشده (تصدقوا على أخيكم بعلم يرشده ورأى يسدده) .

٢٦ - وتعلم العلم وتعليمه للناس فيه أجر غير ممنون ، فيه غفران الذنب ورفع الدرجات (تعلموا العلم وعلّموا فان أجر العالم والمتعلم سواء . قيل : وما أجرهما ؟ قال : مائة مغفرة ، ومائة درجة في الجنة) .

٢٧ - وعلى المعلم أن يكون بصيرا بالناس ، فلا يعلمهم معضلات العلم قبل البدهى منه (اذهب فاحكم ما هنالك ، ثم تعال أعلمك من غرائب العلم)

٢٨ - وقال عيسى عليه السلام (لا تضع الحكمة في غير أهلها فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم . كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء في موضع الداء) .

٢٩ - وعلى المتكلم في القرآن والسنة أن يبحث عن المأثور الصحيح قبل أن يبدي رأيه . فان وجد الله بيانا فيها ونعمت ، وإن لم يجد بحث عن بيان لرسوله صلى الله عليه وسلم - فهو أعلم الناس بمراد الله اذ عليه نزل . فان لم

يجد بياناً لرسوله بحث عن أقوال الصحابة فرأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا .
فان لم يجد اجتهد رأيه. فان قدم الرأى على النص فذلك هو الهوى (من فسر
القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار) .

٣٠ - وكل عمل يجب أن يكون لله . فاذا كان التعلم والتعليم لله فله تلك
البشارة (تعلموا العلم فإن تعلمه لله حسنة ، ودراسته تسييح ، والبحث عنه
جهاد ، وطلبه عبادة ، وتعليمه صدقة ، وبذله لأهله قرب) .

٣١ - وعلى العالم أن يواصل دراسته ، فحياة العلم مذاكرته . والدراسة
غذاء عقلي ممتع ، ولا يصح الإقناع بشهادة . فان ظن أنه أصبح عالماً لحصوله
عليها فذلك الجبل بعينه (لا يزال الرجل عالماً ما طلب العلم . فاذا ظن أنه قد
علم فقد جهل) .

٣٢ - وعلى العالم أن يكون مثلاً صالحاً لأبنائه - فينشئهم ويعلمهم في
مروءة ، واضعاً نصب عينيه أنهم سيواجهون زماناً غير الزمان الذي عاش
فيه (علموا أولادكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم) .

٣٣ - ويجب على العالم أن يرجع فيما يقول الى مصادر موثوق بها . فان
لم يعتمد على مصادر صحيحة كان ضرره أقرب من نفعه . وعليه أن يكون
يقظاً - لا يصدق كذبا ولا يكذب صدقا . فان شك ولا يمكنه الترجيح فعليته
أن يتوقف . وموقفنا من أقوال أهل الكتاب كما بين لنا (لا تصدقوا أهل
الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم) خ ٢
(تفسير القرآن) ص ٩٩ .

٣٤ - ويؤسفني أن يتضارب العلماء في أقوالهم ، في حين أنهم لو رجعوا
الى النص ربما لم يختلفوا . لكن منهم من يحكم عقله دون أن يتعب نفسه
فيرجع الى النصوص وأقوال العلماء . ومن الناس من يخلط بين استخدام

الجن وإلهامات الصالحين الملتزمين بالشرع . ونحن نقول في ثقة إن تحضير الأرواح فكرة لا أصل لها في الإسلام ، وأن إلهام الصالحين أمر ممكن - وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . لكن ليس على الصورة التي يروجها الفوغاه فلاصفياء سر مع ربهم - لا يزيدون ولا يحاولون أن يطلع عليه الناس .

أما استخدام الجن فنحن لا ننكره (إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها ، خضعنا لقولك كالسلسلة على صفوان ، فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسترقها الشياطين وهم فوق بعض . فربما أدركه الشهاب فيحرقه ، وربما لم يدركه ، فتصل الكاهن ويكذب معها مائة كذبة) خ ح ٢ (تفسير القرآن) ص ١٠٥

الموضوع الثامن

(الأسرة)

١ - هي تلك المجموعة الصغيرة المكونة من الزوجين والأولاد . وقد أوجب الإسلام على رب الأسرة كل ما تحتاج إليه حسب طاقته وحذره أن يضيع من يعولهم (كفي بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت) .

٢ - وقد يرزق الله الأسرة بأنث ربما لم ينشرح لهن صدر الزوجين وذلك جهل ونزعة جاهلية حكاها القرآن . « وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به - أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألاساء ما يحكمون » . وقد جاءت السنة فأمرت بالإحسان إليهن (من ابتلى من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن ، كن له ستراً من النار) خ ح ١ (الزكاة) ص ٩٧

٣ - وقد يشاء الله أن يموت رب الأسرة ، وتحتاج لمن يأخذ بيدها في الحياه ويقدم لها المساعدات . وهنا تظهر المرموات من ذوى الضمائر الحية والأخلاق الطيبة . وترغب السنة في الإحسان إلى كل محتاج ، وترفع الساعى على الأرملة والمساكين إلى درجة المجاهدين ، والذين لم تنقطع طاعتهم لله بأفضل العبادات . (الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله ، وأحسبه قال وكالقائم الذى لا يفتر ، وكالصائم الذى لا يفطر)^(١)

٤ - ولقد أوصى الإسلام الرجل أن يحسن اختياره لشريكه حياتاه ، فيها راحتها أو منها تنشأ متاعبه . وأساس الاختيار هو الصلاح فى الدين والدنيا معا (الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة)

٥ - ومن الخير للإنسان أن يجتهد فى رفع مستواه الاقتصادى ، وأن يعطى ولا يأخذ ، وأن يوفر حياة كريمة لمن يعولهم ، وألا ينسى حق الفقراء وذوى الحاجات (اليد العليا خير من اليد السفلى ، وأبدأ بمن تعول . وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى . ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله)
خ ١ (الزكاة) ص ٩٨

٦ - وقد راعى حق الأولاد ، حتى إنه ليرفض أن يوصى الانسان بكل ماله وله ذرية من بعده . وإذا كانت الوصية واجبة أو مندوبه للفقراء والأقربين غير الوارثين وهى من أعظم القرب ، فلا بد أن يحسب الموصى لأولاده حساباً . ولما جاء سعد بن أبى وقاص يوصى بماله كله قال له الثلث والثلث كثير (إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس وإنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعل فى

(١) خ ٢٣ (النفقات) ص ١٢٦

امر أتاك . قال : فقلت أخلف يا رسول الله بعد أصحابي ؟ قال : إنك لن تخلف فتعمل عملاً إلا ازددت به درجة ورفعة . ولعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون . اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ، ولا تردهم على أعقابهم . ولكن البائس سعد بن خولة يرثي له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن مات بمكة (بخ - ١ (الجنائز) ص ٨٨ ، ٨٩

٧ - ويتساءل بعض الناس عن تنظيم النسل ، وعن المرأه تختلف دورتها الشهرية ويظن حملها . فهل يجوز أن تتعاطى من الحقن ما يؤكد لها خلو الرحم من الحمل ؟ والذي نعلمه أن الجنين قبل أربعة أشهر لا روح فيه . فإذا كانت هناك ضرورة قبل الأربعة أشهر فلا ترضى به بأساً . وإذا كانت بعد الأربعة أشهر فلا يجوز إلا أن تهدد حياة الأم من الوضع . وتعاطى موانع الحمل أو استعمال وسائل الحيولة بن البويضة والحيوان لا بأس بها . ولنا مقال طويل في هذا المقام نرجو أن نضيفه إن لم يخرجنا عن موضوعنا ، لأنه أكثر صلة بالفقه .

وجاء الحديث يوضح أن الجنين لا روح فيه قبل أربعة أشهر . وأن عمله ورزقه وأجله وحياته - كل ذلك مكتوب ومعلوم عند الله . وعلم الله لا يصلح أن يكون حجة للإنسان ، فإن العلم صفة انكشاف ولا تأثير له - وقد سبق أن بينا أن للإنسان اختياراً (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل ملك فينفخ فيه الروح ويأمر بأربع كلمات : بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد . فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها . وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها) ج ٢ (بدء الخلق) ص ٢٣ (٦ م - نظرات في السنة)

٨ - ويدعو الإسلام إلى الوفاء بالشروط خصوصاً ما كان منها متصلاً بأركان العقد أو شروط صحته أو كماله (إن أحق ما وقيمت به من الشروط ما استحلتتم به الفروج) خ ٢٠ (الشروط) ص ٧

٩ - ومن المحافظة على حياة الأسرة وتماسك بنيناها ألا تهتم . بحجة بمن حلفه رب الأسرة وله كفارة . ومن الخير للعبد أن يكفر عن يمينه ، فإن الله نهى عباده أن يمتنعوا عن البر أو التقوى أو الإصلاح بحجة أنهم حلفوا بالله (لأن يلبج أحكم يمينه في أهله ، آثم له عند الله تعالى من أن يعطى كفارته التي افترض الله عليه) خ ٢٠ (الأيمان والتذور) ص ١٤٨ ، ١١٩

١٠ - ويجب على المسلم أن يؤدي ما عليه من مهر ، فإنه مسئول عنه عند الله (أيما رجل تزوج امرأة على ما قل من المهر أو كثر ليس في نفسه أن يؤدي إليها حقها خدعها فمات ولم يؤدي إليها حقها - لقي الله يوم القيامة وهو زان . وأيما رجل استدان ديناً لا يريد أن يؤدي إلى صاحبه حقه خدعه حتى أخذ ماله فمات ولم يؤدي إليه دينه - لقي الله وهو سارق) .

١١ - وعلى الإنسان أن يعامل أهله بالإحسان (إذا دخلت على أهلك فسلم ، يكن بركة على أهل بيتك)

١٢ - وللبيوت حرمة يجب أن تصان ، وقد صانها الإسلام بالإستئذان قبل دخولها (الاستئذان ثلاث فإن أذن لك وإلا فارجع) (١)

١٣ - وعلى المستأذن ألا يمد بصره داخل البيوت فيرى عوراتها (إنما جعل الاستئذان من أجل البصر) خ ٢٠ (الاستئذان) ص ١٤٢

١٤ - وعلى المستأذن أن يذكر اسمه عند السؤال عن من ينادى . وبعض الناس يقول أنا - وهذا مكروه : فقد جاء في بعض الروايات (من هذا ؟ فقلت أنا . فقال : أنا - كأنه كرهها) (١)

١٥ - وعلى المسلم أن يحترم أهله : فلا يغيب عنهم طويلا فإن طم حقا عليه - فإن سافر لمصلحة فعليه أن يعود فور انتهاء مصلحته (السفر قطعة من العذاب ، يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه - فإذا قضى أحدكم نهمته من سفره فليعجل إلى أهله) خ ١٦ (العمرة) ١١٦

١٦ - وإذا سافر المرء وطالت مدة سفره فليخبر أهله بعودته حتى يرى منهم ما يحبه ؛ ولا يفجأهم فر بما يراهم في غير استعداد للقاءه فيغضبه ذلك منهم . (إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرقن أهله ليلا) خ ١٦ (العمرة) ص ١١٦

١٧ - وعلى المرأة أن تراعى مشاعر زوجها ، فلا تجلس بمفردها مع رجل محتجة أن الثقة بها أمر ضروري وواجب على الرجل ، فإن المسألة ليست مجرد ألفاظ رنانة . فإذا دعا الاسلام إلى أخذ الحيلة صيانة للعرض وحماية للمرأة ، فهو لم ينقصها حقها بل يزيد في تكريمها (لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم ، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم . فقال له رجل : يارسول الله ان امرأتى خرجت حاجة وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا قال : انطلق فحج مع امرأتك) (٢)

١٨ - وقد راعى الإسلام شعور الزوج إلى أبعاد الحدود ، إلى حد أنه

(١) خ ٢٣ (الأحكام) ص ١٥٦

(٢) خ ٢٣ (العور العين) ص ٢٣

قد يمنع الزوجة من طاعة مندوبة ما لم يأذن الزوج بها كي لا يتطلع لغيرها
لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه (خ ج ٢) (النكاح)
ص ١٢٢

١٩ - وعلى المسلم أن يعدل بين أولاده ولو في القبلة ، وكم رأينا عقداً
تكونت من سوء تصرف آباء وأمهات لا ينون بميزان العدل بين أبنائهم
(إني نحتت ابني هذا غلاماً . فقال له النبي : أكل ولدك نحتت مثل هذا ؟
فقال لا ، قال النبي : ارجع) وفي رواية (اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم) وفي
رواية (أشهد عليه غيري - لا أشهد على جور . ثم قال للسائل : أيسرك أن
يكونوا في البر سواء ؟ قال نعم . قال : فلا إذن) خ ج ١ (الهبة) ص ١٥٤
ينكر النبي على بشير والد النعمان أن يخصه بشيء دون اخوته .

٢٠ - وعلى الزوجة أن تراعى حق الزوج وسمعة نفسها ولو بعد وفاة
الزوج (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحسد على ميت
فوق ثلاثة أيام ، إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً) خ ج ١ (الجنائز)
ص ٨٧

٢١ - وخير ما ينفقه الإنسان من المال ما أنفقه في حاجة أولاده
الضرورية لهم (دينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته في رقبة ، ودينار
تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك - أعظمها أجراً الذي
أنفقته على أهلك)

٢٢ - ومن فضل الله أنه اعتبر الانفاق على الأهل ابتغاء وجه الله وقياماً
بالواجب يعد ذلك من الصدقات (إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة وهو
يحتسبها كانت له صدقة) (١)

(١) خ ج ٢ (النفقات) ص ١٢٦

٢٣ - وأنه قد تواجه الإنسان مشاكل اقتصادية يحاول معها ، ولكي يتغلب عليها أن يتنوع عن الإنجاب . وليس هذا التصرف تدخلا من العبد في قضاء الله - فكل شيء بقضائه . ونحن نفر من قضاء الله إلى قضاء الله . وفي الحديث : (كذبت يهود لو أراد الله أن يخلقه ما استطاع العبد أن يصرفه)

٢٤ - فإذا اتخذ الإنسان العزل وسيلة لمنع الحمل ، فلا بد من رضا المرأة به . وإذا عزل الإنسان بدون مبرر بأن كان موسرا فذلك لا يجوز له - ولعله ورد في هذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : (العزل ذلك الوأد الخفي) .

٢٥ - ولا مانع من أن يستعمل الإنسان وسائل جربت من غير إحداث ضرر (لقد هممت أن أنهي عن الغيلة^(١) ، فنظرت إلى فارس والروم فإذا هم يغيلون ولا يضر أولادهم ذلك شيء) .

٢٦ - وقد يحدث الضرر من عامل وراثي . فعلى كل من يرغب في الزواج أن يبحث عن المرأة الصالحة الصحيحة (تخبروا لنطفكم فإن العرق دساس) .

٢٧ - ويختلف الناس في مقاييسهم للمرأة الصالحة . فمنهم من يندد الجاه أو المال أو الجمال أو أى شيء من زينة الدنيا ، صارفا نظره عن شيء أهم من كل هذا (خير النساء امرأة إن نظرت إليها سرتك ، وإن أمرتها أطاعتك ، وإن غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها) .

٢٨ - والمندفعون وراء اللذة فقط يقعون في أزمات يصعب التخلص منها وهم طالعنا الواقع أن الميزة التي دفعت الرجل الى الزواج من المرأة ليستمتع بتلك الميزة - كانت هي السبب في تحول جنة كان يبتغيها الى جحيم يحاول الفرار منه (لاتزوجوا النساء لحسنهن - فغسى حسنهن أن يردينهن .

(١) إتيان الأم وهي ترضع ، أو حملها وهي ترضع .

ولا تزوجهن لأموالهن فعبسى أموالهن أن تطغين ، ولكن تزوجهن على الدين . ولأمة سوداء ذات دين أفضل)

٢٩ - ونرى اتجاهات للناس مختلفة لها صلة بالزواج . فبعض البيئات الريفية تصر على ألا يرى الخاطب مخطوبته . وفي المدن تغالى فتترك الحبل على الغارب للخاطب والمخطوبة كأنهما زوجان ، فتحدث أزومات من كلا التقليدين . وخير الأمور الوسط (أنظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما)

٣٠ - والأخلاق التي ينشدها المحافظون في بحثهم عن الزواج هي ما تمثلت صورها في مقررات الاسلام وفيها الخير كله . (من نكح امرأة لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها . ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها)

٣١ - وقد يتوقف بعض الناس في هضم وتقبل هذه النتائج العكسية . كيف يتزوجها للمال والجمال فتكون النتيجة حرمانه منهما ؟ ونحن نستشهد على هذا أولا : بخبر الصادق صلى الله عليه وسلم . وثانيا : بالواقع الذي يكشف لنا كل يوم عن هذه النتائج . وثالثا فالدراسة لنفسية المرأة تكشف لنا عما فيها من كبرياء وغرور حين ترى اندفاعا نحوها أو إلى ما في يدها (من تزوج امرأة لعزها لم يزد الله إلا ذلا . ومن تزوجها لمالها لم يزد الله إلا فقرا . ومن تزوجها لحسبها لم يزد الله إلا دناءة . ومن تزوج امرأة لم يردبها إلا أن يخض بصره ويحصن فرجه أو يصل رحمه بآرك الله له فيها وبارك لها فيه)

٣٢ - ويجب الا تكون المادة عقبة في طريق اتمام الزواج ، فقد نهينا عن التكلف في حياتنا . والتساهل في الزواج بالذات من أهم العوامل لاستقرار الحياة الزوجية وقيام المودة بينهما (أعظم النساء بركة أيسرهن صداقا)

٣٣ - والمقياس الصحيح للرجل أن يكون ذا خلق ودين - إن أحبها أحسن إليها ، وأن أبغضها لم يظلمها . (إذا خطب اليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)

٣٤ - والإحسان الى المرأة بما أكد النبي الوصية به (اتقوا الله في الضعيفين : المملوك والمرأة)

٣٥ - ومن الناس من يتزوج ثم يعيش في مكان وأسرته في مكان من غير ضرورة - وهذا خطأ . والواجب الرعاية الفعلية (الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم)

٣٦ - والبيت هو المدرسة الأولى ، فيه يتعلم الطفل وفيه يتلقى أسلوبا خاصا لحياته . ومن هنا تقع مسئولية تنشئته على الوالدين (كل مولود يولد على الفطرة ، وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه) خ ج ١ (الجنائز) ص ٩٢ بالمعنى .

٣٧ - وتلعب المرأة دورا خطيرا في حياة الرجل ، وإذا كانوا يقولون إن وراء كل عظيم امرأة .. فعليهم أن يتدبروا ذلك الأثر كذلك (ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء) (١) .

٣٨ - وأول شيء يجب على الزوجين نحو الأولاد بعد قيامهما بالحاجات الأولية للحياة .. أن يقوموا بغرس المبادئ الصالحة في نفوس الأولاد . ومن أهمها تعودهم على الصلاة من الصغر لتسمى فيهم الشعور بالمسئولية والنظافة والنظام والمحافظة على الوعود وغير ذلك من الفضائل (مرؤا أولادكم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع) .

(١) خ ج ٢ (الشكاح) ص ١١٩ .

٣٩ - وإذا عرف الطفل ربه عن طريق سهل، وقربناه إلى ذهنه بصورة محسوسة هي أن كل ما يرضى أبويه يرضى ربه عنه . فان الطفل سوف يعرف ربه عن هذا الطريق ولا يعصى والديه صغيرا كان أو كبيرا (رضا الله في رضا الوالد ، وسخط الله في سخط الوالد) .

٤٠ . ومن عوامل التنشئة الصالحة أن يشرك الوالد أولاده معه في بعض المسائل التي تدرکها أذهانهم ، فيحسوا بمسئولية الوالد نحوهم وكيف يتعب في الحياة من أجلهم ، فإذا شبوا كانوا على وعى وعرفان للجميل الذي قدم لهم ، فلم يحدوا نعمة أبيهم عليهم . كما روى أن ولدا جاء يشكو والده للنبي قائلا : إن أبي يأخذ من مالي . فاستدعى أباه فقال : كنت غنيا وهو فقير وقويا وهو ضعيف - وقد تبدلت الأحوال وأصبحت فقيرا وهو غني وضعيفا وهو قوي - أفلا آخذ من ماله ؟ فسبى النبي وقال : (ما من حجر ولا مدر يسمع هذا إلا بكى - أنت ومالك لا يبكى) .

٤١ - ومن حقوق الأبناء على الآباء أن يعلموهم (علموا أولادكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم) .

٤٢ - وعلى الرجل أن يدرس نفسية المرأة فيخاطبها على قدر ادراكها ، ويعلم أن عاطفتها قد تنسبها ما قدم لها من معروف فتكره زمانا يسيرا - ثم تعود فتذكره (لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كاه ثم رأته منك شيئا قالت ما رأيت منك خيرا قط) خ ج ١ الكسوف ص ٧٨ .

٤٣ - وليستغف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله وكل راغب في الزواج أن يعد العدة له من القدرة على الانفاق ، فان لم يستطع الإنفاق فليسلك سبيل الوقاية التي حددت له من صوم يخفف من سلطان الغريزة الجنسية بالتقليل من الطعام . والمفروض أن هذا لم تسمح له ظروفه أن يعيش في سعة (من استطاع منكم الباءة فليزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج . ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء) خ ج ١ (الصوم) ص ١٢٢

٤٤ - وللمقدرة على الاتفاق دخول كبير في استقرار الحياة الزوجية ،
فلمرأة مطالب قد تتعب الرجل كما أتعبت النبي صلى الله عليه وسلم . ويروى
أنه : (آلى من نسائه شهرا)^(١) أى حلف لا يقربهن لما طلبن منه من يدا من
الحياة الدنيا وليس عنده .

٤٥ - والمرأة أن تأخذ من مال زوجها ما يكفيها بالمعروف - رضى
أو لم يرض ، علم أو لم يعلم (جاءت هند إلى النبي فقالت : إن أبا سفيان رجل
شحيح فهل على جناح أن آخذ من ماله سرا ؟ قال : خذى أنت وبنوك ما يكفيك
بالمعروف)^(٢) .

٤٦ - وفي رأينا أن للمرأة أن تشتترط على خاطبها ألا يتزوج عليها ومن
واجبه الوفاء بهذا الشرط ، وان كان بعض الفقهاء لا يلزم أن يوفى بهذا
الشرط . وسندنا في ذلك ما روى : (خطب علي بن أبي طالب بنت أبي جهل
فأنت فاطمة بنت النبي وقالت : يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك . فقال
النبي صلى الله عليه وسلم : أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدثني وصدقني ،
وإن فاطمة بضعة مني وإنى أكره أن يسوءها . والله لا تجتمع بنت رسول الله
وبنت عدو الله عند رجل واحد . فترك على الخطبة)^(٣) وللقصّة تأويلات
نميل إلى ما اخترناه من أن الظاهر انه كان قد اشتترط عليه الا يتزوج عليها ،
كما اشتترط على أبي العاص حين تزوج بزَيْنَب . هذا إذا تأكد أن الحديث كان
قبل نزول ولا تنكحوا المشركات والله أعلم .

٤٧ - وإذا اتفق الزوجان على العزل فلا بأس بذلك كما سبق (سألناه
عن العزل فقال : ما عليكم ألا تفعلوا ما من نسمة كائنة الى يوم القيامة الا هي
كائنة) خ ج ٢ (غزوة بنى المصطلق) ص ٧٨ .

١ - خ ج ١ (الصوم) ص ١٢٢

٢ - خ ج ١ (البيوع) ص ١٣٤

٣ - خ ج ٢ (فضائل الصحابة) ص ٥٩

٤٨ - والإيقاع عن الزواج والتفرغ للعبادة بدعة ردها رسول الله كائنت
أنه : (رد على عثمان بن مظعون التبتل ولو اذن له لاختصيننا) ج ٢
(النكاح) ص ١١٨ .

٤٩ - وللزواج احكام عديدة تتصل بالفقه، ويكفيها ان نشير إلى ما
يترتب على الرضاع من تحريم النكاح - فلو رضع الكبير من ام الزوجة
فانه لم يكن اخا بهذا الرضاع ، لأنه وقع في غير مدة الرضاع فلا يتعلق به
تحريم (انظرن من إخوانك - فانما الرضاة من المجاعة) ج ٢ (النكاح)
ص ١١٩ ، ١٢٠ .

٥٠ - وإذا تزوج زيد أخت عمرو مقابل أن يتزوج عمرو أخت زيد -
فذلك الشغار المنهى عنه : (نهى عن الشغار) ج ٢ النكاح ص ١٢٠ .

٥١ - وللبنت الثيب أن تختار زوجها بنفسها لا يرغمها أبوها على الزواج
من انسان لا ترضى به (رد النبي نكاح الأب لابنته الثيب)^(١) أى التى زوجها
أبوها من غير أن توافق .

٥٢ - وعلى الزوج حين يأتي أهله أن يذكر الله فيقول باسم الله فان ذلك
يجنب ما يرزق به من الأولاد - يجنبهم الشيطان . وهذه من الآداب الإسلامية
المحمودة (أما لو أن أحدهم يقول حين يأتي أهله باسم الله اللهم جنبني
الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ، ثم قدر بينهما في ذلك أو قضى بينهما ولد
لم يضره شيطان أبدا) ج ٢ (النكاح) ص ١٢١

٥٣ - فاذا كرهت المرأة زوجها ولم ترض العيش معه ، كان عليها أن
تفتدى نفسها فترد على زوجها ما أخذت منه من مهر - وهذا هو المعروف
بالخلع ، وأنه لأعدل من الأفكار المتطرفة يمينا ويساراً ، فبعضها يمنع الطلاق

(١) ج ٢ النكاح ص ١٢٠ ، ١٢١

وبعضها يبيح للمرأة أن تنفصل عن الرجل متى شاءت. ولائكى لا يصبح الزواج تجارة في أيدي النساء ، ولا يصبح الطلاق لعبة في أيدي الرجال - شرع الخلع وشرعت النفقات على الرجل المطلق (قالت زوجة ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خلق ولادين ، ولائكى اكره الكفر في الإسلام . فقال النبي . أتريدين عليه حديقته ؟ قالت : نعم . فقال له : أقبل الحديقة وطلقها تطليقة) خ ج٢ (الطلاق) ص ١٢٥

٥٤ - وإذا رأى الزوج من زوجته الفاحشة ولم يكن له شهاد - فعليه أن يلاعن . يحلف أربعة إيمان أنه لصادق والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان كاذباً . وتحلف المرأة أربعة إيمان إنه لكاذب وفي الخامسة أن غضب الله عليها إن كان صادقاً . فإذا حللنا فرق بينهما القاضى . وهل تحمل له بعد أو لا ؟ وهل يتم اللعان بمجرد الحلف أو بتفريق القاضى ؟ وإذا نكحت المرأة فهل تحمد أو لا ؟ أقوال عند الفقهاء . ولما لاعن هلال بن أمية زوجته قال النبي للبتلاءعنين : (حسابك على الله ، أحديك كاذب لاسئيل لك عليها . قال الزوج مالى . قال له : لا مال لك . ان كنت صدقت عليها فهو بما استحلتت من فرجها . وان كنت كذبت عليها فذلك ابعده لك)^(١)

٥٥ - وإذا رزق الله الأسرة بـغلام - فعليهم أن يعقوا عنه بنذبح شاة في اليوم السابع . كما روى : (مع الغلام عقيقة - فأهريقوا عنه دماً وأميطوا عنه الأذى) خ ج٢ (العقيقة) ص ١٢٩

٥٦ - وقد سبق أن للبيوت حرمة يجب أن تصان ويعاقب المعتدى عليها (لو اطلع في بيتك احد فلم تأذن له فحذفته بحصاة ففقت عينه ما كان عليك من جناح) خ ج٢ (الديات) ص ١٥٢

(١) خ ج٢ (الطلاق) ص ١٢٥ ، ١٢٦

٧: - والطلاق من أبغض الحلال الى الله ، لا يصح للناس أن يتلاعبوا به ، ولا يصح للمرأة أن تطلبه من غير مبرر (أيما امرأة سألت زوجها طلاقاً من غير بأس - فحرام عليها راتحة الجنة)

الموضوع التاسع

(حقوق الأقارب)

(١) لم نعرف دعوة من الدعاوى عرفت للأقربين حقوقهم مثل دعوة الإسلام ، فإنه أوصى بهم خيراً . وشملت دعوته رعاية حق الأقارب على اختلاف جهاتهم . والأقارب في المسكن كحقوق الجار . ومن تأكيده لحقوق الأقارب أن الله يجازى بالإحسان من قام بحقوقهم (إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة . قال : نعم - أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت بلى . قال : فذلك ثم قرأ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم) خ ج ٢ (تفسير القرآن) ص ١١٣ .

(٢) ولقد دعينا إلى صلة الرحم في غير موضع . وأن بتلك الصلة يحصل المرء على أحب ما يتمناه في الدنيا (من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه) خ ج ١ (البيوع) ص ١٢٩ .

(٣) وقد يتلى الإنسان بأقارب يقابلون إحسانه بالإساءة فهل ينقطع عنهم ؟ كلا : لأنه يجب عليه أن يداوم الصلة وإن قابلوا الإحسان بالإساءة -

فإنه معه نصير من الله ، ومن عفا وأصلح فأجره على الله (إن لي رحماً
أصلهم ويقطعونني وأحسن إليهم ويسيوون الي، واحلم عنهم ويجهلون علي .
فقال : لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل (١) ولا يزال معك من الله ظهير
عليهم مادمت على ذلك) .

٤ - وللجار على جاره حقوق . بيد أنهم يتفاضلون في تلك الحقوق
نظراً لأقربهم مسكناً . قالت عائشة : (إن لي جارتين فألى أيهما أهدى ؟ قال
إلى أقربهما منك بابا) خ ج ١ (الشفعة) ص ١٣٦ .

٦ - ومن الوفاء الذي لم تصل إليه أفكار الإنسانية أن على الإبن أن يصل
أجداء أبيه ، وذلك من أبر البر (ان من أبر البر أن يبر الرجل أهل ودا أبيه
بعد أن يولى) .

٦ - وقد لا يتعرف الناس بعد موت آبائهم على الأصدقاء الذين كانت
بينهم وبين آبائهم علاقات طيبة ، لكن من البر بالأباء أن يحاول الإبن معرفة
أصدقاء أبيه ، ليرهم ويكرمهم فإن ذلك من بر أبيه وصلته له بعد موته .
وكذا أكرام الأخوات ومن يتلاقون معه من الأقارب فينتهون الى أبيه أو أمه
(هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما ؟ قال : نعم الصلاة عليهما ،
والإستغفار اليهما ، وإنفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التي لا توصل الا
بهما ، واکرام-صديقهما) .

٧ - والمرأة أحوج الى العطف والصلة من الرجل ، ولذا فن الأولى
البدء بها . وكل قريب تقدم الاثني على الرجل - ولذ نرى الوصايا تعتني بالأم

قبل الاب (إن الله تعالى حرم عليكم عقوق الامهات ، ومنعاً وهات ، وواد البنات . وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال وإضاعة المال) خ ج ١ (الحج) ص ١٤٦ .

٨ - ومن العنايةه بالاقارب أن خصهم بلون من الحقوق كالرزق والقول المعروف ، وان الصدقة على الاقارب أفضل . بل قيل أن الصدقة على الاجنبي لا تجوز مادام في قرابة المتصدق المحتاج (يا أمة محمد والذي بعثني بالحق لا يقبل الله صدقة من رجل وله قرابه محتاجون الى صلته ويصرفها الى غيرهم والذي نفسى بيده لا ينظر الله اليه يوم القيامة) الطبراني .

٩ - ومن الاصول المقررة أن الصدقة على المسكين فيها أجر . أما على القريب ففيها أجر الصدقة وأجر الصلته معا (الصدقة على المسكين صدقة . وعلى القريب صدقتان - صدقة وصلته) (١) .

١٠ - وخير الناس أنفعهم للناس أجمعين ، وخير منه من بدأ بأقاربه فنفعهم بحق دون تعصب أو محاباة (خيركم المدافع عن عشيرته ما لم يأثم) .

١١ - وليس الإهتمام بالاقارب من التعصب في شيء بل هو من المروءة اذ التعصب تعاون على الظلم كما روى : (العصبية أن تعين قومك على الظلم) .

١٢ - وكان الناس في الجاهلية لا يعدون أبناء البنات أقارب . فجاه الإسلام وقضى على هذه النزعة وقال النبي صلى الله عليه وسلم : د أن ابن أخت القوم منهم ، خ ج ٢ د الفرائض ، ص ١٥٠ .

١٣ - ولقد علمنا أن أولى الناس بهذه الحقوق الوالدان وقد مر الحديث عنهما . ومر كذلك أن برهما جهاد . كما روى أن رجلاً خرج للجهاد فسأله : د أحي والدك؟ قال : نعم . قال : ففيهما فجاهد ، خ ج ٢ د الحور ، ص ٢٣ .

١٤ - وإذا اختلفت الأقارب مع الإنسان في الدين فإن ذلك لا يعنى قطيعه
رحمهم - بل لهم رحم تراعى . ولقد ثبت أن عائشة أمرت ببر أمها المشتركة
اذ ذلك « أم رومان » ، وهذا البر لا يعنى الرضى عن من كفر - فإن الرضى
بالكفر كفر . ولكن صلة الرحم شئ والولاية المنهى عنها شئ آخر . ان
آل أبى فلان ليسوا بأوليائى - إنما ولى الله وصالح المؤمنين . ولكن لهم
رحم أبلاها بيلاها) خ ج ٢ (الأدب) ص ١٣٩ .

١٥ - وإذا كان الرحم يصلون أنفسهم فنعم ما هم عليه . والواصل على
الحقيقته المستحق للأجر كاملا هو من وصل المسيئين من أقاربه (ليس الواصل
بالمكافىء ، ولكن الواصل الذى إذا قطعتة - حمه وصلها) خ ج ٢ (الأدب)
ص ١٣٩ .

(الموضوع العاشر)

(الرحمة)

١ - الرحمة كمال فى الطبيعة يجعل المرء يرقى لآلام الخلق ويسعى لإزالتها
ويأسى لأخطائهم فيتمنى لهم الهدى . هى كمال فى الطبيعة ، لأن تبلىد الحس
يهوى بالإنسان الى منزلة الحيوان ويسلبه أفضل ما فيه . وهو العاطفة الحية
النابضة بالحب والرأفة ، بل إن الحيوان قد تجيش فيه مشاعر مبهمه تعطفه على
ذرائه ، ومن ثم كانت القسوة ارتكاسا بالفطرة لا إلى منزلة البهائم ، بل الى
منازل الجماد الذى لا يعى ولا يهتز (جعل الله الرحمة مائه جزء فأمسك عنده
تسعة وتسعين وأنزل فى الأرض جزءا واحدا - فن ذلك الجزء يتراحم
الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه)

٢ - وهى هدية الله الى خلقه يرحم من قبلها ورحم غيره (هذه رحمة جعلها

الله تعالى في قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء) خ ج ٢ (الأدب)
ص ١٣٩

٣- وقد اتسعت سماحة الإسلام فأوصى بالرحمة والشفقة حتى على البهائم
المعجمة - (فاركبوها صالحة واكلوها صالحة) .

٤- وقد ضرب القادر على كل شيء لنا أروع الأمثلة فقال : (إن رحمتي
تغلب غضبي) خ ج ٢ (بدء الخلق) ص ٣٢ -

٥- وكل مارق القلب كان أقرب الى مولاه . ويقدر ما فيه من غلظة
يبتعد الإنسان عن ربه (إن أبعد الناس من الله تعالى القاسى القلب)

٦- ولما كانت الرحمة رقة في القلب ، ربطها الشارع بالإيمان الذي هو
الرحمة وعاء وهما القلب . وكان الإسلام دقيقاً حين أراد الرحمة بالرحمة العامة
- وليست مجرد عاطفة خاصة يرق بها الإنسان نحو صديقه أو ولده . ولسكى
تتلاقى الرحمة مع العدل تراه يريد العموم - فقد يرق الإنسان لصديقه
الظالم أو ينعطف نحو المتألم بحق - وتلك رافة وليست الرحمة التي يريد
الشارع ، إذ هي والعدل تتلاقيان وتجتمعان فيمن أقيم عليه القصاص (لن
تؤمنوا حتى ترحموا . قالوا : كلنا رحيم ، قال : إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه
ولسكنها رحمة العامة)

٧- وقد ربط الله عز وجل رحمته بالذين يرحمون الناس (من لا يرحم
الناس لا يرحمه الله . ومن لا يغفر لا يغفر له) خ ج ٢ الأدب ص ١٣٩ : ١٤٠ .

٨- والرحمة فضيلة من مجموع فضائل أوصى بها الإسلام ، وكلما صادفت
الرحمة المستحقين لها كان صاحبها أكثر مثوبة وأعظم أجراً (طوبى لمن
تواضع في غير منقصة وذل في نفسه من غير مسألة ، وأنفق مالا جمعه في غير

معصية ، ورحم أهل الذلة والمسكنة ، وخالط أهل الفقه والحكمة)

٩- وإذا خلا القلب من الرحمة فهو قلب إنسان شقى (لا تنزع الرحمة إلا بمن شقى)

١٠- وقد أشقت الرحمة من الإسم الكريم الرحمن . ووضع الرحمن إسماً لأمس الناس به وأقربهم إليه (الرحم شجنة من الرحمن - من وصلها وصله الله ، ومن قطعها قطعاه الله) خ ج ٢ (الأدب) ص ١٣٨ ، ١٣٩

١١- وقد رأى رجل النبي يقبل ولد ابنته - فقال الرجل : إن لي عشرة أولاد لم أقبل واحدا منهم . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : (أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك) خ ج ٢ (الأدب) ص ١٣٩

١٢- وقد تدمع العين من الرحمة ويخشع القلب منها حين يصادف الإنسان في حياته فقدان عزيز لديه . كما روى أن النبي قال عند موت ولده : (إن العين تدمع وإن القلب يخشع ولا تقول إلا ما يرضى ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون) (١) .

١٣- وأولى الناس بالرحمة كل محتاج إليها من الضعفاء واليتامى وذوى الحاجات (إرحم اليتيم ، وامسح رأسه وأطعمه من طعامك ، يلب قلبك وتذكر حاجتك) .

١٤- ومن أحوج الناس للرحمة الخدم والأرقاء . وإذا كان تأديبهم مشروعا ، فإنه مشروط بالألا يتجاوز الحد المقرر له شرعا وهو لزوم الرحمة ، وقد رأى

(١) خ ج ١ (الجنائز) ص ٨٩ .

(م ٧ نظرات في السنة)

رسول الله رجلا يضرب غلامه فأنكر عليه وقال له : (إن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام فأعتقه . فقال : لو لم تفعل للفحتك النار)

١٥ - وصاحب الخلق الحسن يعبر عما في قلبه من الرحمة أما أصحاب الخلق الرديء فإنهم يظهرون ما فيهم من قسوة (حسن الملكة نساء وسوء الخلق شؤوم) .

١٦ - وكل من يظلم الناس وتفوته الرحمة بهم - فإن الله يقتص منه يوم القيامة (من ضرب سوطا ظلما اقتص منه يوم القيامة) .

١٧ - وتعاليم الإسلام في الذبح من سن السكين بعيدا عن الذبيحة وإراحتها هو دليل على ما ينطوي عليه من الرحمة . وفي الحديث لمن يذبح الشاة : (إن رحمت الشاة رحمتك الله) .

١٨ - ولقد كانت الرحمة سببا لغفران الله للبغى التي سقت الكلب رحمة به كما سيبيح في باب القصص .

(الموضوع الحادى عشر)

(الصبر)

١ - هو ضبط النفس عندما يواجه الإنسان مثير ، أو تعقيره عقبة تصدمه وكما عظمت البلية عظم فيها الأجر للصبر عليها (لأنما الصبر عند الصدمة الأولى) خ ج ١ (الجنائز) ص ٨٨ .

٢ - وأشق شيء على النفس أن تصدم في إنسان يبادلها حبا ومن جميل مواساة الإسلام لتلك النفس المصابة أن يذكرها بقضاء الله وأن كل شيء مصيره إليه . فلتتروا بالصبر وتتطلب من الله - أن يعوضها خيرا (إن لله

ما أخذ وله ما أعطى ، وكل شيء عنده بأجل مسمى ، فلتصبر ولتحتسب)
خ ج ١ (الجنائز) ص ٨٨ .

٣ - وقد يصعب على النفس أن تنس ما فقدته وتحتاج إلى عوامل لنسيانها
والإسلام يقدم وسائل تعين على النسيان . فالوضوء والصلاة وترداد التثاء
على الله والصدقة والإصغاء إلى القرآن وما فيه من مواعظ - كل هذا يخفف
من وقع البلايا ويقرب إلى الله (الظهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان ،
وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السموات والأرض ، والصلاة نور ،
والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك . كل الناس يغدو
فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها) .

٤ - المؤمن يتقلب بين البلاء والنعم ، وكله له خير يتقلب بين شطري الإيمان
فيصبر أو يشكر . أما غير المؤمن فلا ينعم بنعمة ولا يؤجر على بلاء - لأنه يعيش
بين الكفران أو الجزع (عجباً لأمر المؤمن - إن أمره كله له خير وليس
ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته
ضراء صبر فكان خيراً له)

٥ - وعلى المرء أن يجاهد نفسه ولو تكلف تلك المجاهدة ليقوى على
حمل ما ابتلى به ، وعندئذ سوف يجد الله من ورأه يعينه ويخفف عنه ويسخ
عليه من النعم ما ينسيه بليته . ومن الناس من يربط الله على قلوبهم فلا
يفقهون . وهذا من أعظم ما نراه كرامة من الله لأوليائه (ومن يتصبر يصبره
الله ، وما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر) خ ج ١ (الزكاة) ص ١٠٢

٦ - ولقد واصل الله بعض المصابين وعوضهم الجنة بدلا عما أفقدوه
وهم في أمس الحاجة إليه (إذا ابتليت عبدى بمصيبته ^(١) فصبر عوضته
منهما الجنة) خ ج ٢ (المرضى) ص ١٣٣ .

٧- ويحزن المؤمن على فقدانه صديقا حميما يجمع الله قلوبهما عليه ، فإذا صبر واحتسبه عند الله كانت له الجنة (العبدى المؤمن عندى جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة) خ > ٢ (الاستئذان) ص ١٤٣ .

٨ - وقد يتسامل الإنسان لما إذا لم يعصم الله المؤمنين من البلاء والابتلاء ؟ والقول الفصل أن الإيمان ليس مجرد كلمات تردد ، ولكن فوق هذا هو مسؤولية الفرد عن حياته ولا تخلو من هفوات وزلات يحتاج لما يكفرها عنه (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ، ولا هم ، ولا حزن ، ولا أذى ، ولا عم ، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها عن خطاياها) خ > ٢ (المرضى) ص ١٣٣ .

٩ - وقد يمرض الإنسان مرضا يستعصى أو يطول علاجه ، يفضل الإنسان أن يموت ليستريح من عناء التعب . ولما كان الإنسان لا يدري هل يستريح بعد الموت أو لا يستريح - طالبه الإسلام أن يصبر وأن يفوض الأمر لله الشافي من كل الأسقام . وإذا كان لا بد أن يقول شيئا ينفس به عن آلامه فليطلب من الله الخير (لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه فإن كان لا بد فاعلا فليقل : اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لى ، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيرا لى) خ > ٢ (المرضى) ص ١٣٤ .

١٠ - وتفويض الأمر لله والصبر على ما قضى به والرضى بقدره ثم التوجه إلى الله بالدعاء - فإن هذا كله مما يرفع النعمة ويستبدل بها نعمة تخلفها (ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون . اللهم أجرنى في مصيبتى واخلف لى خيرا منها إلا أجره الله تعالى فى مصيبتى واخلف له خيرا منها)

١١ - وإذا أصيب المرء فى ثمرة فؤاده وفلذة كبده فصبر على ذلك ، كان ذلك الصبر المحمود محور حديث من الله للملائكة - يباهى بذلك العبد الصبور

الذى عرف أن الله ما أخذ فحمده واسترجع . وكان جزاؤه أن يشيد الله له قصرا في الجنة يكتب عليه ما قابل الصدمة به من كلمات الحمد (إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته : قبضتم ولد عبدى ؟ فيقولون : نعم . فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون : نعم . فيقول : فإذا قال عبدى ؟ فيقولون . حمدك واسترجع . فيقول الله تعالى : لابنوا العبدى بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد)

١٢ - ومن الطبيعى أن تدمع العين ويأسى القلب لهذه البلية ولغيرها من البلايا المحزنة . ومن رحمته بعباده أنه لا يعذبهم على هذا . ولكن يعذبهم بما ينطقون به وهم في وعيهم (إن الله لا يعذب بدمع العين ولا يحزن القلب ولكن يعذب بهذا أو يرحم . ويشير إلى لسانه)^(١) .

١٣ - ومن الناس من يصاب في كثير من أولاده ، أو ربما لا يعيش له منهم أحد . وكان أهل الجاهلية يعدون مثل هذا أبرا . فجاء الإسلام وبين بطلان هذا الزعم ، ووعد هؤلاء المصابين بالجنة التي سيدخلها الله هؤلاء الأولاد ويرحم أبويهم معهم (ما من مسلم يموت له ثلاثة لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم) خ > ١ (الجنائز) ص ٨٦ .

١٤ - والمؤمنون أكثر الناس تعرضا للبلاء حتى يطهرهم الله وينقيهم ثم يصطفيهم للمقام في جواره . أما الفاجر فقد ينجو من البلاء استدراجا من الله ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر (ومثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيؤها الريح تصرفها مرة وتعد لها أخرى حتى يأتيه أجله . ومثل الكافر كمثل الأرزة المجذبة على أصلها لا يصيبه شيء حتى يكون إنجعافه مرة واحدة) خ > ٢ (المرضى) ص ١٣١

١٥ - وكل بلاء لم يتسبب الإنسان فيه بسوء تديره يضاعف فيه الأجر من الله . وكم سيتمنى أهل العافية في الدين لو أنهم أصيبوا فيها

من أجل الله لينالوا ثواب أهل البلاء (يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت بالمقاريض) .

١٦ - وتساءل لماذا يتعرض العبد لثل هذا البلاء الذي يصعب عليه أن يحتمله؟ والحق أن الإنسان قد لا يدرك بعمله تلك المنزلة التي أعدها الله له فيبتليه فيعمل بالصبر على تطهير نفسه كي يبلغ تلك المنزلة (إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة فلم يبلغها بعمل ابتلاه الله في جسده أو ماله أو في ولده ثم صبر على ذلك حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله عز وجل)

١٧ - ولقد تعرض أوائل المسلمين للبلاء الشديد والاختبار القاسى حتى أن بعضهم وهو في مكة طلب من الرسول أن يدعو الله للتخفيف عنه . فقال له : (إنه كان من قبلكم ليمشط أحدهم بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ، ويوضع المنشار على فرق رأس أحدهم فيشق ما يصرفه ذلك عن دينه ، وليظهن الله تعالى هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه) خ ج ٢ (إسلام أبي ذر)

١٨ - ومن الناس من لا يحتملون البلاء ، فيعمدون إلى التخلص منه بالإنتحار وهؤلاء قد ارتكبوا في آخر حياتهم ما عرضهم لسوء العاقبة (كان برجل جراح فقتل نفسه. فقال الله : بدرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة) خ ج ١ (الجنائز) ص ٩٣

١٩ - وإذا كان البلاء للتطهير ولكل امرئ ذنوب ، فقد صح : (من يرد الله به خيراً يصب منه) خ ج ٢ (المرضى) ص ١٣٣

٢٠ - وقد يكون الصبر على مواصلة الطاعات ، كما قد يكون الصبر على احتمال المكروه . وقد يكون أشق من الأول . وفي هذا المعنى يروى : (إن الصبر على المكروه من حسن اليقين) .

الموضوع الثاني عشر

(الأمانة)

١ - كل موضوع تناولناه أو نتناوله فهو مندرج تحت عموم الأمانة .
فهي لا تقتصر على الودائع ، بل تشمل كل التكليف . ونكتفي هنا بإشارة
إليها . ففها السر الذي يكون بين اثنين لا يجب أحدهما أن يطلع عليه سواهما
فهو أمانة (إذا حدث الرجل بحديث ثم ألتفت فهو أمانة)

٢ - وللجالس حرمة يجب صيانتها ، وكل ما يجرى فيها من آراء فهو
أمانة لا يصح إفشاؤها (المجلس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس : مجلس سفك دم
حرام ، أو فرج حرام ، أو اقتطاع مال بغير حق)

٣ - وما يحدث بين الزوجين فهو أمانة . ومن قلة المروءة أن يشيع
الرجل شيئاً يمس حياء زوجته . ومن قلة الحياء أن يتحدث امرأة عما يفعله
زوجها معها : وأن هذه من العورات التي يجب سترها (لعل رجلاً يقول
ما فعل بأهله . و لعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها . فأذم القوم سكتوا
وجلين . فقلت : أي والله يا رسول الله إنهم ليفعلون وأنهم ليفعلن : قال :
فلا تفعلوا فإنما مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة فغشها والناس ينظرون)

٤ - وقد أحاط الإسلام كل ما يجرى بين الزوجين بالسرية التامة ،
إذ لا مصلحة في نشره وهو من الأمانة (إن من أعظم الأمانة عند الله يوم
القيامة الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه ثم ينشر سرها) .

٥ - وقد سبق أن الأمانة لا تختص بالودائع كما خصها الفقهاء ، بل هي
عامة كما روى : (الصلاة أمانة ، والوضوء أمانة ، والسكيل أمانة ، والوزن
أمانة - وعد أشياء أخرى) .

الموضوع الثالث عشر

(التوبة)

١ - للتوبة أحكام تتصل بالفقه كشروطها ، وسقوطها بالحد ، أو عدم إسقاطها بالحد ، ومكانتها في جرائم التعازير ، مما يخرجنا عن موضوعنا . ولكن نكتفي بكلمة موجزة عنها . فإن الله عز شأنه يحب التوابين ، وتوسع رحمته لمن تاب من بعد ظلمه وأصلح . والتوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب - فؤلائك يتوب الله عليهم . وإن إقلاع العبد عن الذنب وعوده لطاعة ربه هو السبيل الذي ينجيه بن يديه (الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة) خ > ٢ (الدعوات)

ص ١٥٧ ، ١٥٨

٢ - « وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » ، ونداء الله للعبد لا ينقطع ، يدعو للتوبة ليكفر عنه ذنوبه ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار (إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ؛ ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها)

٣ - وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن . والتوبة تصنع العجائب - تبدل السيئات حسنات وكم من الذنوب تمحوها التوبة (يضحك الله سبحانه وتعالى لمى رجلين يقتل أحدهما الآخر - يدخلان الجنة ثم يتوب الله على القاتل فيسلم فيشهد)

٤ - وفي الإنسان غرائز ، وفي الدنيا مظاهر قد تغرى الإنسان بفعل السوء - لذلك كانت التوبة فرصه ليصحح الإنسان ما أفسده حين تغلبت شهوته على عقله (لو أن لابن آدم وادياً من ذهب أحب أن يكون له وادياً -

ولن يملأ فاه إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب (خ > ٢ (الإستئذان)
ص ١٤٣ .

٥ — د والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا
لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولن يصرخوا على ما فعلوا وهم يعلمون
أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها
ونعم أجر العاملين ، . فتلك الآيات تشترط للنجاة من عذاب الله والفوز
برضوانه ألا يكون مصراً على الذنب ، وأن يعرف أن له رباً يأخذ بالذنب
ويغفر الذنب — وقد سبق الحديث : (أذنب ذنباً عبد فقال : اللهم اغفر لي
ذنبى . فقال الله تبارك وتعالى : أذنب عبدى ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب
ويأخذ بالذنب . ثم عاد فأذنب فقال : أى رب اغفر لي . فقال تبارك وتعالى
مثل ذلك ثلاثاً ثم قال : قد غفرت لعبدى وليفعل ما يشاء) خ > ٢
(التوحيد) ص ١٦٣ .

الموضوع الرابع عشر

(الحكم)

١ — الإسلام نظام لا كلام ، وتنظيم لشئون الدنيا وما فيها من صلاة
فردية وجماعية ، وصلة الناس بالناس ، وصلتهم برب الناس وقد دعا في غير
موضع إلى الحكم بالعدل . والذي يتولى شئون الناس ويرعى مصالحهم قد
ارتبط بعهد بينه وبين ربه ، وعهد بينه وبين الناس . فيجب أن يتوافر فيه
الأمانة والكفاءة . إن خير من استأجرت القوى الأمين . والأمانة عنوان
الإيمان ، والقوة من مظاهر السلطان ، ويسمو صاحبها كلما كان وفيماً بعهده
(لا إيمان لمن لا إيمان له ، ولا دين لمن لا عهد له) .

٢ - ونقض العهد من أخس ما يوصف به الإنسان (اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع ، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئس البطانة).
٣- وقد يطلب الإنسان أن يتولى منصباً وهو غير كفاء له . وحينئذ يحرم عليه وعلى من يوليه أن يمكنه من ذلك المنصب ولو كان الطالب تقياً ورعاً . فإن مناصب الحكم لها رجالها الذين تمكنهم استعداداتهم أن يحملوا تبعاتها . ويروى أن أباذر قال للنبي يوماً : (ألا تستعلمني ؟ فضرب بيده على منكبي ثم قال : يا أباذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزى وقدامة ، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها) .

٤ - وعلى الوالى العام أن يختار الأكفاء ليقوموا بشئون رعيته ، فإنه مسئول عن توليه لهم . فإذا اختار غير كفاء كان خائناً لرعيته ومسئولاً أمام الله (من استعمل رجلاً على عصاة وفيهم من هو أرضى الله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين) .

٥ - ومن أمر غير كفاء بحاباة عاقبه الله بالنار ورفض كل أعماله لأنه يعتدى على غيره بتمكينه ذلك المحسوب وتسلطه على الناس بالباطل (من ولى من أمر المسلمين شيئاً فأمر عليهم أحداً بحاباة فعليه لعنة الله . لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم) .

٦ - وإذا تولى غير الأكفاء وغير الأمانة كان ذلك إنذاراً بالفناء . فإن الفناء لا يحدث فجأة ولكن له مقدمات على الأمة أن تتلاشها رمتي تقوم الساعة؟ فقال : إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة فقال : وكيف أضاعتها ؟ فقال : إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة (خ ح ١٤ (العلم) ص ١٤ بالمعنى .

٧ - وكل حاكم يجيء يوم القيامة بما قدم ، فإن كان غادراً خائناً جىء به يوم القيامة وقد كتب الله عليه ما ارتكبه من غدر وخيانة حتى يعرفه الناس ويفضحه الله أمام الخلاق (إذا جمع الله بين الأولين والآخرين يوم

القيامة يرفع لكل غادر لواء يعرف به ، فيقال هذه غدرة فلان (خ ٢٠ الحور) ص ٣٢ .

٨ - وإذا كان الموظف يتقاضى مرتبا فيحرم عليه أن يأخذ من طعم مصالح عنده شيئا ولا يخفف من مسؤوليته أن يسمى بالهدية فالحقيقة أنه رشوة وغلول (من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا فما أخذ بعد ذلك فهو غلول) .

٩ - وإذا قام الموظف برأيه وأدى ما عليه ولم يتقبل شيئا فوق حقه فهو مأجور من الله ومحمود من الناس (العامل إذا استعمل فأخذ الحق وأعطى الحق لم يزل كالمجاهد في سبيل الله حتى يرجع إلى بيته) .

١٠ - وكل من تولى أمر أمة فهو مجازى بما قدم . فإذا استعمل معهم الرأفة فسوف يرحمه الله ، وإن كان غليظا عليهم فسوف ينتقم منه الله ، وقد صح أن دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه . ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به)

١١ - وعلى الحاكم أن يكون صريحا واضحا مع محكوميه ، فهم جنوده وأنصاره ، وهوبهم قوى إن نشأهم على العزة . وإن أظلم وغشهم فهوبهم ضعيف وله النار من بعد ذلك (مامن عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاشئ لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة) (خ ٢٠ الأحكام) ص ١٥٦ .

١٢ - وكل مسئول عن رعيته . ومن الخطأ أن تلقى التبعة على الوالى العام فكل إنسان له حق وعليه واجب ، يرتبط بمدى السلطة الممنوحة له (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته - الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة

عن رعيثها ، والخادم راع في مال سيده ومستول عن رعيته ، وكلكم راع
ومستول عن رعيته (خ ١٠ (الجمعة) ص ٧٠ .

١٣ - وهذه فكرة عن أنظمة الحكم في أمة من الأمم ، وعن شيء مما
سيحدث لهذه الأمة ، يرسم لهم طريق النجاة من تكالب المتكالبين (كانت
بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي ولأنه لا نبي بعدى .
وسيكون بعدى خلفاء فيكثرون . قالوا : يارسول الله فما تأمرنا ؟ قال .
أوفوا ببيعة الأول فالأول ثم أعطوهم حقهم ، وأسألوا الله الذي لكم فان
الله سائلهم عما استرعاهم) خ ٢٠ (بدء الخلق) ص ٤٥ .

١٤ - وإذا كانت مظاهر الديمقراطية تبدو واضحة بمقدار صلة الحاكم
بالمحكومين واندماجه معهم واقترابهم منه - لا تمنعهم حواجز ولا يحيل بينهم
وبينه أبواب - فان الإسلام قد سبق لتقرير هذا المبدأ ودعا الحاكم أن ينزل
لرعيته يتعرف مشاكلهم ويعمل على حلها (من ولاة الله شيئا من أمور
المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم - احتجب الله دون حاجته
وخلته وفقره يوم القيامة) .

١٥ - وشر الناس هم المتكبرون على رعيته (إن شر الرعاء الحطمة) (١)

١٦ - والعلاقة بين الحاكم والمحكوم والشعور المتبادل مقياسان
لديموقراطية - فاذا كان الحب والدعاء الخالي من الرياء هما مظهر العلاقة
كانت الديمقراطية . واذا كان البغض والنفاق كانت الديكتاتورية (خيار
أمتكم الذين تجبونهم ويحبونكم ، وتصلون عليهم ويصلون عليكم . وشرار
أمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم . قلنا : أفلا ننا بذهم ؟
قال : لا ما أقاموا فيكم الصلاة ، لا ما أقاموا فيكم الصلاة)

١ - اسم من اسماء النار . ورجل حطمة أى كثير الاكل . والمراد العنيف
على رعيته .

١٧ - وعلى المسلم أن يكون وفياً بما تعهد به لحاكمه . فإذا تحلل من هذا الوعد من غير مبرر كان قد انحل من الإسلام . ومن لم يكن مؤيداً أو معارضاً فقد رجع بنفسه إلى مظالم الجاهلية (من خلع يدا من طاعة لى الله يوم القيامة ولا حجة له . ومن مات ولايس فى عنقه ببيعة مات ميتة جاهلية) .

١٨ - وطاعة الحاكم واجبة - سواء كانت فى صالح المسلم أو ضد مصلحته الخاصة ، فعليه أن يسمع ويطيع ، والمصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة فإذا أمر بمعصية ولو كانت فيها مصلحته فإنه لا يلتزم بها شرعاً . ومقياس الطاعة والمعصية الموافقة لأمر الشارع والبعد عنه (على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) خ ح (الحور) ص ٢١ .

١٩ - وقد بين لنا رسول الله خير ما يعلمه لنا ، وحذرنا من شر ما يتوقعه لنا . وأشار إلى ما يواجه الأمة فى حياتها ، وكيف الوقاية من شره ، وما الواجب عمله (لأنه لم يكن نبى قبل إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينذرهم شر ما يعلمه لهم . وإن أممكم هذه جعل عافيتها فى أولها ، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها . وتكون فتنة يرقق بعضها بعضاً ، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتى ثم تنكشف . وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه هذه - فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليؤت إلى الناس الذى يحب أن يؤتى إليه . ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع . فإن جاءه آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر) .

٢٠ - ومن الناس من يسأل حقه ولا يعرف حق غيره ، وتلك بلية وإن كانت فى الحكم فهى أشد وأخطر ، وقد كره النبي أن يسمع سؤالاً فى هذا المعنى فأدار وجهه بتقديراً وأسى لما قد تحدثه هذه الظاهرة الخطيرة فى المجتمع

الإسلامي (أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألون حقهم ويمنعون حقنا فما تأمرنا ؟ فأعرض عنه . ثم سأله . فقال له النبي : إسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم)

٢١ - ومن يحرص على الإمارة وتوليها يجب أن يحرم منها - فإن حرصه عليها دليل على أبا نيته وعدم شعوره أنها خدمة وعبء ثقيل يسأل عنه عند الله والناس . فإن جاءت بها الظروف إليه من غير طمع فيها فعليه أن يستعين بالله ، وأن يقبلها ، وسيعينه ربه ويتعدد خطاه (لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها ، وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها)
خ > ٢ (الأيمان والنذور) ص ١٤٨

٢٢ - ولاختيار الحاشية دخل كبير في سلوك الحاكم . وهي عنوان لما ينطوي عليه نفسيته من خير أو شر . ويجب أن يكون مؤثرا فيهم أكثر من تأثره بهم ، والإانقلاب الأوضاع وصارت الأمم تحكم من وراء ستار يدير شؤونها من لم تعرفهم وترضى عنهم ، والموفق من هداه الله (ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه . والمعصوم من عصمه الله)
خ > ٢ (القدر) ص ١٤٨

٢٣ - وتوفيق الله للحاكم أن يختار حاشيته من الأخيار دليل على رضوى الله عنه . فإن اختار الأشرار فقد تخلى الله عنه وتركه لنفسه وهواه ، ولسوف يبرأ كل شيطان منه (إذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق - إن نسي ذكره وإن ذكره أعانه وإذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء)
إن نسي لم يذكره وإن ذكر لم يعنه)

٢٤ - وعلى الحاكم أن يكون بصيرا في اختيار من يتعاونون معه لأنهم يمثلونه وفي الحديث : (إنا والله لا نولى هذا العمل أحدا حرص عليه)

٢٥ - وعليه أن يجتهد فيما يعرض عليه ، بأذلا قصارى جهده في تصوي
العدل قدر استطاعته - وما عليه جناح بعد ذلك بل هو مأجور أصاب أو
أخطأ (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم واجتهد
ثم أخطأ فله أجر) خ - ٢ (الإعتصام بالسكتاب والسنة) ص ١٦٢ .

٢٦ - ويجب أن يكون شعار الحاكم ما أعلنه الصديق : الضعيف فيكم قوى
حتى آخذ له حقه ، والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه . ومهمة الحاكم
إنصاف المظلوم . وفوق أن هذا واجبه فإن الله يكافؤه يوم القيامة ويعصمه
من العثرات . وكل من ساعد مظلوما فله تلك البشارة (من مشى مع مظلوم
حتى ثبت له حقه ثبت الله قدميه على الصراط يوم تزل الأقدام) .

٢٧ - ومن المروءة إذا علم الناس مظلوما قد يدينه الحاكم لأن الحاجة
مع خصمه الظالم . والحاكم يقضى بطواهر الأمور فعليهم أن يشفعوا له من
أجل تبرئته ، لا يقبلون على شفاعتهم مكافأة (من شفع شفاععة لأحد فأهدى
له هدية عليها فقبلها فقد أتى بابا عظيما من أبواب الكبائر)

٢٨ - وليس للحاكم أن يروع متبها إلا بالحق . وقد اختلفوا في ضربه .
وما يؤثر عن أقوال الصحابة مارأيت جورا أشبه بالحق من هذا . وفي
الحديث : (لا يحل لمسلم أن يروع مسلما) .

٢٩ - وعليه أن يمكنه من الدفاع عن نفسه (من نظر إلى مسلم نظرة
يخيفه فيها بغير حق أخافه الله يوم القيامة) .

٣٠ - والذين يتعالون على الناس ويتكبرون عليهم بغير حق أو يترفعون
عنهم لمالهم من جاه ، فإنهم لا وزن لهم عند الله (يحشر المتكبرون يوم القيامة
أمثال الذر في صور الرجال ، يغشاهم الذل من كل مكان)

٣١ - والمستهزئون بالناس يفعلون بهم كما فعلوا (إن المستهزئين بالناس

يفتح لأحدهم في الآخرة باب من الجنة فيقال له هلم - فيجىء بكر به وغمه .
فإذا جاء أغلق دونه . ثم يفتح له باب آخر فيقال له هلم هلم - فيجىء بكر به وغمه .
فإذا جاءه أغلق دونه . فما يزال كذلك حتى إن أحدهم ليفتح له الباب من أبواب
الجنة فيقال له هلم - فما يأتيه من الإياس) .

٣٢ - ولا يصح أن يوقف الحكم على قبيلة : ون الأخرى ، كما لا يصح
أن يكون المؤهل للولاية كونه من سلالة الوالى السابق - بل يجب تكافؤ
الفرص في مجتمع مفتوح (إذا كان يوم القيامة أمر الله مناديا ينادى : ألا إنى
جعلت نسباً وجعلتم نسباً : فجعلت أكرمكم أتقاكم فأبئتم إلا أن تقولوا فلان
ابن فلان - فاليوم أرفع نسبي وأضع أنسابكم) .

٣٣ - وكما كنا نحكم بالأنساب . وإذا كان الحكم الديموقراطى يقوم على
أساس من الإختيار الخى الطليق والخالى من أى استبداد ، فإن الناخبين يجب
أن يبتغوا المصلحة العامة بعيدين عن التعصب لحزب أو جماعة ، فالكلمة أمانة
يجب أن توضع فى موضعها . وإذا كانت الديموقراطية الحديثة تمنح الغوغاء
والحقى حق الإختيار - فإنه ليس من العدل فى رأينا أن يتساوى رأى المفكرين
بالمذبح من الناس ، وإلا فسوف تكون النتيجة تفوق الأسمى على العبرى ،
وفوق هذا أنهم يحدثون شغباً فى وقت يحتاج إليه المرء أن يكون هادئاً يوازن
بين المرشحين . وكما نشاهد معارك دامية من أجل الإنتخابات حتى سمعنا من
يقول لأنها من دسائس الممتعمر ، ليوقع الناس فى العداة والشحناء ، وهذا
ابتعاد عن الإسلام وتعاليمه (لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب
بعض) خ ١٣ (العلم) ص ٢٠ .

٣٤ - وقد تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكالب الذى سينسى
الناس من أجله دينهم (ستكون هنات وهنات ، فمن أراد أن يفرق أمر هذه
الامة وهى جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان) .

(٣٥) والذين لا يتحرون الحقائق فيأخذون البرى والمسىء فقد برأ منهم الله ورسوله (من خرج على أمتى يضرب بارها وفاجرها لا يتحاشى من مؤمنها ولا ينفى بعهد ذى عهدا فليس منى ولست منه) .

(٣٦) وعلى الحاكم أن يكون حليما يعطى للناس من الفرص ما يمكنهم من مراجعة أخطائهم (لا حلم أحب إلى أن من حلم لإمام ورفقه ، ولا جهل أبغض إلى الله تعالى من جهل لإمام وخرقه) .

(٣٧) وشاورهم فى الأمر ، وأمرهم شورى بينهم ، وأساس الحكم السليم أن يقوم على الشورى - فهى طريق الرحمة بالأمه حيث تقدم للحاكم مجموعة من الآراء تنير له الطريق ، وترشده إلى السبيل القويم ، ومن ترك المشورة فسوف يبقى وحده فى متاهة لا مرشد له فيها ولا معين (إن الله ورسوله غنيان عنها . ولكن جعلها رحمة فى أمتى - فن شاور منهم لم يعدم رشداً ، ومن ترك المشورة منهم لم يعدم غيا) .

(٣٨) وللشورى قواعد يجب أن تقوم عليها من ابتغاء الحق وإقرار الأكتريه له ، ولا يناقش فى أمر فرغ منه ، وتقويم المعوج ، والإخلاص ، والشجاعة (إذا رأيت أمتى تهاب أن تقول للظالم يا ظالم - فقد تودع منهم)

(٣٩) وعلى الحاكم أن يعود رعيته الصراحة ، وأن يشجعهم على النقد البناء - لا يعاقبهم ولا يؤاخذهم على نقد فيجبنوا (لا يحقرن أحدكم نفسه . قالوا : وكيف يحقر أحدنا نفسه ؟ قال : يرى أن الله عليه مقالا ثم لا يقول فيه . فيقول الله : ما منعك أن تقول فى كذا وكذا ؟ فيقول : خشية الناس . فيقول : فإياى كنت أحق أن تخشى) .

(م ٨ - نظرات السنة)

(٤٠) ومسئولية الحاكم مقررة شرعا، فيدافع عن أمته ويتحرى مصالحهم، ويتجنب الأخطار التي تهددهم، (وإنما الإمام جنة يقاتل من ورأه ويتقى بها فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجرا . وإن قال بغيره فإن عليه وزرا)
خ > ٢ (الحور) ص ٢١ .

(٤١) ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . وعلى الحاكم أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . وعلى الجند والسلطة التنفيذية أن تنفذ أوامره . ويروى أن قائداً أمر جنده أن يدخلوا النار فلم يطيعوه . فنقل ذلك للنبي فقال : (لو دخلوا نار الدنيا ما خرجوا منها إلى يوم القيامة — الطاعة في المعروف)
خ > ٢ (غزوة الطائف) ص ٨٧ .

(٤٢) وعلى الحاكم ألا يتجسس على رعيته . ومن تتبع عورات الناس فضحه الله يوم القيامة . ولا تجسسوا واجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم . وما من أمة سلب عليها التجسس إلا شاع فيها النفاق وإخفاء الحقائق ، وأرهقها كبت تنحين فرصة للتنفيس عن نفسها ، ولا يصح أن يخاطب بن التجسس المشروع على الأعداء والتجسس على الرعية المنهى عنه . وعلى الحاكم أن يقضى بالظاهر (إنى لم أومر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم)^(١) .

(٤٣) ولا يصح أن تتسع صدور الأمة لمهاترات تدور على ألسنة بعض الكتاب من مساواة المرأة بالرجل في كل شيء ، وإن كان يجوز أن تتولى بعض المناصب — فلا يجوز أن تتولى الولاية العامة (لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) خ > ٢ (حديث كعب بن مالك) ص ٩٦ .

الموضوع الخامس عشر

(الصلاة ومقدماتها)

(١) تناولت كتب الفقه هذا الموضوع باعتبار الأحكام المتعلقة به من حيث الصحة ، أو البطلان ، أو الأركان ، أو الشروط والسنن وغير ذلك . أما نحن فسوف نتناول هذا الموضوع من حيث الصلة بالحياة الإجتماعية والنظام الإجتماعي وان كنا قد نعرض لبعض الأحكام الفقهية التي تتصل قريبا بالحديث .

ومقدمات الصلاة كالوضوء والمسجد والأذان وغيرها . وأول ما نبدأ به هذا الموضوع ما يمحو الخطايا ويرفع الدرجات- فما أحوج العبد إليهما . وقد أفردنا للصلاة موضوعا لأهميتها وكثرة ما ورد فيها . ولا شك أن تعلق القلب بالله يملأه خير عميم . فاذا انزلت بالمرء نازلة وتوضأ فقد أذهب عنه الشيطان الذي قد يقوده إلى ما يندم .

وقد أقام الله أما كن تعرف بالمساجد لتتلاقى فيها الجماعة المسلمة التي قد تباعد بين أفرادها مشاغل الحياة .

والعمل عبادة ، لكن لا ينبغي أن يستغرق كل وقت الإنسان لئلا تنسيه زحمة العمل صلته بربه وبسائر الناس .

(ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : إسباغ الوضوء على المسكاره ، وكثرة الخطى إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط) .

ولإسباغ الوضوء على المسكاره التوضؤ عند نزول المسكاره . ولا نميل إلى

أمره استعمال الماء في البرد الشديد لأن ذلك عسر و حرج - وما جعل عليكم في الدين من حرج ، وانتظار الصلاة لا يقتضى الإيقاع في المسجد ، فإذا خرج لعمله ثم انتظر الصلاة فهو انتظار للصلاة .

(٢) والصلاة في أى مكان بجائزة إلا في الأماكن التي نص الشارع على كراهة أو تحريم الصلاة فيها : كالمقبرة والمزبلة والسوق وغيرها ، لكن المسجد يسن أو يجب صلاة الفرائض فيه (من غدا إلى مسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلا كما غدا أو راح) خ > ١ (الأذان) ص ٥٨ .

(٣) ومن الحرص على الوقار والمحافظة على الهيبة أى يأتى الإنسان إلى الصلاة في سكينته غير مسرع ولا مهرول فنية المرء خير من عمله ، فليأت إلى الصلاة في خشوع (إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون . وأتوها وأنتم تمشون . وعليكم السكينة ، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا) خ > ١ (بدء الأذان) ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٤) ويلزم الإنسان السكينة في كل أحواله (أيها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس بالإيضاع) خ > ١ (الحج) ص ١١٢ .

(٥) وظن بعض الناس أن ما في الصلاة من مساواة تفرض على الغنى أن يتحمل أقدار أولئك المهملين الذين يأتون إلى المساجد بشباب ملوثة تنبعث منها رائحة كريهة ، وهؤلاء جهلة بالإسلام وتعاليمه ، وينفرون الناس منهم - فإن الصلاة مؤتمر جماعى يتقرر انعقاده . ولا بد لمن يحضر ذلك المؤتمر ألا يؤذى غيره على الأقل إن لم يقدم منفعة لغيره . وانظر إلى الحديث في التأهب للمؤتمر العام الأسبوعى . (لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر ، ويدهن من دهنه ، أو يمس من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ، ثم يقبلي ما كتب له ، ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا خضر له ما بينه وبين

الجمعة الأخرى) خ > ١ (الجمعة) ص ٧٠ .

(٦) وعليه ألا يضايق الناس في مجالسهم ولا يزاحمهم (خير المجالس أوسعها) .

(٧) وللمحافظة على شعور الجماعة وإحساس أفرادها، دعا الإسلام المسلم أن يتطهر قبل الصلاة فإنه عبادة ومصالحة للفرد والجماعة (إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليطيل) خ > ١ (الوضوء) ص ٢٢ .

(٨) وغسل الوجه واليدين والرجلين ومسح الرأس أركان في الوضوء فإذا كانت الغرة والأحجميل، غسل الوجه والرجلين لأنهما أبرز ما في الإنسان فقد توضع أقدام من في الصف الأول في وجوه من في الصف الثاني - فاعتنى الإسلام بغسل القدمين باهتمام وكذا غسل سائر الأعضاء . وفي الحديث : (تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء) .

(٩) والذي يكفر الخطايا هو الوضوء الحسن المستوفى للأركان والشروط (من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره) .

(١٠) وفي الصلاة أبواب من الخير قد يجعلها البعض ولا يهتمون بها كالجلوس في الصف الأول - للنيل من فضل الله ورحمته . وكالأذان لأنه دعوة إلى الهدى ، وللداعي مثل أجر الفاعل ، وللذهاب إلى الصلاة في المسجد في الأوقات التي يشق على المتكاسلين أن يصلوا صلاتهم في المسجد في تلك الأوقات (لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا^(١) عليه لاستهموا عليه . ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه ،

(١) يقرعوا .

ولو يعلون ما في العتمة والصبح لآتوهما ولو حبوا^(١) خ > ١ (بدء الأذان)
ص ٥٦ .

١١ - ولما مثل النبي للصلاة في تكفير الذنوب لاحظ في المشبه به أن يكون له صلة بالوضوء الذي هو مظهر للنظافة ، لا يبق من أقدار عالقة بالبدن شيئاً (أرأيت لو أن نهرآ بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات فهل يبقى من درنه شيء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شيئاً . قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا) خ > ١ (مواقيت الصلاة) ص ٥٠ .

١٢ - وقد أشار إلى أن الحكمة من تكرار الصلاة في كل يوم هي تذكير العبد بما قد ينساه ، ولو طال نسيانه لربه لا تقطعت صلته به . ولذلك دعا للوقوف بين يديه مراجعة لماضيه وفي معنى الحديث : (إن رجلا أتى النبي وقد أصاب قبلته من امرأة أجنبية فجاء يبكي على خطيئته . فلما صلى في جماعة مع النبي أنزل الله قوله : إن الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين) خ > ١ (مواقيت الصلاة) ص ٥٠ .

١٣ - والصلوات تكفر عن الإنسان الصغائر فقط . أما الكبائر فطريق تكفيرها التوبة منها (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر) .

١٤ - وهناك بعض الصلوات يزيد ثواب من حافظ عليها (من صلى البردين^(٢) دخل الجنة) خ > ١ (مواقيت الصلاة) ص ٥٣ .

١٥ - وقد تسابق البعض في تشييد المساجد ، مع أن المساجد التي هي أقدم منها في حاجة إلى ترميم وإلى من يعمرها بالصلاة فيها . فنرى مساجد

(٢) الصبح والعصر

(١) على أيديهم وأرجلهم .

ضخمة البناء خربة من نفوس مملوءة بالحيوية لا ترى فيها إلا العجزة والعاطلين وما كانت المساجد هكذا . لقد كان مسجد النبي مسقفا بالجريد تمطر السماء فتبلل أرضه ، ربا دخلته السلاب ولا باب فيه يحجزها ، ومع ذلك فقد خرج ملائكة البشر ومؤدبي الجبابرة وفرسان الميدان . أما اليوم وقد عجز الناس عن بناء النفوس يستبدلون بها إقامة أبنية ثم يتركونها خربة لا أحد فيها يسبح الله . وفي رأينا أنه لا يصح الشروع في بناء مسجد مالم يضيق المسجد القديم بالناس - كي لا نفرق الجماعة ونعرضها لأناس جهلة يؤمنهم في الصلاة فيفسدون عقائدهم بما ينشرونه من خرافات . فلما جاء قوم يشكون إلى النبي بعد منازلهم عن المسجد قال لهم : (إن أعظم الناس أجرا في الصلاة أبعدهم إليها عشى فأبعدهم . والذي ينتظر الصلاة حتى يصلها مع الإمام أعظم أجرا من الذي يصلها ثم ينام) خ ١ (بدء الأذان) ص ٥٧ .

١٦ - والخطوة إلى المسجد ترفع صاحبها درجة وتحط عنه بها خطيئة (بشروا المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة) .

١٧ - وتردد الإنسان على المسجد وابتغاؤه وجه الله - دليل على أنه من أهل الصلاح (إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالجنة) .

١٨ - وإذا فرغ الإنسان من عمله اليومي وذهب إلى المسجد يستحب له أن يمكث فيه حتى يصلي العشاء ، ليعلم حال الجماعة ولينصت إلى المواعظ . وقد سبق أن بينت أن انشغال الرجل بالصلاة وهو في عمله يعد انتظاراً منه للصلاة التي تليها (لا يزال أحدكم في صلاة مادامت الصلاة تمسسه ولا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة) خ ج ١ (مواقيت الصلاة) ص ٥٤ بالمعنى .

١٩ - واختلف في حكم الجماعة في الصلاة - فقليل هي فرض ، وقيل واجب كفاً ، وقيل سنة . والمؤكد أن الشارع توعد المتخلفين عنها بلا عذر بعذاب

شديد كاد أن ينزله بهم ورماهم بالنفاق (والذي نفسى بيده لقد هممت أن أمر بحطب فيحطب ، ثم أمر بالصلاة فيؤذن لها ، ثم أمر رجلا فيؤم الناس ثم أخلف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم) خ > ١ (الأذان) ص ٥٧ .

٢٠ - والمنافقون وإن قاموا إلى الصلاة كسالى يراءون الناس ، فإنه يشغل عليهم أداء صلاتين لأنهما يتطلبان مزيدا من الجهد . (ليس صلاة أثقل على المنافقين من صلاة الصبح والعشاء) خ > ١ (الأذان) ص ٥٧ .

٢١ - وفي الأعمال فاضل وأفضل . وأداء الصلاة في وقتها من أفضل الأعمال . وقد سوى الحديث في الفضل بين أداء الصلاة في الوقت وبر الوالدين والجهاد - لأن في كل منهما صلة بين العبد ومن له فضل عليه (أى الأعمال أفضل ؟ قال : الصلاة على وقتها . قلت : ثم . قال : بر الوالدين . قلت : ثم . قال : الجهاد في سبيل الله) خ > ١ (مواقيت الصلاة) ص ٥٠ .

٢٢ - وقد جعلت الصلاة مظهراً أولاً من مظاهر الإسلام . وقد صح : (إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة) .

٢٣ - ومن الأمور التي جعلت الناس يتهاونون في الصلاة ولا يؤدونها ما أشيع من أن الإسلام يكتمني من المرء بكلمة التوحيد . وإذا لم يأت بسائر الأركان فهو مسلم عاصي ، ولا تميل لهذا الرأي . ولا يوجد مسلم عاصي لأنه اجتماع النقيضين - فيكون المعنى مطيع عاصي . ولكن يوجد مسلم تائب . والإسلام كل لا يتجزأ - فمن ترك ركناً منه فليس بمسلم ما لم يجدد إسلامه فيأتي بهذا الركن الذي ضيعه ولا حاجة بنا إلى تأويل النصوص الواضحة (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة - فمن تركها فقد كفر) .

٢٤ - والصلاة مظهر من مظاهر النظام : ففيها صفوف معتدلة مترابطة مستقيمة ، تتحرك بحركة واحدة صامتة ، تتبع إمامها من غير تخلف

(ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها : فقلنا : وكيف تصف ؟ قال : يتمون الصفوف الأول ويتراصون في الصف) .

٢٥ - وليصف الرجال أولا ، ثم الصبيان ، ثم النساء منفصلات بعيدات عن صفوف الرجال (خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها . وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها) .

٢٦ - ومع هذه التعاليم الدقيقة نرى في المساجد صفوفًا غير مستقيمة ، متبعثرة غير متحدة الحركة - فهذا رافع وذاك رافع ، وهذا كله نقص في الصلاة (سوا صفوفكم فإن تسوية الصف من تمام الصلاة) .

٢٧ - وأحيانا نجد الإمام عن يمينه واحد وعن يساره أربعون - وهذا خروج على النظام . فالمطلوب أن يقف الإمام في الوسط وأن تكمل الصفوف - فن صلى وأمامه فرجة يمكن أن يقف فيها ، فصلاته باطلة في الراجح (وسطوا الإمام وسدوا الخلل) .

٢٨ - وصلاة القرائض في المساجد . أما النوافل ففي البيوت بعدا عن الرياء (صلوا أيها الناس في بيوتكم فإن أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة) خ - ١ (الأذان) ص ٦١ .

٢٩ - ومن الصلاة ما يجب أو تستحب بسبب ؛ كدخول المسجد للجلوس فيه (إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين) خ - ١ (الصلاة) ص ٤٣ .

٣٠ - هذا بالنسبة للمكان . أما بالنسبة للزمان فتستحب الصلاة عند تجدد الوضوء . وهى من أفضل الأعمال التي تدخل صاحبها الجنة (يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام فإني سمعت دق نعليك بين يدي في الجنة ؟

قال : ما عملت عملاً أرجى عندي من أنى لم أتطهر دهوراً في ساعة من ليل
أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لى أن أصلى)

٣١ - وصلاة الجمعة فرض عين على الصحيح ، شدد الشارع على من
تركها (ليستهيبن أقوام عن ودعهم الجمعات ، أو ليختمن الله على قلوبهم ثم
ليكونن من الغافلين) .

٣٢ - وفي يوم الجمعة ساعه يتجلى الله فيها على المتقربين إليه بصالح
الأعمال (فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلى يسأل الله شيئاً إلا
أعطاه الله إياه) خ - ١ (الجمعة) ص ٧٣ .

٣٣ - وقد أخفاها ليتحراها الناس وليزداد عملهم ، وإن كانت بعض
الآثار أشارت إلى تحديدها (هى ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى
الصلاة) .

٣٤ -- وعلى المأموم أن يتبع لإمامه لا يسبقه ولا يتأخر عنه . (أما
بخشى أحكم إذا رفع رأسه قبل رأس الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار
أو يجعل الله صورته صورة حمار) خ - ١ (الأذان) ص ٦٠ .

٣٥ -- ولا بد من الخشوع فيها . ولا كمن يتفرغ القلب لله جاء الحديث :
(لا صلاة بمحضرة طعام ولا هو يدافعه الأخيشان^(١)) .

٣٦ - ومن الناس من يرفعون أبصارهم إلى أعلى وهم فى الصلاة . وهذا
مخل بالخشوع . ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء فى صلاتهم ؟
ليستنن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم) خ - ١ (الأذان) ص ٦٢ .

٣٧ - ومن الناس من يقف فى صلاته غير ثابت . وهذا يعد انتقاصاً

من الصلاة (الإلتفات في الصلاة لإختلاس الشيطان من صلاة العبد) خ ج ١
(الأذان) ص ٦٢ .

٣٨ - وعلى المصلي أن يكون في مكان بعيد عن طريق الناس حتى
لا يعرضهم للإثم ، ويعرض نفسه للعبث حين يدفعهم من المرور بين يديه .
وعلى الأقل يتخذ لنفسه سترة لا يتجاوز بها مكان سجوده (لو يعلم المار بين
يدى المصلي ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خيرا له من أن يمر بين يديه) خ
ج ١ (الصلاة) ص ٤٩ .

٣٩ - ويحرم تكرار الجماعة في الوقت الواحد وفي المسجد الواحد ،
لأن ذلك يمزق الوحدة ويفرق الأمة في مكان هيء لتتحد الأمة فيه (إذا
أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة) .

٤٠ - وليس كل مصلي تقبل منه ، ولكن تقبل من أداها كما أمر ، وحملته
على الفضائل ونهته عن الرذائل (إنما أتقبل الصلاة من تواضع بها لعظمتي ،
ولم يستطل على خلقي ، ولم يبت مصرا على معصيتي ، وقطع النهار في ذكرى ،
ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ورحم المصاب) .

٤١ - ولا يتنافى مع التواضع أن يذهب الإنسان بثوب تظيف إلى المسجد
لحضور الجماعة ، بل ذلك هو الواجب أو المسنون . (ما على أحدكم إن وجد
سعة أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة غير ثوبي مهنته) .

٤٢ - وقد سبق أن الوضوء عبادة وإعداد للسلم ، ليكون في الجماعة
في مظهر حسن تتبعت منه رائحة طيبة (حبذا المتخللون من أمتي . قالوا : وما
المتخللون ؟ قال : المتخللون في الوضوء ، والمتخللون من الطعام) أما تحليل
الوضوء فالمضمضة والاستنشاق وبين الأصابع . وأما تحليل الأسنان فمن
الطعام (إنه ليس شيء أشد على المملكين من أن يريا بين أسنان صاحبهما
طعاما وهو قائم يصلي) .

٤٣ - وليست الصلاة ولا المسجد ولا الإعتكاف بحواجز تمنع العبد من فعل الخير ، بل هي إعداد له وحفز على المسارعة في كل ما هو نافع ومفيد للناس . كان ابن عباس معتكفا في مسجد النبي - فدخل عليه رجل مهموم من ديون حل أجلها . فعرض عليه ابن عباس أن يكلم دائته . فقال له الرجل أنت معتكف وقد حل الأجل ؛ والمعتكف لا يخرج من المسجد لمثل هذه الحاجة (فدعت عينا ابن عباس وروى : من مشى في حاجة أخيه وبلغ فيها كان خيرا له من اعتكاف عشر سنين . ومن اعتكف يوما ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق كل خندق أبعد مما بين الخافقين)

٤٤ - ومن السنة أن يعود الرجل أبناءه على الصلاة (مروا أولادكم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع) .

٤٥ - ومن تطهر في بيته واتجه الى المسجد كان زائرا لله . (إن بيوتى في الأرض المساجد ، وإن زوارى فيها عمارها - فطوبى لمن تطهر في بيته وزارنى في بيتى ، وحق على المزور أن يكرم زائره) .

٤٦ - وقد سبق أن المساجد يشرع في بنائها عند ازدحام المسجد ، وعند ذلك فالكل من ساهم في بنائها أجر عظيم (من بنى لله مسجدا بنى الله له كهيأته في الجنة) خ ج ١ (الصلاة) ص ٤٤ .

٤٧ - ومن الناس من يشككهم الشيطان في صلاتهم ، فيلقى في روعهم أنهم ليسوا على وضوء ، أو أن شيئا خرج منهم نقض وضوءهم . وفي هذا المعنى جاء الحديث : (لا ينصرف المصلى حتى يسمع صوتا أو يجد ريحا) . خ ج ١ (الوضوء) ص ٢٣ .

٤٨ - ومنهم من يصلى مكشوف الظهر والبطن . وصحيح أن عورة الرجل من السرة إلى منتهى الركبة أو هي ستر القبل والدبر . وعلى كل حال

فإن من الأفضل أن يستتر الإنسان كل بدنه لأنه من الزينة التي أمرنا أن نأخذها عند كل مسجد أى صلاة . ومن هنا جاء النهى للسكرامة (لا يصلى أحدكم في الثوب الواحد ليس على عاتقه شيء) خ ١٠ (الصلاة) ص ٣٧ .

٤٩ - ويجوز أن يتقى الإنسان الأذى وهو في الصلاة بثوب ونحوه (كئنا نصلى فيضع أحدنا ثوبه من شدة الحر في مكان السجود) خ ١٠ (الصلاة) ص ٤٠ .

٥٠ - وقد جعلت الصلاة دليلا على الإسلام . فلا يصح أن يرى مصلى بالكفر (من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله ورسوله - فلا تخفروا الله في ذمته) خ ١٠ (الصلاة) ص ٤٠ .

٥١ - ومن شك في صلاته عمل بغالب ظنه أو بنى على الأقل إن لم يكن له ظن راجح . ويستمر في صلاته ثم يسجد سجدتين بعد السلام أو قبله ، أو إن نقص فقبل وإن زاد فبعد السلام - أقوال للفقهاء (إذا شك أحدكم في صلاته فليتحر الصواب فليتم عليه ثم يسلم ثم يسجد سجدتين) خ ١٠ (الصلاة) ص ٤١ ، ٤٢ .

٥٢ - ويجب أن يكون الناس آمنين في المساجد لا يؤذيهم الداخلون بعصيم أو نعالم . كما أن الأذى يجب ألا يقع إلا بالحق في المسجد أو غيره (من مر بشيء من مساجدنا أو أسواقنا بنبل فليأخذ علي نصلها لا يعقر بكفه مسلما) خ ١٠ (الصلاة) ص ٤٤ .

٥٣ - والمساجد بيوت للعلم والعبادة معا ، لا يمنع أحد من أن يسأل في أى وقت شاء ولو في خطبة الجمعة (سأل رجل النبي وهو على المنبر ما صلاة الليل ؟ قال : مثني مثني) خ ١٠ (الصلاة) ص ٤٦ .

٥٤ - - والصلاة الوسطى قيل هي العصر لحديث : (الذى تفوته صلاة العصر كأنما وتر ماله وأهله) خ ١ (مواقيت الصلاة) ص ٥١ .

٥٥ - - وقد نهى الشارع عن الصلاة فى أوقات ثلاثة : عند طلوع الشمس ، وعند استوائها ، وعند اصفرارها إلى أن تغرب . وهل انتهى مختص بالفرائض والواجبات . أو عام يشمل النوافل والسنن . أو يستثنى ما كان بسبب كتحية المسجد ؟ أقوال للفقهاء . لكن من أدرك سجدة قبل هذه الأوقات

فليتم صلاته وإن خالف فى ذلك بعض الفقهاء . وسندنا حديث : (إذا أدرك أحدكم سجدة من صلاة العصر قبل أن تغرب الشمس فليتم صلاته . وإذا أدرك سجدة من صلاة الصبح قبل أن تطلع الشمس فليتم صلاته) خ ١ (مواقيت الصلاة) ص ٥٢ .

٥٦ - - ومن فاتته صلاة الصبح فليؤذن لها بحيث يسمع نفسه وليقيم ثم يصلى بعد طلوع الشمس وارتفاعها . وليبدأ بالفجر ، ثم يصلى الصبح لما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين معه ناموا فلم توقظهم إلا الشمس . فقال لهم : (إن الله قبض أرواحكم حين شاء وردها حين شاء . وأمر بالأذان ، ثم صلى بعد ارتفاع الشمس) خ ١ (مواقيت الصلاة) ص ٥٤ .

٥٧ - - والأذان للصلاة لإعلام الناس بها . واختلف فى كفيته ، وحكمه سنة أو واجب بعد الإنفاق على أهله (لأنه ليس مع مدى صوت المؤذن جنى ولا لاسى ولا شىء إلا شهد له يوم القيامة) خ ١ (الأذان) ص ٥٥ .

٥٨ - - وقد تعد إقامة الصلاة آذانا - لما فيها من إعلام للصلاة لمن فى المسجد . ولذا صح قوله : (بين كل آذنين صلاة لمن شاء) خ ١ (الأذان) ص ٥٦ .

٥٩ - - والمتخلفون عن الجماعة زاهدون فى الفضل ، يحرصون على الدنيا

(والذى نفسى بيده لو يعلم أحدهم أنه يجد عرفاً سميئاً أو مرماًتين^(١) حسنتين لشهد العشاء) خ ١٠ (الأذان) ص ٥٧ .

٦٠ -- وإذا سهى الإمام فعلى المأموم أن يذكره بالتسبيح ، والمرأة تذكر بالتصفيق . هذا إذا كان ذلك ينبيهه إلى ما تركه . فإذا لم ينتبه كأن يكون نسي سجدة فسجوا له ولم ينتبه ، فلا مانع عنده من أن ينهوه بألفاظ القرآن كقوله : اسجدوا لله - ولا يعد هذا كلاماً لأنه من جنس ما يتلى في الصلاة (من رابه شيء في صلاته فليسبح فإنه إذا سبح لفتت إليه وإنما التصفيق للنساء) خ ١٠ (الأذان) ص ٥٩ .

٦١ -- وعلى الإمام أن يخفف في ركوعه وسجوده بالقدر الذى لا يخل بالاركان ، وأن يختصر في القراءة ويراعى الضعفاء . ومن أراد التطويل فليتنفل وحده وليطل ماشاء حتى لا يمل الناس . وفي الحديث : (لولا صلوات بسبح اسم ربك الأعلى يامعاذ) خ ١٠ (الأذان) ص ٦٠ .

٦٢ -- وما يلتزم المسلمون به في صلاتهم من تسوية الصف وسيلة لوحدة صفوفهم وكلمتهم وأهدافهم - في الحياة (لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم) خ ١٠ (الأذان) ص ٦١ .

٦٣ - والإمام داع لهم بألفاظ القرآن . وعليه وعليهم أن يؤمنون سرا أو جهرا - قولان (إذا أمن الإمام فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه) خ ١٠ (الأذان) ص ٦٤ .

٦٤ - ولا يصح التشويش في المسجد برفع الصوت . ولا مانع من رفع الصوت في ختم الصلاة إن وجدنا غريباً نعلمه كيفية ختمها - وبشرط ألا يكون هناك مسبوق يشوش عليه . وسندنا في هذا ماروى : (إن رفع الصوت

(١) ما بين ظبا الشاه من اللحم أوهما سيمان يتعلم هلبيا الرمي

بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم) خ ج (الآذان) اص ٦٨ .

٦٥ - ووقار المسجد وعدم التشويش فيه أمران لازمان خصوصا إذا كانت فيه مواعظ تلقى (إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والإمام يخطب فقد لغوت) خ ج (الجمعة) ص ٧٢ .

٦٦ - والخطبة في صلاة العيد بعد الصلاة. وأول من خطب قبل صلاة العيد مروان بن الحكم ليستمع الناس له . والخطبة لصلاة العيد سنة في الراجح . وليس لصلاة الكسوف أو الخوف آذان لحديث : (لما كسفت الشمس زودى : إن الصلاة جامعة) خ ج (الكسوف) ص ٧٨ .

٦٧ - وإذا تليت آية سجدة سجد لها ولو كان في الصلاة، أو نوى بسجود الصلاة سجود التلاوة إن كان السجود للتلاوة سيحدث خلافا واضرا بابن المصلين ، وسجود التلاوة واجب في الصحيح ، ومن لم يسجد عند تلاوة الآية يعاقبه الله في الدنيا أو في الآخرة . ويروى : (من لم يسجد لآية النجم حين تليت - وأخذ ترابا بكفه ووضع على جبهته وقال : يكفيني هذا قتل كفر . وهذا معنى الأثر) خ ج (سجود القرآن) ص ٧٨ ، ٧٩ .

٦٨ - ويرخص للسا فر أن يجمع بين الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء - كل وقتين في وقت . فيصلى العصر عقب الظهر ، ويصلى العشاء عقب المغرب لحديث : (كان يجمع بين الظهر والعصر إذا كان على ظهر سير ، ويجمع بين المغرب والعشاء) خ ج (قصر الصلاة) ص ٨٠ .

(٦٩) وعلى الإنسان أن يجتهد حتى يصلي الصبح ولا يضيعها عليه نوم
ثقيل . ويروى في هذا أن علي بن أبي طالب قال للنبي لما سأله لم لم تستيقظ
لصلاة الصبح ؟ قال علي : (أنفسنا بيد الله فإذا شاء بعثنا . فانصرف النبي
وقال . وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً) خ ١٠ (التهجد) ص ٨١

(٧٠) وإذا تنفل العبد فليتنفل وهو نشيط . وإذا غلبه النوم أو التعب
فليسترح . وقد دخل النبي فوجد حبيلاً في المسجد تربط فيه نفسها لإحدى
المؤمنات إن غلبها النوم وهي في الصلاة . فقال : (لا ، حلوه ، ليصل أحدكم
نشاطه فإذا فتر فليقعد) خ ١٠ (التهجد) ص ٨٢

(٧١) ولقد كان يخفف النفل في ركعتي النجم (كان يخفف ركعتي الفجر
حتى سألت عائشة هل قرأ بأم القرآن ؟) (١) .

(٧٢) وصلاة الوتر والضحي سنتان . وأكدتان وإن قيل بوجوبهما
(أوصاني بثلاث : صوم ثلاثة أيام من كل شهر ، وصلاة الضحي ، ونوم
علي وتر) خ ١٠ (التهجد) ص ٨٣

(٧٣) ولا مانع من الصلاة نفلاً بعد آذان المغرب وقبل صلاته ويروى:
(صلوا قبل صلاة المغرب لمن شاء . قالها ثلاث مرات) خ ١٠ (التهجد) ص ٨٣

(٧٤) والمساجد كلها في الفضل سواء - إلا المسجد الحرام ، فالصلاة فيه
بمائة ألف صلاة ، والمسجد النبوي فبألف ، والمسجد الأقصى بخمسة مائة ،
والصلاة في الروضة الشريفة بالمسجد النبوي فيها فضل كبير (ما بين بيتي
ومنبري روضة من رياض الجنة . ومنبري علي حوضي) (٢) .

(١) خ ١٠ (التهجد) ص ٨٣

(٢) خ ١٠ (فضل المساجد الثلاث) ص ٨٤

(٧٥) وإذا داوم الإنسان على صلاة السنن فلا مانع من قضائها . هذا في رأيي لحديث : (أتاني ناس من عبد القيس فشغلوني عن الركعتين اللتين بعد الظهر ، فهما اللتان أصليهما بعد العصر) > ١ (السهو) ص ٨٥

(٧٦) ويسن التوجه في يوم الجمعة إلى المسجد مبكراً ليحصل على مزيد من فضل الله (إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول - فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر) > ٢ (به الخلق) ص ٣٣ مختصراً .

الموضوع السادس عشر

باقي العبادات

الزكاة

(١) هي فريضة إسلامية لم تشرع لحل مشكلة الفقر ، ولكن تحل مشكلته بالعمل من القادرين عليه ، وإنما شرعت للتعاطف والتراحم ، وهي حق حيث إن المال مال الله في أصله ، كان مباحا للجميع - لكن الذين عجزوا عن الحصول على حقهم كانوا ضمننا متنازلين لآخوانهم العاملين الذين حصلوا على المال بسعيهم ، فكانت هناك شركة بين العاجزين والقادرين - للعاجر ربع العشر (من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ، ثم يأخذه بهزمتيه يعني بشدقيه ثم يقول أنا مالك ، أنا كنزك) خ ج ١ (الزكاة) ص ٩٦ .

(٢) ولكي تجب الزكاة يجب أن يتكامل النصاب وأن يحول عليه الحول ، والنصاب محدد فاضلا عن حاجته وحاجة أولاده ، وهو من الفضة مائتا درهم ، ومن الذهب عشرون مثقالا فيهما ربع العشر ، ومن الإبل في كل خمس شاة ، والبقرة والجاموس في كل ثلاثين بقرة ، ومن النعم في كل أربعين شاة (ليس فيما دون خمس أواق صدقة ، وليس فيما دون خمس ذود صدقة ، وليس فيما دون خمسة أوسق صدقة) خ ج ١ (الزكاة) ص ٩٦ .

وهو يشير إلى الماليات والحيوان والحبوب ، والوسق ستون صاعا .

(٣) والزكاة تطهير للمال ، ولكي تقبل يجب أن تكون من كسب طيب وهي لا تنقص المال ، بل تنميه وتزيده (من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب ، فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربها لصاحبها كما يرب أحدكم فلوه حتى تسكون مثل الجبل) خ ج ١ (الزكاة) ص ٩٦ .

(٤) وأعظم الصدقة ما أخرجها الإنسان في شبابه وصحته . (أى الصدقة أعظم؟ قال: أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر، وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان) خ ج ١ (الزكاة) ص ٩٧ ،

(٥) ومن أنفق على المحتاج عوضه الله ؛ ومن أمسك أمسك الله تنه فضله (لا توكل فيوكل عليك) خ ج ١ (الزكاة) ص ٩٨ .

(٦) وتحبون المال حبا جما ، وإن الإنسان لحب الخير شديد ، لكن المنفقين يتغلبون على ما فيهم من نوازع تنزع بهم نحو البخل فيتوارى ما فيهم من عيوب : أما البخيل فلا يكاد يفكر في الإنفاق حتى يتغلب عليه الشح فيكبل يديه (مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من نديهما إلى تراقيهما ، فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفى بنانه وتعفو أثره ، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسمها فلا تتسع) خ ج ١ (الزكاة) ص ٩٨ ، ٩٩ .

(٧) وقد أوجب الشارع على كل مسلم صدقة مالية لمن عديم الأموال أو بدنية ، أو كلامية كالنصيحة ، أو عملية كأن يكون تدوة صالحة - فإن هذا كله يعد صدقة (على كل مسلم صدقة . قالوا : فمن لم يجد؟ قال : يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق ، قالوا : فإن لم يجد؟ قال : يعين ذا الحاجة الملهوف ، قالوا : فإن لم يجد؟ قال فليعمل بالمعروف ولْيَمْسِكْ عن الشر فإنها له صدقة) خ ج ١ (الزكاة) ص ٩٩ .

(٨) وتقوم الزكاة على أساس العدل ، فليس للعامل أن يضيف أموالا لآزكاة فيها إلى أموال فيها الزكاة ليكمل النصاب ، كما لا يجوز ، أن يأخذ من النصاب شيئا . ليعني صاحب المال (ولا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة) خ ج ١ (الزكاة) ص ٩٩ .

(٩) وكل ما يحتاج إليه الإنسان لازكاة فيه (ليس على المسلم في فرسه
وغلامه صدقة) خ ح ١ (الزكاة) ص ١٠١

(١٠) ولا يأتي الخير بالشر ، كما لا تجلب الزكاة على صاحبها فقرا ، وفي
السنة مثل هذا : (أو يأتي الخير بالشر ؟ قال : إنه لا يأتي الخير بالشر ، وإن
ما ينبت الربيع يقتل أو يلم (١) إلا آكلة الخضراء أكلت حتى إذا امتدت
خامرتها استقبلت عين الشمس فنزلت وبالت ورتعت) خ ح ١
(الزكاة) ص ١٠١ .

(١١) وزكاة الزروع العشر ، أو نصف العشر إن كان قد سقى
بتكاليف (فيما سقت السماء أو العيون أو كان عثريا العشر ، وما سقى بالنضح
نصف العشر) .

(١٢) وما يحصل عليه الناس من ركاز مدفون في باطن الأرض لا يعرف
له مالك ففيه الخمس (العجماء (٢) جبار ، والبئر جبار ، والمعدن جبار ، وفي
الركاز الخمس) خ ح ١ (الزكاة) ص ١٠٤ .

(١٣) أما صدقة الفطر فهي على الأعيان (٢) في الراجح ، خلافا للأحناف
فإنهم أوجبوها على من عنده نصاب ، ويستحسن أن تؤدي قبل صلاة العيد
وفي معنى الحديث (وأمر بصدقة الفطر أن تؤدي قبل الصلاة) خ ح ١
(صدقة الفطر) ص ١٠٤ .

(١٤) والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم
بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم

(١) أي يقرب من القتل .

(٢) أي ما تحدته البهيمة من جروح في الإنسان - فهو هدر لأنها

غير مستولة .

(٣) الأفراد .

وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكذبون ، وهذا موقف من موافقهم يوم القيامة (بشر الكاذبين برضف يحمى عليه في نار جهنم ، يوضع على حلة ثدى أحدهم حتى يخرج من نفض كتفه ، ويوضع على نفض كتفه حتى يخرج من حلة ثديه فيترززل) .

(١٥) والزكاة تخضع لتشريع الدنيا ، وللحاكم أن يأخذها ثم يعطيها لأهلها ، وله أن يعاقب مانعها بإضافة غرامات عليهم فوق الزكاة ، وفي الأثر (من أعطى الزكاة محتسبا فله أجرها ، ومن منعها فإننا أخذوها وشطر ماله عزمة من عزمات ربنا تبارك وتعالى) .

(١٦) ومن فاته عقاب الدنيا انتظره ذلك الوعيد الشديد ، يوقع عليه في يوم لا يرفع فيه مال ولا بنون (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فتحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره ، كدات بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد - فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ، قيل يا رسول الله فالإبل ؟ قال : ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها ، ومن حقها حلبها يوم وردها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أو فر ما كانت لا يفقد منها فصيلا واحدا تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواها ، كلما مر عليه أولاها رد عليه أخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ، قيل : يا رسول الله فالبقر والغنم ؟ قال : ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئا ، ليس فيها عقصاء ولا جلهاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها - كلما مر عليه أولاها رد عليه أخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار . قيل يا رسول الله فالخيل ؟ قال : الخيل ثلاثة : هي لرجل وزر ، وهي لرجل ستر ، وهي لرجل أجر ، فأما

التي هي له وزر فرجل رباطها رياه ونفرا ونواء على أهل الإسلام فهي له
 وزر، وأما التي هي له ستر فرجل رباطها في سبيل الله ثم لم ينس حق الله
 في ظمورها ولا رقابها فهي له ستر، وأما التي هي له أجر فرجل رباطها في
 سبيل الله لأهل الإسلام في مريح أو روضة - فما أكلت من ذلك المريح
 أو الروضة من شيء إلا كتب له عدد ما أكلت حسنات ، وكتب له عدد
 أرواثها وأبوالها حسنات ، ولا تقطع طولها فاستنبت (١) شرفا أو شرفين
 إلا كتب الله له عدد آثارها وأرواثها حسنات ، ولا مريبها صاحبها على
 نهر فشربت منه ، ولا يريد أن يسقيها إلا كتب الله له عدد ما شربت
 حسنات . قيل : يا رسول الله فالجر؟ قال: ما أنزل على في الجر شيء إلا هذه
 الآية الفائزة الجامعة : فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال
 ذرة شرا يره (بخ - ١) (الشرب) ص ١٤٤ ، ١٤٥ مختصرا .

الموضوع السابع عشر

الصوم

(١) الصوم عبادة روحية وبدنية ، ومن أركان الإسلام ، وقد رغب الشارع فيه وتوعد بالعقاب من ترك الفريضة منه . وحرّم صوم الأعياد وكره صوم العيد الأسبوعي لحديث ؛ (لا يصومن أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم قبله أو بعده) خ ج ١ (الصوم) ص ١٢٦ .

(٢) وللصائم جزاء لا يحصل عليه سواه (إن في الجنة بابا يقال له باب الريان ، يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم يقال : أين الصائمون ؟ فيقومون فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد) خ ج ١ (الصيام) ص ١٢١ .

(٣) والصوم تطهير للنفس وإحساس بمراقبة الله وتربية للعزائم .

وقد سبق أنه يحل كعلاج لغير القاديين على الزواج (من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أخص للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطيع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) خ ج ١ الصيام ص ١٢٢ .

(٤) والنسيان لا يفطر الصائم (إذا نسي فأكل وشرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه) خ ج ١ (الصيام) ص ١٢٣ .

(٥) ورخص الشارع للمريض والمسافر الإفطار (أفطر النبي عند الكديد وهو مسافر إلى مكة) خ ج ١ (الصيام) ص ١٢٣ .

(٦) ويجرم صوم الدهر كله لما في ذلك من مشقة (لا صام من صام الأبد ، لا صام من صام الأبد) خ ج ١ (الصيام) ص ١٢٥ .

(٧) وكل عمل يمكن أن يفسده الرياء إلا الصوم فإن القيام به لا يرياء

فيه ، وهو دليل على مافي القلب من إخلاص ، ولذا فقد اعتبره الله من خالص عمل المرء لربه ، وكل ما يشعر به الصائم من تعب تعقبة فرحة - وهذا تصوير صادق للصوم وحكمه (كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به . والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو شاتمته فليقل إنى صائم . والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك للصائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرح وإذا لقي ربه فرح بصومه) بخ > ١ (الصيام) ص ١٢١ بالمعنى .

(٨) والذين يصومون يتعدون عن النار . في كل يوم يتعدون عنها جزاء بحلى واصبروا (مامن عبد يصوم يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً) (١) .

(٩) والمنفروض من الصيام هو شهر رمضان والنذر . ولرمضان فضل عن سائر الشهور (إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين) بخ > ١ (الصوم) ص ١٢١ .

(١٠) وكان النبي يقول عند حلول رمضان وفي كل شهر (اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام . ربى وربك الله هلال رشد وخير) .

(١١) ويستحب أن يتسحر الإنسان ليقوى على عمله (تسحروا فإن في السحور بركة) بخ > ١ (الصوم) ص ١٢٣

(١٢) ولا يصح للغنى أن يختصر في الطاعة على مجرد الصوم ، بل عليه أن يطعم الفقراء الصائمين ليزداد أجره (من فطر صائماً كان له مثل أجره ، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء) .

الموضوع الثامن عشر

الحج

(١) هو من مقررات الإسلام والركن الخامس من أركان الإسلام . وهو قصد بيت الله الحرام بأعمال وشروط مخصوصة محلها الفقه ، ويظان بعض الناس أنه كلما زاد النعب فيه كان الثواب أكثر - وهذا صحيح بالنسبة للشيقة التي تتولد عن الأعمال المشروعة ، أما التعذيب بالمشى فلا لحديث : (إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغنى ، وأمره أن يركب) بخ - ١ (جزاء الصيد) ص ١١٨ .

(٢) وقال لمن نذر الحج ماشياً وجاء يتهاذى بين ولديه ، (فلتركب ولتهد بدنة) بخ - ١ (جزاء الصيد) ص ١١٨ .

(٣) ويجوز الحج عن الغير نيابة ، واختلاف هل يجب في الوكيل أن يكون قد أدى الحج عن نفسه أولاً ؟ وهل من فرط في الأداء وهو صحيح أتفعله الإجابة وهو مريض ؟ الظاهر أنه ينتفع ، وفي الحديث : (إن أمى افتلتت نفسها وأظنم لو تكلمت تصدقت ، فهل لها أجر إن تصدقت عنها ؟ قال نعم) بخ - ١ (الجنائز) ص ٩٥ .

، والصدقة في معنى الحج ، وجاء حديث بهذا المعنى في الحج (١) .

(٤) وعلى المسلم ألا يقطع التلبية ويفهم معناها - فقد تجرد من الدنيا وأقبل على ربه يقول : (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) بخ - ١ (الحج) ص ١٠٦ .

(١) بخ - ١ (جزاء الصيد) ص ١١٨ .

(٥) وإذا عاد الحاج استقبال بالأيثر فيقول له مستقبله (حج مبرور وعمره متقبلة ، سنة النبي صلى الله عليه وسلم) بخ ١ (الحج) ص ١٠٨ .
(٦) وإذا نظرنا إلى ما يقوله الحاج ويعمله - بدت لنا مظاهر التجرد من الدنيا واختمة ، فإذا عاد فإنه يجب أن يظل صورة عملية مستمرة ليكون قدوة صالحة لغيره ، وبعض الناس يمتنع عن أداء هذه الفريضة نظراً لما يراه من سوء سلوك الحجاج بعد عودتهم - وهذا جهل وإثم كبير ، وما كان العمل المشروع ليرفض من أجل أنه لم يثمر مع فلان وفلان ، فالحج لله على من استطاع إليه سبيلاً ، وعن عمر : (لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار فينظروا إلى كل من كان عنده جنسدة فلم يجع ، فيضربوا عليهم الجزية ما هم بمسلمين ما هم بمسلمين) .

(٧) ومن الناس من يؤخر الأداء ويكتفي بأنه ينوى - وهذا تأخير في عمل البر ، بل هو تقصير خصوصاً عند من يقول الحج مفروض على الفور ، وفي الحديث : (تعجلوا إلى الحج فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له) .

(٨) وليعلم المتشدقون بتحكيم العقل في كل شيء أن في أعمال الحج اختباراً للقلوب ومدى الإيمان ، ومتى ثبت فعل النبي له فعنناه ولو لم تستغف عقولنا ، وحكمنا أن عقولنا محدودة وأنها تدرك وتوقف أن رسالة التوحيد لا تعود بالمرء إلى الوثنية ، ولكن نسأل أنفسنا هل نعبد الله بهواناً ، أو أنه لا يؤمن أحد حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ؟ وهذا عمر بن الخطاب الفقيه تحدّثه نفسه عن الحرولة في الحج فيقول : (فإبنا والرمل إنما كننا رأينا به المشركين وقد أهلكهم الله ، ثم قال : شيء صنعه النبي فلا نحب أن نتركه) بخ ١ (الحج) ص ١٠٩ .

(٩) والإسلام يقر الخير ولو كان يعمل في الجاهلية ، (كان العباس يسقى الحجيج في الجاهلية فلما أسلم استأذن أن يبيت بمكة ليأبى منى من أجل السقاية فأذن له النبي) بخ ١ (الحج) ص ١١٠ .

(١٠) ويحرم على الحاج النسوق والرفث والجدال ، ولا يتعرض لقتل صيد إلا بعض الدواب يقتلن في الحرم (خمس من الدواب كلهن فاسق يقتلن في الحرم : الغراب ، والحدأة ، والعقرب ، والفأرة ، والكلب العقور) خ ١٠ (جزء الصيد) ص ١١٧ .

(١١) ومن السنة زيارة المدينة لقبر النبي والمسجد ولما فيها من فضل (أمرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب وهي المدينة ، تنفى الناس كما ينفي الكبير خبث الحديد) خ ١٠ (فضائل المدينة) ص ١١٩ .

(١٢) والمدينة دار الهجرة وبلد الأنصار وماوى المؤمنين ، (إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها) (١) .

(١٣) والمدينة بلد عصمه الله من الدجال الذى سيظهر في قرب قيام الساعة (ليس من بلد إلا سيظوه الدجال إلا مكة والمدينة ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يجرسونها ، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج إليه كل كافر ومنافق) خ ١٠ (فضائل المدينة) ص ١٢٠ .

(١٤) والوقوف بعرفة هو الركن الأعظم وهو مهبط الرحمة ، فيه يتجلى الله على عباده فينفر ذنوبهم ويباهى بهم (ينزل الله إلى السماء الدنيا فيباهى بأهل الأرض أهل السماء فيقول : انظروا إلى عبادى جاءونى شعنا غير اضاحين ، جاءوا من كل فج عميق يرجون رحمتى ولم يروا عذابى ، فلم ير يوم أكثر عتيقا من النار من يوم عرفة) .

(١٥) وفضل الله الذى كان ينزل على النبي وصحابته ممتد إلى يوم القيامة (أتانى جبريل عليه السلام آنفا فأقرأنى من ربي السلام وقال إن الله عز وجل غفر لأهل عرفات وأهل المشعر الحرام وضمن عنهم التبعات .

فقال عمر : هذا لنا خاصة ؟ قال النبي : لكم ولسائر الناس ليوم القيامة) .

(١٦) والحج من أفضل الأعمال وأعظم القرب ، فيجب أن يكون بمال حلال ، ليس القائم به مدينا لأحد ، وليستسمح من ظلمه من غير أن يتعرض لتحديد جريمته . إن كان صاحب الحق فيها لا يعلمها ، وليتب إلى ربه - فقد تهيأ للقائه ، وفي الحديث : (أى العمل أفضل ؟ قال : إيمان بالله ورسوله ، ثم الجهاد ، ثم الحج المبرور) بخ ج ١ (الإيمان) ص ١٠ .

(١٧) وإذا كان الحج في زمان معلوم فإن العمرة لم تحدد بزمن - وهي الطواف والسعى ، وحكمها سنة (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) بخ ج ١ (العمرة) ص ١١٥ .

(١٨) ومن حج مستكملاً للشروط والأركان مؤدياً ما عليه رجع كيوم ولدته أمه وكان من العتقاء ، ومن حظى بفضل عرفات الذي يقول فيه النبي : (ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفه) .

(١٩) وما أحسن العمرة إن كان المعتمر صائماً ، أو كانت في رمضان - ففيمها من الفضل ما كان يتمناه الإنسان لو تقدم به الزمان ليحج مع خير الأنام (عمرة في رمضان تعدل حجة أو حجة معي) بخ ج ١ (جزاء الصيد) ص ١١٨ .

(٢٠) وإذا اصطحب الحاج طفلاً معه كان الطفل متنظلاً ، وكان من صحبه ماجورا (ألهذا حج ؟ قال : نعم ولك أجر) .

(٢١) ويجوز للحاج أن يتجر ، وأن يبيع ويشترى من غير أن تغطي التجارة على أعماله في الحج (كانت عكاظ ، ومجنة ، وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية ، فثأموا أن يتجروا في المواسم ، فنزلت ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم) .

الموضوع التاسع عشر الجهاد

١ - القتال شرع في الإسلام للدفاع لا للهجوم والقهر - فالحرية الدينية منحها الإسلام للجميع، ولكن قد يضطر لحمل السلاح أى إنسان إن هددت نفسه أو منع من نشر مبدئه الداعى إلى السلام والإصلاح . ولقد عاش المسلمون بضعة عشر عاما يتحملون من الأذى حتى أنزل الله د أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وكل آيات القرآن تشير إلى السبب الذى من أجله شرع القتال . والذين تعلموا من النبي دروس الجهاد قد سألوه للموازنة بين حياتهم التى يعيشونها وحياتهم التى يأملون فيها (يارسول الله أرأيت إن قتلت فاين أنا؟ قال : فى الجنة . فألقى السائل تمرات كن فى يده وقال : لئن عشت حتى آكل التمرات إنها لحياة طويلة ، ثم قاتل حتى قتل) مخ ج ٢ (غزوة أحد) ص ٧٥

٢ - بهذه الروح العالية تلقى المسلمون دروسهم ، وبهذه التوجيهات السامية نشر المعلم دروسه فى صدق وبعد عن الإغراء بالدنيا ، بل كان يعد تلاميذه للحرب فى جهتين حرب ضد عدو ، وحرب على النفس والهوى وسلطان الدنيا (لغدوة فى سبيل الله أوروحة خير من الدنيا وما فيها) مخ ج ٢ (الجهاد) ص ١٤

٣ - ولقد كان يعلمهم أن انتظار العدو والاستعداد له أعظم من حياة مليئة بالاستعباد والفساد (رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وموضع صوت أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها) مخ ج ٢ (الخور) ص ١٩

٤ - والجهاد طاعة لله لاتدانيه طاعة . وللمجاهد أجر ورزق لا ينقطع .

وهو معصوم من الذنن التي قد تفسد على المرء دينه (رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات فيه أجرى عليه عمله الذي كان يعمل ، وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان) .

(٥) وقد يظن المفسدون أنهم مجاهدون ، كما قد يظن أعوان الظلمة أنهم مجاهدون . ولكل إنسان أن يدعى أنه مجاهد بعمله . والفصل بين الحق والباطل هو سبيل الله واعلاء كلمته وأية وجهة تسلك سبيلا غير هذا أو توجه اتجاهها بعيدا عن هذا فليس ذلك بمجاهد (رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل) .

(٦) وما جاء من فضل للمجاهدين إنما يعني طوائف معينة ونفوسا محددة . قلوب حركتها إلى الجهاد شعور ومسئولية ، ونفوس حملها على البذل لإيمان بالله ورسوله هم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه هؤلاء تكفل الله لهم بالأجر وهم قد قبلوا عهده (تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وإيمان بي وتصديق برسلي . فهو ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى منزله الذي خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة . والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيأته يوم كلم ، لونه لون دم وريحه ريح مسك ، والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق ذلك على المسلمين ما قتلت . خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدا ، ولكن لا أجد سعة فأحلبهم ولا يجذون سمة ، ويشق عليهم أن يتخلنوا عني والذي نفس محمد بيده لو ددت أن أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل) .

(٧) هكذا أمنية بنى ورسول ، وإحساس بشعور من حوله . تكاليف مادية هي التي تمنع المسلمين من الخروج في سبيل الله . (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا الله ورسوله ، ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون) يالها من نفوس

طيبة وقلوب مؤمنة جاهدت في سبيل الله فاستحقت تكريما لا يناله إلا مجاهد ،
والحق أن كل داعة تخف عندما توزن بالجهاد (دلنى على عمل يعدل الجهاد؟
قال : لا أجده ، ثم قال : هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك
فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر؟ قال : ومن يستطيع ذلك؟) خ > ٢
(الجهاد) ص ١٤ .

(٨) وإذا كان الجهاد داعة متواصلة ومن أعظم الطاعات ، فإن الله أفرد
له جزاء لم يمنحه لساير الناس (إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين
في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض) خ > ٢ (الجهاد)
ص ١٤

(٩) ومن للناس من يملك المال ، ومنهم من يقدر على حمل السيف
ولا مال له - فإذا تعاوننا معا كان كل منهما مجاهدا وحده (من جهز غازيا
فقد غزا) خ > ٢ (الحور) ص ١٧

(١٠) وقد يكون للمجاهد من كان يرعاهم . وكان من الضرورة رعاية
مصالحهم حتى يعود إليهم من يعولهم . والقائمون بهذا لهم نصف أجر
المجاهدين (أيكم خلف الخارج في أهله وماله بخير كان له مثل نصف أجر
الخارج) .

(١١) وإذا انتقل المرء من الدنيا وأراحه الله من شرورها وأدخله الجنة،
فلن يتطلع إلى الدنيا إلا للمجاهد فإنه يتمنى أن يعود إلى الدنيا ليتكرر
استشهاده، فينال عند الله بكل شهادة كرامة (ما أحد يدخل الجنة يجب أن
يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا للشهيد ، يتمنى أن يرجع
إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة) .

(١٢) وذلك الأجر ليس لكل قتيل ، ولكن للصابر الذي احتسب
نفسه عند الله - قابل الموت بشجاعة ليس بحريص على الدنيا (إن قتلت
في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر) .

(١٣) ولما حزنت امرأة على قتل ولدها قالت للنبي أين ولدى؟ قال لها: فى الجنة، فسألت عنها فقال: إنها جنان فى الجنة وأن أبناك أصاب الفردوس الأعلى) بخ ج ٢ (الحوار) ص ١٦

(١٤) وعندما يرى الشهيد ما أعدده الله له لا يحس من وقع القتل إلا بشيء يسير كالخدر الذى تجرى له الجراحة لا يشعر منها بشيء (ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة).

(١٥) ومن الناس من يستهين بالحروب ولا يفكر فى آثارها ولا يدرك من مسؤولياتها إلا مجرد كلمات فارغة يحمس بها بعض الناس، فإذا جاءت الساعة كان أول الهاربين وأعلى الناس صياحا وأغزرهم دموعا على ما ضاع. وهذا الخلق لم يرب الإسلام عليه أبناءه، بل خلق آخر يعودهم المسؤولية ويدربهم النبي عليه (لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية). فإذا لقيتموهم فاصبروا، وأعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف، ثم قال: اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم الأحزاب أهنمهم وانصرنا عليهم) بخ ج ٢ (الحوار) ص ٢٢

(١٦) والمجاهد قريب من ربه يستجيب منه دعاه (ثنتان لاتردان أو قلنا تردان: اندعاء عند النداء، وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضا).

(١٧) وعلى المهرة المدربين أن يسرعوا إلى حمل السلاح إن دعا الداعى، فإن تأخروا فهم العصاة البعيدون عن الإسلام (من علم الرمي ثم تركه فليس منا أو فقد عصى).

(١٨) وإذا كانت الحروب تتطلب كثرة الإنتاج وتوحيد الجهود فإن الإسلام يقرر هذا المبدأ ويوجب التعاون من الصانع والجندي وسائر الأفراد. فكل من يحتسب بعمله ويرجو به رضوان الله فهو شريك (م ١٠ - نظرات السنة)

في أجر المجاهد (إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة - صانعه
يحتسب في صنعته الخير ، والرامي به ومنبله) .

(١٩) ولقد كان النبي يحمس الناس ويذكرهم بأجسادهم (ارموا بني لحيان
فإن أباكم كان راميا) بخ ج ٢ (بدء الخلق) ص ٤٣ .

(٢٠) والجهاد ضريبة على كل مسلم قادر عليه ، فإذا انقضت حياته ولم
يشارك في الجهاد إن كان هناك باب للجهاد ، وإن لم يكن فلا أقل من أن
يكون مستعدا إليه مجفدا نفسه من أجله ، وإلا فإن حياته لم تكن كحياة
المؤمنين (من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة
من النفاق) .

(٢١) والمتأخرون بسبب الأعذار لهم من الأجر كما لو اشتركوا فعلا
لأنهم ما منعهم إلا العذر والله أعلم بهم (إن بالمدينة لرجالا ما سرتهم مسيرا
ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم ، حبسهم المرض) بخ ج ٢ (العهود) ص ١٧ .

(٢٢) والواقفون في ميدان القتال تختلف وجهاتهم ، وثواب المرء على
ما يعمله وينوى عليه ويخلص فيه (يارسول الله : الرجل يقاتل شجاعة
ويقاتل حمية ويقاتل رياء - فأى ذلك في سبيل الله ؟ قال : من قاتل لتكون
كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) بخ ج ١ (العلم) ص ٢١ .

(٢٣) ولقد عودهم النبي أن الجهاد ليس نزهة بحرية أو رياضة بدنية -
بل عليهم أن حرص المجاهد على الحياة ينقص من أجره ، وأن موته أنفع
له وأحفظ لكرامة أمته وأبقى لكرامة دينه (مامن غازية أو سرية تغزو
فتنضم وتسلم إلا كانوا قد تعجلوا ثلثي أجرهم ، وما من غازية أو سرية تخفق
وتصاب إلا تم لهم أجرهم) .

(٢٤) والجهاد سياحة الأمة (إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله
عز وجل) .

(٢٥) وكما يكون بالنفس يكون بالمال وباللسان ، كل حسب طاقته
(جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وأسنتكم) .

(٢٦) وتجب الكياسة في الحرب (الحرب خدعة) خ > ٢ (الحدود)

ص ٢٤ .

(٢٧) وكل من قتل في سبيل الله فهو شهيد ، وهناك آخرون شهيداء
لم يقتلوا في سبيل الله (ما تعدون الشهداء فيكم ؟ قالوا : يا رسول الله من
قتل في سبيل الله فهو شهيد قال : إن شهداء أمتي إذن لقليل . قالوا : فمن ؟
قال : من قتل في سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد ،
ومن مات في الطاعون فهو شهيد ، ومن مات في البطن فهو شهيد ،
والغريق شهيد) .

(٢٨) ويجب الدفاع عن المال وتقرير حق الدفاع الشرعي ، ومن
أصيب وهو يدافع عن حقه فهو شهيد (أرأيت إن تجاء رجل يريد أخذ
مالي ؟ قال : فلا تعطه مالك . قال : أرأيت إن قاتلني ؟ قال : قاتله . قال :
أرأيت إن قتلني ؟ قال : فأنت شهيد . قال : أرأيت إن قتلته . قال : هو
في النار) .

(٢٩) والحقوق التي يجب الدفاع عنها هي الضرورات (من قتل دون
ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو
شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد) .

(٣٠) ولا يسمو القتال بصاحبه إلا حين يخلص العمل لله غير ملتفت
إلى شهرة ولا إلى منصب ، وهكذا لا يثمر العمل إلا إن كان خالصا لله
(إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمته
فعرفا . قال : ما عملت فيها ؟ قال : قاتلت في سبيلك حتى استشهدت ، قال :
كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جرىء فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على

وجبه حتى ألقى في النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأق به فعرفه نعمه فعرفها - قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن . قال : كذبت ولكنك تعلمت ليقال لعالم ، وقرأت القرآن ليقال قارىء - فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار ، ورجل وسع الله عليه وآتاه من أصناف المال ثم أتى به فعرفه نعمه فعرفها - قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك . قال : كذبت ولكنك أعطيت ليقال جواد . فقد قيل - ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار) .

(٣١) فإن لم يبيخ شهرة ولكنه اشتهر من غير تدبير منه ولا سعى إليها فشهرة بشارته له (أرأيت الرجل الذى يعمل العمل من الخير ويمدده الناس عليه ؟ قال : تلك عاجل بشرى المؤمن) .

(٣٢) ولنساء المجاهدين حرمة على القاعدين كحرمة أمهاتهم فى وجوب تكريمهن وتساوى ظلمهن بالظلم الواقع على الأمهات ، وخيانة المجاهد فى أهله تجمله يأخذ من خائنه كل حسنة عند الله (حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم . ما من رجل من القاعدين يخلف رجلاً من المجاهدين فى أهله فيخونه فيهم إلا وقف له يوم القيامة يأخذ من حسنة ما شاء حتى يرضى . ثم التفت النبي وقال : ما ظنكم) .

(٣٣) وللشهيد من التكريم ما ليس لسواه . فيروى أن عبد الله بن حرام والد جابر بن عبد الله لما قتل ونقلوه قال النبي لهم : (ما زالت الملائكة تظلمه بأجنحتها حتى رفعتموه) بخ ح ١ (الجنائز) ص ٨٦ .

(٣٤) وللقتال نظام يجب أن يتبع ، وكله يوحى بمعاني الإنسانية ، فلا يصح باسم الحروب تجاهل الإنسانية والرحمة (إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه) بخ ح ١ (العتق) ص ١٥٢ .

(٣٥) وقد عرف الإسلام نظام المخابرات واستعمله في الحروب ضد الأعداء ليتعرف على قوتهم (من يأتيني بخبر القوم يوم الأحزاب؟ قال الزبير أنا . قال النبي: إن لكل نبي حواريا وحوارى الزبير) خ > ٢ (الحوار) ص ١٨ .

(٣٦) وأشار إلى وسائل كسب الحرب من إعداد العدة كل زمان وما يتناسب له: وكانت الخيل تساوى عندهم المدرعات فأشار إليها (الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة - الأجر والمغنم) خ > ٢ (الحوار) ص ١٨ .

(٣٧) وكانت المرأة تجاهد فتقوم بعمليات التمريض ويعرف لها الصحابة حق قدرها - فقد قال عمر (أم سليط أحق بالمرط من بنت بنت النبي . لأنها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد) خ > ٢ (الحوار) ص ١٩ .

(٣٨) وعن الربيع بنت معوذ (كننا نغزوا مع النبي نسقى القوم ونخدمهم ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة) خ > ٢ (الحوار) ص ١٩ .

(٣٩) وكان النبي يعد العدة ويأخذ الحيلة (كان سهرا فقال: ليت رجلا من أصحابي صالحا يحرسني الليلة إذا سمعنا صوت سلاح . فقام سعد بن أبى وقاص بالحراسة) خ > ٢ (الحوار) ص ١٩ .

(٤٠) وكان لا ينسى المواقع التي انتصر فيها والتي انهزم فيها ، إن مر عليها عاد إلى ذاكرته النفر الذين بذلوا أرواحهم معه . كان يقول عن أحد (هذا جبل يحبنا ونحبه) خ > ١ (الزكاة) ص ١٠٣ .

(٤١) وللجهاد أن يفطر في رمضان ليقوى على العمل ولينال الأجر (كانوا فى الجهاد فقال النبي: ذهب المفطرون اليوم بالأجور) (١) .

(٤٢) ولا يدري أحد بعد الأخذ بالأسباب مقدار الصلة بين تلك الأسباب ونتائجها ، لكن على المحارب ألا يحتقر أحداً معه فلعله أن ينتصر به ، وفي الحديث : (إبغوني في ضعفائكم - هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم؟) خ ٢ (الحوار) ص ١٩ .

(٤٣) وقد تنبأ النبي بما ستكون عليه الجيوش الإسلامية فقال مبشراً : (أول جيش من أمتي يغزون في البحر قد أوجوا ، وأول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم) (١) .

(٤٤) ومن قواعد الحرب في الإسلام أنه لا يحارب إلا المحارب دون تعرض للسالمين ، وفي الحديث (أنكر النبي قتل النساء والصبيان) (٢) .

(٤٥) إلا إذا اشتركن في الحرب فيجوز أسرهن ، وقد كانت المرأة تقوم بدور فعال كما سبق ، وفي الحديث : (ما تلفت يمينا أو يسارا إلا رأيتها أي نسبية بنت كعب المازنية تزود عنى) .

(٤٦) وشاركت نسبية في حرب اليمامة وفقدت ذراعها وأنفق أبو بكر عليها حتى ماتت ، وكانت المرأة تساهم لتتال الشهادة وتحظى بفضل الشهداء الذين جاء فيهم . (الشهداء على بارق نهر يباب الجنة في قبة خضراء ، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا) .

(٤٧) ولما كانت غزوة أحد واستشهد فيها سبعون وتساهل الناس عن مصير الشهداء قال لهم النبي : (لما أصيب إخوانكم جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب ما كاهم ومشربهم ومقيلهم

(١) خ ٢ (الحوار) ص ٢٠ .

(٢) خ ٢ (الحوار) ص ٢٣ .

قالوا: من يبلغ عنا أننا أحياء في الجنة نرزق لثلا يرهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب؟ فقال الله تعالى: أنا أبلغهم عنكم، قال: فأنزل ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضله، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون).

(٤٨) وفي سرية مؤتة عندما أصيب القواد الثلاثة: زيد بن حارثة وجعفر، وعبد الله بن رواحة - قال النبي عنهم: (رأيتهم يرفعون إلى الجنة فيما يرى الناس على سرر من ذهب ورأيت في سرير عبد الله بن رواحة لزورارا عن عن سريري صاحبيه فقلت مم هذا؟ فقيل لي مضيا تردد ثم مضى).

(٤٩) ولقد كان يهتم بأمر الشهداء ويرعى أبناءهم ويقول في دعائه لهم .
(اللهم أخلف جعفرا في أهله ، وبارك لعبد الله في صفة يمينه . وقال لزوجته : العيلة تخافين وأنا وليهم في الدنيا والآخرة) .

(٥٠) ثم أخذ يقول لأمر الشهداء ويصف أحوالهم (ما أسرهم أنهم معنا . أجل إن الأجر الذي صاروا إليه أحب لنفوسهم وأقر لعيونهم من الدنيا وما فيها ومن فيها ، أما أسرهم ففي كنف الله وهو نعم المولى ونعم النصير) .

الموضوع العشرون القرآن

(١) هو دستور الأمة ، والمصدر الأول لتشريعها ، نذب الشارع إلى حفظه ، وكرم الله المستمسكين به الواعين له - فهم واحد من طوائف ثلاث أجلمهم الله (إن من إجلال الله تعالى إكرام ذى الشبهة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالى فيه والجافى عنه ، وإكرام ذى السلطان المقسط) .

(٢) ولقد كان العمل بالقرآن مسوغا للتفضيل ومقدما لصاحبه حتى فى الآخرة ، ويروى أن النبي كان يسأل عن قتلى أحد ويقول : (أيهما أكثر أخذنا للقرآن - ليقدمه فى اللحد يوم أحد) (١) .

(٣) ويجب قراءته فى الصلاة ، وينتحب قراءته فى غير الصلاة ، فإن التلاوة وسيلة للتدبر وطريق للحصول على الأجر ، (اقرأوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه) .

(٤) والمعول عليه هو العمل بما فيه وليس مجرد تردادده . فقد يكون حجة على التالى الذى لم يعمل ، أما العاملون به فإنهم يجيئون يوم القيامة تدافع عنهم آيات كانوا يعملون بها فى الدنيا (يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به فى الدنيا ، تقدمه سورة البقرة وآل عمران ، تحاجان عن صاحبهما) .

(٥) ولكل إنسان أن يقرأ من القرآن ما شاء ، لا يمنعه عدم تجويده أو تعثر فى القراءة - فإنه مأجور ، ويحاول أن يتعلم فلا يصد ، (الذى يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ، والذى يقرأ القرآن ويتتبع فيه وهو عليه شاق له أجران) (٢) .

(١) بخ ١٠ (الجنائز) ص ٩١

(٢) بخ ج ٢ (تفسير القرآن) ص ١١٤ .

(٦) وللإيمان حلاوة وللقرآن ريح طيبة ، وفي معنى الحديث : (مثل المؤمن الذي يقرأ كالأترجة طعمها حلو وريحها كذلك ، والمؤمن الذي لا يقرأ كالتمر طعمها حلو ولا ريح لها والمنافق الذي يقرأ كالريمان طعمها مر وريحها طيب ، والمنافق الذي لا يقرأ كالحنظلة لا ريح لها وطعمها مر) (١) .

(٧) ولقد كان القراء يحسون بمشاركة الملائكة تستمع لما يقرءون وهذا قارىء كان يقرأ سورة الكهف فرأى سحابة أظلمته ، فسأل النبي فقال : (تلك السكينة نزلت للقرآن) مخ ج ٢ (إسلام أبي ذر) ص ٥٤ .

(٨) وللقارىء أجر عن كل حرف يقرؤه لا يحده عدد ، ولا حرج على فضل الله (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول ألم حرف ، ولكن ألف حرف واللام حرف والميم حرف) .

(٩) والقرآن غذاء روحى ، إذا خلا القلب منه اعتراه الذبول (إن الذى ليس فى جوفه شيء من القرآن كالييت الحرب) .

(١٠) وكلما قرأ حرفاً ارتفع به منزلة عند ربه (يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت تتلو فى الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها) .

(١١) ومن الكبائر أن يحفظه إنسان أو يحفظ شيئاً منه ثم لا يردده فيضيع منه (تعهدوا هذا القرآن ، فوالذى نفس محمد بيده هو أشد ثقلنا من الإبل فى عقلها) مخ ج ٢ (فضائل القرآن) ص ١١٧ .

(١٢) ورتل القرآن ترتيباً باخراج الحروف من مخارجها ، والتزام قواعد التجويد ، والخشوع ، وتحسين الصوت (ما أذن الله لشيء ما أذن لنى حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به) .

(١) مخ ج ٢ (فضائل القرآن) ص ١١٧ ، ١١٨ .

(١٣) وللقرآن فضل ، ولبعض الآيات فضل (من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه) خ ج ٢ (المغازى) ص ٧٣ .

(١٤) ويجب صيانة المصحف فلا يعرض للإستنزاء به (نهى أن يسافر بالقرآن لأرض العدو) خ ج ٢ (الحور) ص ٢٣ .

(١٥) ومن يستطيع أن يقرأ القرآن بتجويد فقرأه بغير تجويد فقد وقع في الحرام (اعترض ابن مسعود على قراءة بغير مد للفقراء في قوله تعالى : إنما الصدقات للفقراء والمساكين الآية ، وأنكر على القارىء قراءته بغير مد) .

(١٦) وتعلم القرآن وتعليمه من صالح العمل (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) خ ج ٢ (فضائل القرآن) ص ١١٦ .

(١٧) والقرآن لا تنتهى عجائبه ومعين من المعاني لا ينضب - كلما ازدادت فيه قراءة انكشف لك كما لو كنت لم تقرؤه من قبل ، والمهم العمل (القرآن شافع مشفع وما حل مصدق ، من جعله أمامه قاده ، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار) .

(١٨) وينتفع الوالدان من قراءة ولدهما ، لأن الولد امتداد لوالديه (من قرأ القرآن وعمل به ألبس والداه تاجا يوم القيامة ، ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا ، فما ظنكم بالذى عمل بهذا ؟) .

(١٩) والتلاوة تدريب للسان على النطق الصحيح (عليك بتلاوة القرآن فإنه نور لك فى الأرض ، وذخر لك فى السماء) .

(٢٠) وعلى الحامل للقرآن أن يكون عزيزا به ، لا يقرؤه فى مكان لا يستمع القرآن فيه ، ويوسفنا أن نرى أولئك الذين يقرءونه فى الطرقات ويهدون الناس فى القرآن بعرضهم الرخيص والبذىء ، هدايا الله وأعوانا بالقرآن (من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه ، غير أنه لا يوحى إليه ،

ولا ينبغي لصاحب القرآن أن يجد مع من وجد ، ولا يجهل مع من جهل
وفي جوفه كلام الله .

(٢١) ويحتوى القرآن على كنوز من المعارف يشير إليها بإشارات دقيقة
وكل قارئ يأخذ نصيبه بقدر استعداده ، وهذا وصف للقرآن من نزل عليه
القرآن : (إن هذا القرآن مادبة الله ، فاقبلوا مادبته ما استطعتم ، إن هذا
القرآن جبل الله والنور المبين والشفاء النافع - عصمة لمن تمسك به ونجاة
لمن اتبعه ، لا يزيغ فيستتب ، ولا يعسج فيقوم ، ولا تنقضى عجائبه ،
ولا يخلق من كثرة الرد ، أتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف
عشر حسنات) .

(٢٢) وللقرآن قوم تخصصوا في أحكامه ، وهم أدرى الناس بها ، فيجب
الرجوع إليهم عند الحاجة (استقرتوا القرآن من أربعة : من ابن مسعود ،
وسالم مولى حذيفة ، وأبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل) (١) .

(٢٣) ولجلس القرآن آداب يجب أن تراعى ، وكلما زاد الخشوع كثر
عدد الملائكة المستمعين ، وقد قال النبي لقارئ حسن الصوت : (تلك
الملائكة دنت لصوتك ، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى
منهم) خ ج ٢ (فضائل القرآن) ص ١١٦ .

(٢٤) ولعوامل دخيله على الإسلام استهان البعض بمن يعلمون القرآن .
مع أنهم من خيرة الناس وأفضلهم (إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه)
خ ج ٢ (فضائل القرآن) ص ١١٦ ، ١١٧ .

(٢٥) ومن الناس من يتلاعب بالقرآن ، يظهر ما يؤيده ولا يهتم بما يعارضه
ومنهم من يستدل بالقرآن ولا يعمل به في نفسه - هؤلاء لا يؤثرون كثيرا
في غيرهم ، ولكن حين يظهر النفاق منهم ويخدعون البعض ويضلون باسم

(١) خ ج ٢ (فضائل الصحابة ص ٦٥) .

الدين - فهنا تبدو خطورتهم واضحة ، يحذرننا منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول : (يخرج فيكم قوم تحتقرون صلاتكم مع صلاتهم ، وصيامكم مع صيامهم ، وعملكم مع عملهم ، ويقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ينظر في النصل (١) فلا يرى شيئاً ، وينظر في القدح (٢) فلا يرى شيئاً ، وينظر في الريش (٣) فلا يرى شيئاً ، ويتبارى في الفوق (٤)) خ ج ٢ (فضائل القرآن) ص ١١٧ .

(٢٦) . ويجب الاستماع والإنصات - وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ، ومن الناس من ينصرف عن الإستماع بذهنه ، ولو أنه إنصرف أو اسكت القارى إن لم يكن غيره يسمع معه - لو أنه فعل ذلك لكان أقل شراً من سماع ، والقلب ، في شرود بعيد عن التدبير عن التدبر (اقرءوا القرآن ماتلفت عليه قلوبكم ، فإذا اختلفتم فقوموا عنه) خ ج ٢ (فضائل القرآن) ص ١١٨ .

-
- (١) جزء من السيف أو السهم .
 - (٢) ما يشرب فيه .
 - (٣) ما يلزق على السهم .
 - (٤) يتشكك في النصر .

الموضوع الحادى والعشرون

الكذب

(١) لما كان الكذب يتنافى مع الإيمان أفردت له موضوعا أشير إليه لبيان خطورة الكذب . وأول ما نفتح به هذا الموضوع الظن الذى يدور بخلد بعض الناس فيظنون السوء من غير مبرر ، وهذا من الكذب (إياكم والظن فإن الظن أكنب الحديث) خ ٢٠ الأدب ص ١٤١

(٢) وكل ما يشكك الإنسان من غير أمارات على التشكك فيجب طرحه حتى لا يعيش الإنسان فى قلق ، وعلى الإنسان أن يسلك كل سبيل مستقيم لاشبهة فيه (نع ما يريك إلى ما لا يريك فإن الصدق طمأنينة والكذب رية) .

(٣) ويمكن أن تجتمع بعض الخصال المذمومة فى نفس المؤمن ولا تخرجه عن الإيمان ، ولكن توجد خصلتان لا يجتمعان مع الإيمان (يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب) .

(٤) والكذاب لا يدخل الجنة لأنه ليس بمؤمن - إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله : وفى دركة الكذاب الزانى الذى لم يتب والمفرور الذى لا يعرف قدر نفسه (ثلاثة لا يدخلون الجنة : الشيخ الزانى والإمام الكذاب والعائل المزهو) .

(٥) وكلما زاد الضرر المترتب على الكذب زاد خطره . ومن أكذب الكذب - الكذب على رسوله الله لما فى ذلك من خداع (إن كذبا على ليس ككذب على أحد : فإن من كذب على متعمدا فليتيوا مقعده من النار) خ ١٠٣ (الجنائز) ص ٨٨

(٦) ومن هذا الباب كذب الأدعياء المنتسبين للعلم الذين يفشرون الباطل ويلبسون الحق به وقد حذرنا النبي صلى الله عليه وسلم بما يقولون

(يكون في آخر أمتي أناس دجالون كذابون يحدونكم بما لم تسمعوا أتم ولا آباؤكم ، فأياكم ولا ياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم) .

(٧) وقد يتهاون المرء في كلمة لا يظنها من الكذب وهي منه . وهذه امرأة تعد طفلها بتمرة فيقول لها النبي (لولم تعطه تمرة كتبت عليك كذبة) .

(٨) والكذب يحاسب عليه الإنسان باعتبار ما يترتب عليه من ضرر (إن الكذب يكتب كذبا حتى تكتب الكذبية كذبية) .

(٩) ومن الناس من يلهو ويطلق الكلمة بالباطل يريد أن يضحك بها الناس وهو لا يدري أنها كتبت عليه وسجل عليه أثم الكذب (ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك منه القوم فيكذب ، ويل له ويل له) .

(١٠) ومن الناس من يستغل طيبة قلوب بعض الناس فيخدعهم ويصدقونه ، زاعما أنه استحوذ عليهم وامتلك قلوبهم وهو في الحقيقة عند الله خائن كذاب كبرت خيانه أن تحدث أخاك حديثا هو لك مصدق وأنت له كاذب) .

(١١) وقد يخاف المؤمن ويحجن ، وقد يحرص ويبيخل من غير نقصان للفرائض التي افترضت عليه ، ومع ذلك البخل والجبن يعد مؤمنا ، لكن إذا كذب إنسلخ من الإيمان (يا رسول الله : أياكون المؤمن جباناً ؟ قال : نعم . أياكون المؤمن بخيلاً ؟ قال : نعم . أياكون المؤمن كذاباً ؟ قال : لا) .

(١٢) والصدق مع الله . والإقبال عليه بقلب سليم يحقق للإنسان ما نواه باخلاص ولو لم يبلغه بعمله (من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه) .

(١٣) ولقد دعا الإسلام المسلم ليصلح بين الناس ، وتجاوز الله عما يقوله المسلم يريد به الإصلاح ولو كان في صورة تخالف الواقع ، حرصاً على إزالة الضعائين وتأليف القلوب (ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فيمنى خيراً أو يقول خيراً) خ ٢ (الإصلاح) ص ٦

الموضوع الثاني والعشرون

الجزء

(١) للإسلام وسيلتان يحقق بهما العدل :

١ - التوجيه . ب - التشريع

والتوجيه هو حديثنا في هذا الموضوع . ومن المعلوم أن الناس يندفعون إلى العمل للحصول على مكافأة من ورائه ، أو يجمعون عن عمل خوفا من عقاب عليه . وكل تكاليف الإسلام تخضع لهذا القانون الثواب والعقاب .

ولقد أقام الإسلام تشريعات عادلة تطبق على أناس يسهل ضبط أعمالهم وإثباتها عليهم من غير تجسس ، وحينئذ يطبق عليهم تشريع الدنيا الذي قرره القرآن وبينته السنة ، وتوجد بعض الأعمال لا تخضع للإثبات أحيانا كالكذب غير المادى والإفطار في رمضان سرآب - فليل هذه الجرائم عقاب أخروي . وإذا نظرنا إلى الحركة الكبرى التي قام بها النبي لجعل من عرب الصحراء عابرة ومفكرين ، ومن متكالبين على الدنيا إلى راغبين في الآخرة ، ومن كفره برههم إلى مؤمنين به وبكل فضيلة . إن سر هذا الاندفاع لم يكن لإغراء مادية في الدنيا ، ولم يكن خوفا من عقوبات تنفذ عليهم - ولكن سر هذا لما استقر في ضمائرهم بفضل النبي صلى الله عليه وسلم ، ولما فهموه من أن الدنيا قصيرة والآخرة فيها حياة مديدة والله عادل ، فإذا انتهت الدنيا على ما فيها من ظلم وانطوت معها الحياة عندئذ لم يتحقق عدل الله - فكان من الضروري إقامة حياة أخرى يأخذ كل حقه فيها ، وعلى الجميع أن يتذكروا أن طريق النار مفروش بالإغراءات وأما طريق الجنة فحفوف

بالصعاب التي يتختم على المؤمن أن يتغلب عليها . (حجب النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره) (١) .

(٢) والنعم المقيم الذي يحصل عليه الإنسان في الجنة أو العذاب المقيم في النار - ليس هذا أو ذاك في غير مقدور الإنسان ، بل كلاهما يمكن تحقيقه بمجرد فعل خير أو شر (الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك) خ > ٢ (الإستئذان) ص ١٤٥

(٣) ولو أن كل إنسان استغل كل وقته ومقدرته لتنمية الخير ما كان هناك خوف رهيب من الأشرار (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ) خ > ٢ (الاستئذان) ص ١٤٢ ، ١٤٣

(٤) ولماذا يتكالب الإنسان على الدنيا وقد علم بمن آمن به أن الإنسان يخرج منها كما دخل فيها ؟ وأن كل ما افتقده فيها من أجل ربه يعرض بخير منه ، وكل ما أخذه لها وهو مغضب لربه سوف يؤخذ منه ويعاقب عليه بالنار ، لا فارق في هذا العدل بين كبير وصغير أو صحابي لرسول الله أو غيره (إنكم محشورون إلى الله تعالى حفاة عراة غزلا ، كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين . ألا وإن أول الخلق يكسى يوم القيامة إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، ألا وإنه سي جاء برجال من أمي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول : يارب أصحابي ؟ فيقال : لأنك لا تدري ما أحدثوا بعدك . فأقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد . إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم . فيقال لى : لأنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم) خ > ٢ (بدء الخلق) ص ٣٩

(٥) وللقضاء على الكبر والغزور والجبن، ولنشر التواضع والإخلاص للخالق - وعد بالجنة وأوعد بالنار (ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره . ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر) خ ٢ (تفسير القرآن) ص ١١٤

(٦) وللموازنة بين دار الأختيار والأشرار ليتعظ الناس يقول : (احتجت الجنة والنار فقالت النار : في الجبارون والمتكبرون . وقالت الجنة : في ضعاف الناس ومساكينهم . فقضى الله بينهما إنك الجنة رحمتي أرحم بك من أشاء ، وإنك النار عذابي أعذب بك من أشاء - ولكليكما على ملؤها) (١) .

(٧) وقد يتساءل الإنسان عن النار وعن أحوال المعذبين فيها ، وليبان الحقيقة وتبصرة الغافلين ولئلا يتساهل أحد في عمل يدخله النار بعد ويقول إن العذاب على هذا العمل قد لا يضر كثيراً . فيقال له ولأمثاله : (إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجل يوضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه - ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً ، وإنه لأهونهم عذاباً) خ ٢ (الاستئذان) ص ١٤٧

(٨) وللمحاكمة عند الله موقف يتصعب فيه الإنسان عرفاً من هول ما يراه (يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ، ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم) خ ٢ (الاستئذان ص ١٤٦)

(٩) ولن ينصرف أحد من مكان المحاكمة حتى يسأل عن كل نعمة منحت له (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه ، وعن علمه فيم فعل به ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن جسمه فيما أبلاه) .

(١) خ ٢ (تفسير القرآن) ص ١١٢

(١١م - السنة نظرات)

(١٠) والله لا يضيع عمل عامل آمن به أو كافر ، ولكن جزاء الكافر في الدنيا وجزاء المؤمن في الآخرة ، وقد يكون في الدنيا (إن الكافر إذا عمل حسنه أطعم بها طعمة من الدنيا ، وأما المؤمن فإن الله تعالى يدخر له حسناته في الآخرة ويعقبه رزقا في الدنيا على طاعته) .

(١١) والإيمان ليس مجرد كلمة ولا الإسلام مظهر ، ولكنه طاعة وإخلاص ، والمؤمنون قليل (أترضون أن تكونوا ربيع أهل الجنة ؟ قلنا : نعم قال : أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة ؟ قلنا : نعم . قال : والذي نفس محمد بيده إنى لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة ، وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر) .

(١٢) وليست الجنة مجرد دار يعيش المنعم فيها ، ولكنها حوت من المتع ما يحدثنا عنها من رآها (الجنة طيبة التربة عذبة الماء ، وإنها قيعان ، وإن غراسها سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر) .

(١٣) وعلى الإنسان أن يستعين بربه بكلمة هي من كنوز الجنة (لا حول ولا قوة إلا بالله كثر من كنوز الجنة) خ > ٢ (غزوة خيبر) ص ٨١

(١٤) والحياة الآخرة جزاء بعد المحاكمة العادلة التي يقضى الله بها بين عباده ، ولهذا فقد وجب أن يسدد الإنسان ما عليه كي لا تبقى في عنقه مظالمه لأحد (من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو من شيء فليته الله منه اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم — إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه) خ > ١ (المظالم) ص ١٤٨ .

(١٥) وأول ما يقاضى الإنسان عليه القتل (أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في السماء) خ > ٢ (الاستئذان) ص ١٤٦ ، ١٤٧

(١٦) ولقد وعد الله المؤمنين بالجنة ولا يتصورها العقل على حقيقتها ومعرفة تحصل عن طريق السمع الصحيح - وتلك طائفة من الأحاديث التي تبين أحوال أهل الجنة وما هم فيه من نعيم . (يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يتغوطون ولا يتمخضون ولا يتبولون ، ولكن طعامهم ذلك جشاء كرشح المسك ، يلهمون التسييح والتكبير كما يلهمون النفس) خ > ٢ (بدء الخلق) ص ٣٥ .

(١٧) ويستحيل أن يدرك الإنسان كنه نعيم الجنة (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فاقربوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) خ > ٢ (تفسير القرآن) ص ١٠٩

(١٨) (وبجمرهم الألوة عود الطيب . أزواجهم الحور العين على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء) خ > ٢ (بدء الخلق) ص ٣٥

(١٩) (ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن ، لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم قلب رجل واحد ، يسبحون الله بكرة وعشيا) خ > ٢ (بدء الخلق) ص ٣٥

(٢٠) (وقال موسى يارب فأعلاهم منزلة . قال : أولئك الذين أردت غرمت كرامتهم بيدي وختمت عليها) .

(٢١) (إن للؤمن خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة في الجنة ، طولها في السماء ستون ميلا . للؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن ولا يرى بعضهم بعضاً) خ > ٢ (تفسير القرآن) ص ١١٣

(٢٢) (إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة سنة ما يقطعها) خ > ٢ (بدء الخلق) ص ٣٥

(٢٣) (إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تراميون الكوكب الدرى الغابر فى الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهما . قالوا : يارسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم . قال : بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين) خ = ٢ (بده الخلق) ص ٣٥ ، ٣٦

(٢٤) (إذا دخل أهل الجنة الجنة ينادى مناد: إن لكم أن تحبوا فلاتموتوا أبدأ ، وإن لكم أن تصحوا فلاتسقموا أبدأ ، وإن لكم أن تشبوا فلاتهرموا أبدأ ، وإن لكم أن تنعموا فلاتبأسوا أبدأ) .

(٢٥) (إن أدنى مقعد أحدكم من الجنة أن يقول له تمنى . فيتمنى . ويتمنى . فيقول له : هل تمنيت ؟ فيقول : نعم . فيقول : فإن لك ماتمنيت ومثله معه) .

(٢٦) (إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير فى يدك . فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى ياربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط لأحد من خلقك . فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : وأى شىء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضوانى فلا أضخط عليكم بعده أبدأ) (خ = ٢ (الاستئذان) ص ١٤٧

(٢٧) (إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته) (خ = ١ (مواقيت الصلاة) ص ٥١

(٢٨) (إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ، ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم) .

(٢٩) (وإذا كانت الجنة كما وصفت لنا ، فى النار أهوال تذيب القلوب

(إن لله ملائكة لم يضحك أحد منهم منذ خلقت النار مخافة أن يغضب الله عليهم فيعذبهم بها)

(٣٠) وعلى العاقل أن يغتنم أوقات العافية فيصل فيها ربه ليصله في وقت الشدة (اغتنم خمسا قبل خمس : حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك ، وفرغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك) .

(٣١) فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره والناس مجزيون بأعمالهم : لكن قد يغلب الشر أو يغلب الخير فيغفر الله أو يعذب ثم يعفو . (يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، ثم يقول الله أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ، فيخرجون منها قد أسودوا ، فيلقون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل . ألم تر أنها آخرها صفراء ملتوية) (١) .

(٣٢) وكل قول له صدى في قلب صاحبه فإنه ينجح من العذاب (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ، ووزن برة ووزن ذرة) خ ج ١ (الايمان) ص ١٢

(٣٣) وكل امرئ يستره عند الله مقدار تديته ، وفي الحديث : (بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قصص منها ما يبلغ الأذى ومنها ما دون ذلك . وعرض عمر وعليه قميص بجره . قالوا : فما أولت ذلك؟ قال : الدين) خ ١ (الايمان) ص ١٠

(٣٤) ولقد ذكرنا النبي بسؤال القبر ، ليعلم الإنسان أنه قد انتهى منه حياة لا حساب فيها ودخل في حياة أول لحظة منها الحساب والمناقشة (وأوحى

عرض عليه بمقعدته بالغدادة والعشى : إن كان من أهل الجنة فن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فن أهل النار ، فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة (بخ - ١ (الجنائز) ص ٩٣ .

(٤٠) والأطفال لا يعذبون . وأبناء المشركين مثل عنهم النبي فقال :
(الله إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين) بخ - ١ (الجنائز) ص ٩٣ .

(٤١) وهذه أحوال بعض الناس المعذبين رأها النبي في منامه . ومعناه :
(رأيت رجلين أخرجاني إلى الأرض المقدسة إذا برجل يشق فاه بحديدة ،
وآخر يضرب رأسه بحجر ، وجماعة في تنور ضيق أعلاه وواسع أسفله
وفيه نار ، ورجل قائم في نهر من دم يرمى بحجارة في فيه ، وروضة فيها
شجرة عظيمة وفي أصلها شيخ وصبيان ، ورجل قريب منها يوقد ناراً ،
فصعدا بي وأدخلاني داراً لم أرى أحسن منها - فيها جماعات ، وأدخلت
أخرى أفضل - فيها شيوخ وشباب ، قلت أخبراني عما رأيت ؟ قالوا : نعم ،
الأول الكذاب ، والثاني من علم القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل به في النهار
والثالث الزناة ، والرابع آكل الربا ، والشيخ إبراهيم ومن معه أولاد الناس
حواله ، ومن أوقد النار مالك خازن النار ، والدار الأولى لعامة المؤمنين ،
والأخرى للشهداء ، وكلانا جبريل وميكائيل ، فارفع رأسك ، فرفته فإذا
بمثل السحاب فوق ، فقالا : منزلك ، قلت دعاني أدخله ، قالوا : إنك بقي لك
عمر لم تستكمله ، فلو استكملته أتيت منزلك ، والمعذبون على حالهم إلى
يوم القيامة) بخ - ١ (الجنائز) ص ٩٤ . بالمعنى

(٤٢) وكل إنسان يجب أن يأخذ ماله ويدع ما ليس له ، فإن أخذه مثل
وعذب (من ظلم من الأرض شيئاً طوقه الله من سبع أرضين) بخ - ١
(المظالم) ص ١٤٨ .

(٤٣) والنعيم الذي أعده الله ليس من جلس نعيم الدنيا وإن اتفق معه

في التسمية فإنه يختلف عنه في النوع والكيفية (لو أن امرأة من أهل الجنة اطلمت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما وللملأته ريحا ، ولنصيفها على رأسها خمر من الدنيا وما فيها) بخ - ٢ (الخور) ص ١٤ .

(٤٤) وكذلك العذاب يختلف عن عذاب الدنيا (ناركم جزء من سبعين جزء من نار جهنم ، قيل : إن كانت لكافية ، قال : فضلت عليهن بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها) بخ - ٢ (بدء الخلق) ص ٣٦ .

(٤٥) وهذا تصوير لموقف ومشهد من مشاهد القيامة أثناء المحاكمة وتوقيع الجزاء (يقول الله يا آدم ، فيقول : لبيك وسعديك والخير في يديك ، فيقول : أخرج بعث النار ، قال : وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين - فعنده يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد ، قالوا : وأين ذلك الواحد ؟ قال : أبشروا فإن منكم رجلا ومن يأجوج ومأجوج ألفا (١)) ثم قال (يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى أوجه آزر قطرة وغبرة ، فيقول له : ألم أقل لك لا تعصني ؟ فيقول : اليوم لا أعصيك ، فيقول إبراهيم : يارب إنك وعدتني ألا تحزنني يوم يبعثون - فأى حزى أخزى من أبى إلى بعد ؟ فيقول الله عز وجل : إنى حرمت الجنة على الكافرين ، ثم يقال : يا إبراهيم ما تحت رجلك ؟ فينظر فإذا هو بذبح ملطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار) (٢) .

(٤٦) وهذا موقف آخر : (إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن : تتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى من كان يعبد غير الله من الأصنام والأصاب إلا يتساقطون في النار ، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر أو فاجر وغبرات أهل الكتاب - فيدعى اليهود فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا :

(١) بخ - ٢ (بدء الخلق) ص ٣٩ .

(٢) بخ - ٢ (بدء الخلق) ص ٣٩ .

كنا نعبد عزيراً ، فيقال لهم : كذبتُم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فاذا تبغون ؟ قالوا : عطشنا ربنا فأسقنا - فيشار إليهم ألا تريدون ؟ فيجشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضه بعضاً فيتساقطون في النار ، ثم يدعى النصراني فيقولون : عيسى ، ويفعل بهم مثلهم ، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر أو فاجر أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها ، فيقال : ماذا تنظرون ؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد ، قالوا : فارقنا الناس في الدنيا على أفقر ما كنا إليهم ولم نصحبهم ونحن ننتظر ربنا الذي كنا نعبد ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : لا نشرك بالله شيئاً مرتين) خ > ٢٠ (تفسير القرآن) ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٤٧) والناس يوم القيامة منهم الهين على ربه وإن كان له شأن في الدنيا (يأتي بالرجل العظيم السمين يوم القيامة لا ين عند الله جناح بعوضة ، واقروءا إن شئتم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً) خ > ٢ (تفسير القرآن) ص ١٠٧ .

(٤٨) والحياة في الآخرة لا تخضع للأقيسة في الدنيا ، فإن كان لها أول فإنها لا تنتهي (يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادى مناد أهل الجنة فيشربون وينظرون - فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم هذا الموت - وكلهم قد رآه ، ثم ينادى : يا أهل النار فيشربون ، فيقال : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم هذا الموت - وكلهم قد رآه ، فيذبح ، ثم ينادى يا أهل الجنة خلود فلاموت ويا أهل النار خلود فلا موت ، ثم قرأ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون) خ > ٢ (تفسير القرآن) ص ١٠٧ .

(٤٩) والجنة واسعة رحبة ، والنار مكتظة بمن فيها (يلقى في النار وتقول هل من مزيد ، حتى يضع قدمه فتقول : قط قط) (١) .

(١) خ > ٢ (تفسير القرآن) ص ١١٢ .

(٥٠) أما دار السلام فنعم دار المتقين (جنتان من فضة آيتهما وما فيهما
وجنتان من ذهب آيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى
ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن) (١) .

(٥١) ولا ينظر إلى ربه إلا من أخلص العبادة له وحده (يكشف ربنا
عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ، ويبقى كل من كان يسجد في الدنيا
رياء وسمعة ، فيذهب يسجد فيعود ظهره طبقا واحدا) خ > ٢ (تفسير
القرآن) ص ١١٤ .

(٥٢) وهذا تصوير لمكان المحاكمة (يحشر الناس يوم القيامة على أرض
بيضاء عمراء كقرصة نقية ليس فيها معلم لأحد) (٢) .

(٥٣) وتلك حالة الفاجر فيها (ما بين منكبى الكافر مسيرة ثلاثة أيام
للراكب المسرع) خ > ٢ (الاستئذان) ص ١٤٧ .

(٥٤) وهذا مزيد من الإحساس بالفضل أو مزيد من زيادة الحسرة
(لا يدخل أحد الجنة إلا أرى مقعده من النار لو أساء أيزداد شكرا ،
ولا يدخل أحد النار إلا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه
حسرة) خ > ٢ (الاستئذان) ص ١٤٧ .

(٥٥) وهذا مشهد من مشاهد عصاة المؤمنين الذين تعلقت بهم حقوق
العباد وأسقط الله عنهم حقه (يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على
قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في
الدنيا ، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم فيدخلون الجنة) خ > ١ (المظالم)
ص ١٤٧ ، ص ١٤٨ .

(١) خ > ٢ (تفسير القرآن) ص ١١٢ ، ص ١١٣ .

(٢) خ > ٢ (الاستئذان) ص ١٤٦ .

وقد اخترنا التعبير بمصاغة المؤمنين تمثيا مع ما يقوله البعض ، وإن كنا لا نميل لهذا التعبير ، فهؤلاء قد ارتكبوا ذنوباً لم تخرجهم عن الإيمان .

(٥٦) وفي كل صلاة يقول المؤمن اهدنا الصراط المستقيم ، وهذا تصوير للصراط (يضرب الصراط بين ظهري جنة فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته ، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل .

وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم ، وفي جنة كلاب مثل شوك السعدان ، هل رأيتم شوك السعدان ؟ قالوا : نعم ، قال : فإنه مثل شوك السعدان - غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله ، تحفظ الناس بأعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله - فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود ، وحرّم الله على النار أن تأكل آثار السجود فيخرجون من النار وكل ابن آدم تأكله النار إلا آثار السجود فيخرجون من النار ما قد اتحشوا ، فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل) يخ ١ (الأذان) ص ٦٥ ، ٦٦ .

(٥٧) وهذا مشهد آخر من مشاهد أهل النار (إن رجلين من يدخل النار يشتر صياحهما فيها - فيقول الله تعالى : أخرجاهما ، فيقول الله لأى شيء صياحكما ؟ فيقولون : فعلنا ذلك لترحمنا ، فيقول : إن رحمتي لكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما في النار ، فيقومان فيلقى أحدهما نفسه فيجعلها الله عليه يراد وسلاما ، ويقوم الآخر فيلقى نفسه فلا يفعل ، فيقول الله تعالى : مامنك أن تلقى نفسك كما ألقى صاحبك ؟ فيقول : ربي إني لأرجو ألا تعيدني فيها بعد أن أخرجتني منها ، فيقول الله تبارك وتعالى : لك رجاؤك ، فيدخلان الجنة معا برحمة الله تعالى) .

(٥٨) ولا ينفع المرء عند الله إلا عمله الطيب ، والحديث لا ينقلب طيباً وإن بذل في سبيل الخير (من اكتسب مالا من مآثم فوصل رحماً

- ١٧٢ -

- أو تصدق به أو أنفقه في سبيل الله جمع ذلك جميعاً فقتل به في جهنم) .
- (٥٩) وهو علام النيب (لو أن أحدكم يلبس في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج للناس عمله كأننا من كان) .
- (٦٠) والله يحاسب المرء على ما كان ينويه (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) بخ - ١ (بدء الوحي) ص ٥ .

الموضوع الثالث والعشرون

آداب وإرشاد

(١) لقد كان الإسلام ولم يزل ديننا للدنيا والآخرة معا ، يدعو لكل فضيلة وينهى عن كل رذيلة . وهذه ارشادات تتعلق بمعيشة الانسان قد يظن البعض أن الاسلام خلا منها . وأردت أن أذكر إشارات ليتبين القارىء عموم السنة وشمولها .

وللأكل والمائدة آداب في الإسلام . وهاهو يرشد مرید الأكل فيقول
(سم الله وكل بيمينك وكل بما يليك) (١) .

(٢) والشيطان يقف للإنسان بالمرصاد حتى اذا ما غضب قاده الى حيث ماشاء . وللتغلب على ذلك الشيطان كان على الإنسان أن يذكر الله كلما تحول الى حال أخرى ، فان ذكرى الله مبعد للشيطان (إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لأصحابه لا مبيت لكم ولا عشاء وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى قال الشيطان : أدركتم المبيت . وإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال : أدركتم المبيت والعشاء) .

(٣) وقد يتساءل الناس عن الشيطان ماهو ومن هو الذى يشارك الإنسان طعامه ومبيته . والحق أن ذكر الله يشيع الخير فى جوانب الإنسان ، فان ذكرنا الله عند الطعام تذكرنا أن نعيرنا حقا ففنعنا بالقليل . وهكذا يقول لأعرابي أكل ولم يسم الله ثم تذكر وسمى (ما زال يأكل معه الشيطان ، فلما ذكر اسم الله استقاء ما فى بطنه) .

(٤) والذين يأكلون بنهم وشرهة لا يعرفون للقناعة معنى .

وهذا ما نراه في الدماء والسوقة (إن الشيطان يستحل الطعام إلا يذكر اسم الله تعالى عليه ، وأنه جاء بهذه الجارية فأخذت بيدها، فجاء بهذا الأعرابي ليستحل فأخذت بيده ، والذي نفسى بيده إن يده في يدي مع يديهما، ثم ذكر الله وأكل).

(٥) وقد اشتكت جماعة عدم كفاية الطعام رغم أنه كثير ولا يكفونهم. فقال لهم النبي: (أما أنه لو سبى لكفاكم).

(٦) ومن أدب المعاشرة أن تكون رقيقا في نقدك لأهل بيتك حذاسا في توجيهك (ماعاب رسول الله طعاما أظ : إن اشتباه أكله ، وإن كرهه تركه) بخ > ٢ (اسلام أبي ذر) ص ٥٢ .

(٧) وإذا انتهى الإنسان من طعامه طالبه الله بشكر النعمة وعليه النبي أن يقول: (الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مكفي ولا مستغنى عنه ربنا) بخ > ٢ (الأطعمة) ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٨) ومن أدب المائدة في الإسلام أن يجتمع أهل البيت على مأدبه واحدة فان في ذلك تعاطفا وألفة وبركة . أما الذين يتفرقون فانهم يضيعون من الطعام ما يكفي أمثالهم (يارسول الله إنا نأكل ولا نشبع . قال : فاملكم تفرقون؟ قالوا : نعم . قال : فاجتمعوا على طعامكم بيارك لكم فيه) .

(٩) ومن الآداب أن من دعى فليلب (من دعى فليجب، فان كان صائما فليصل ، وان كان مفطرا فليطعم) .

(١٠) ومن الإرشاد والتوجيه الحسن أن يأكل الإنسان مما يليه لا يتعداه إلى مكان غيره أو إلى وسط الإناء .

ولا مانع من أن يأخذ كل انسان مما يليه في اناء يخصه يأكل منه وحده (البركة تنزل وسط الطعام ، فكلوا من حافتيه ولا تأكلوا من وسطه) .

(١١) وقد كانوا يستعملون وسائل للتنظيف لقلّة الماء عندهم لانتفخ مع حياتنا . ومن القواعد المقررة أن العبوة بالغايات - فمثلا (إذا أكل أحدكم طعاما فلا يمّسح أصابعه حتى يلمعها) بخ > ٢ (الأطعمة) ص ١٢٨ .

لا يريد بهذا إلا مجرد التنظيف . فاذا وجد الماء والصابون فلا داعي لهذا العمل .

(١٢) وأوصى بالأكل في اعتدال فلا يأكل وهو مضطجع أو متكئ . تسبيلا لعملية الإبتلاع ، وفي الحديث : (لا آكل متكئا) بخ > ٢ (الأطعمة) ص ١٢٧ .

(١٣) وفي الاجتماع على الطعام فوائد : كالتعلم والهدوء ، (طعام الإثنين كافي الثلاثة ، وطعام الثلاثة كافي الأربعة) (١) .

(١٤) ولم تخلو تعاليم الإسلام من آداب الشرب (لا تشربوا واحدا كشر البعير ولكن اشربوا مثني وثلاث ، وسهوا إذا أتم شربتم واحدا إذا أتم رفعتهم) .

(١٥) وقد ثبت أنه (نهى عن اختناث (٢) الأسقيه) بخ > ٢ (الأشرية) ص ١٢٢ .

(١٦) والذين يشربون دفعة واحدة من غير أن يتنفسوا في الإناء فلا بأس بهذا . فتفريق الشرب على دفعات يرا د منه ألا يتنفس الإنسان في الإناء - وعليه فانه لا يصح التمسك بضرورة أن يكون الشرب على دفعات ، ولعل هذا الأثر يفصح لنا عن هذا الحكم (القذاه أراها في الإناء ، انى لا أروى من

(١) بخ > ٢ (الأطعمة) ص ١٢٧ .

(٢) كسر أفواهاها والشرب منها .

١٧٩

نفس واحد ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : فأبى القدرح إذن عن فيك) .

(١٧) ويروى (كنا نأكل ونشرب ونحن نمشي) .

(١٨) ويروى كذلك (شرب النبي قائما) بخ > ١ (الحج) ص ١١٠ .

(١٩) ومن يقدم للناس الشراب فهو آخر من يشرب لحديث : (ساقى القوم آخرهم) .

(٢٠) ويجب عدم الإسراف خصوصا في أواني الطعام (إن الذي يشرب في آنية الذهب والفضة يجر جر في بطنه نار جهنم) بخ > ٢ الأشربة ص ١٣٢ .

(٢١) ولقد شبكت الارشادات النبوية ملابس الإنسان - فلا يصح أن تشبه ملابس الرجال ملابس النساء ولا العكس .

وفي الحديث : (نهي أن يتزعفر الرجل وقال : أمك أمرتك بهذا ؟ قلت : أغسله . قال : بل احرقه) بخ > ٢ اللباس ص ١٣٧ .

(٢٢) وهذه سماحة الإسلام في حكم يتعلق بالطعام (إن قوما يأتوننا باللحم لا ندري أذكروا اسم الله عليه أم لا فقال : سموا الله عليه واكلوه) بخ > ١ (البيوع) ص ١٢٩ .

(٢٣) ومن الإرشاد أن يبدأ الإنسان بتناول شيء من الحلوى في أول النهار (من تصبح كل يوم سبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر) بخ > ٢ (الأطعمة) ص ١٢٨ .

وقد يستغرب البعض مثل هذا الحكم . والحق أن الحديث لا يمنع من وقوع ضرر بعد ذلك اليوم . فمن أكل في يوم الإثنين فلا مانع أن يضر في يوم الثلاثاء .

(٢٤) وكل آنية نشك في طهارتها للأكل فيها فهذا هو الإرشاد
(أما ما ذكرت من آنية أهل الكتاب فان وجدتم غيرها فلا تأكلوا فيها ،
وإن لم تجدوا غيرها فاغسلوها واكلوا فيها) بخ ٢٥ (الذبائح والصيد)
ص ١٣٠ .

الموضوع الرابع والعشرون

(الموت - وأحكامه)

(١) إذا انطوت حياة الإنسان تبعه عمله وانعكس على الناس مدى عشرته معه . وأول مظهر من مظاهر البر أو العقوق يبدو في عدد المصلين عليه من المودعين له . فإذا زاد المصلون المؤمنون فإن الله يقبل شفاعتهم فيه (إمام من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفّعهم الله فيه) .

(٢) ويشعر الميت بما سيصير إليه فيتمجّل الخير إن كان ينتظره . وإن كان يفتظره غير ذلك قال بلسان حاله ما بينه الحديث عنه : (إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت: قدموني قدموني وإن كانت غير ذلك قالت : يا ويلها أين تذهبون بها ؛ يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو سمعه صعق) بخ > ١ (الجناز) ص ٩٠

(٣) ومن السنة أن يوصى الإنسان بشيء يتصدق عليه به بعد موته فيلتنفع الميت بصدقة نفسه (ماحق امرىء مسلم له شيء يوصى فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده) بخ > ٢ (الوصايا) ص ١٢

(٤) ومن السنة كذلك أن يتذكر الإنسان الموت لينكمش ما فيه من غرور (أكثروا من ذكر هازم الذات) .

(٥) ومن أراد واعظاً فالقبر يكفيه . ومن المستبد به الطمع في الدنيا فليتذكر ما لا بد منه وهو الموت . وفي الأثر : (كان بعد ثلث الليل يقول : يا أيها الناس أذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه . قلت : يارسول الله إنى أكثر الصلاة عليك فمك أجعل لك من صلاتي؟ فقال : ماشئت . قلت : الربع؟ قال : ماشئت . قلت : النصف؟ قال : ماشئت . قلت :

الثلاثين؟ قال: ماشئت - فإن زدت فهو خير لك . قلت : أجعل لك صلاتي كلها؟ قال : أذن تكفي همك ويغفر لك ذنبك) .

والصلاة على النبي من أعظم القرب . ومعنى جعل صلاته كلها للنبي أنه بعد أن يقوم بالفرائض وكل مكتوب عليه يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم .

(٦) وزيارة المقابر لا تتفاح الحى (فن أراد أن يزور القبور فليزر فإنها تذكرنا الآخرة) .

(٧) وزيارة المقابر يقال فيها عند الدخول (السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون ، نسال الله لنا ولكم العافية) .

(٨) ولا يصح أن يطلب الإنسان الموت (لا يتمنى أحدكم الموت إن كان محسناً فلعله يزداد وإن كان مسيئاً فلعله يستعتب) بخ ٢٣ (التمنى) ض ١٦١ .

(٩) ومن أحكام الموت تغسيل الميت غير الشهيد . ولما ماتت زينب قال النبي لمن تغسلها : (إبدأن بيمينها ومواضع الوضوء منها) بخ ١٣ (الجنائز) ص ٨٧

(١٠) ويستحب أسماع المختصر كلمة التوحيد . ولا يطالب بالنطق بها وهذا معنى الحديث : (لقتوا موتاكم لا إله إلا الله) .

(١١) والبكاء على الميت لا بأس به . فإن كان الميت قد أوصى بالبكاء عليه فإنه يعذب . أما إذا لم يوص فلا يعذب الباكى ولا المبكى عليه (إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا أدير حم - ويشير إلى لسانه) بخ ١٣ (الجنائز) ص ٨٩ ، ٩٠

(١٢) ويجب ألا يبيح المغسل ما يراه على الميت من جروح أو أحوال يراها (من غسل ميتاً فكتم عليه غفر الله له أربعين مرة) .

(١٣) ولقد خالف الناس السنة فلم يهتموا بالسير في الجنائز ولا الصلاة عليها قدر إهتمامهم بالذهاب إلى سرادقات العزاء التي قامت على الإسراف ، مع أن السنة بخلاف هذا والأجر في شهود الجنائز (من شهد الجنائز حتى يصلى عليها فله قيراط . ومن شهد ما حتى تدفن فله قيراطان . قيل : وما القيراطان قال : مثل الجبلين العظيمين) بخ ١٠ (الإيمان) ص ١٢، ١٣ بالمعنى .

(١٤) ومن تأمل الصلاة على الميت وجدها تدور على الدعاء للميت وأخيراً الدعاء للحى . ويروى : (بعد التكبيرة الرابعة قل : اللهم لاتحرمنا أجره . ولا تفتنا بعده ، واغفر لنا وله) .

(١٥) وقد حضر النبي صلى الله عليه وسلم وفاة رجل وقال ما يؤكد العلم الحديث من أن العينين إذا أخذتا بعد الموت مباشرة أمكن الانتفاع بهما . وفي حضور النبي للميت قال : (إن الروح إذا قبض تبعه البصر . لاتدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون . اللهم اغفر لأبي سلبية ، وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين ، واغفر لنا وله يارب العالمين ، وافسح له في قبره ونور له فيه) .

(١٦) وصلاة الجنائز فريضة . وكان الله فرض على الأحياء أن يصلوا الأموات بالدعاء لهم . وأحسن الدعاء الدعاء المأثور : (اللهم اغفر له وارحمه ، وعافه وأعف عنه ، وأكرم نزله ، ووسع مدخله ، وأغسله بالماء والثلج والبرد ، ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس ، اللهم أبدله داراً خيراً من داره ، وأهلاً خيراً من أهله ، وزوجاً خيراً من زوجته ، وأدخله الجنة ؛ وأعذه من عذاب القبر وعذاب النار) .

(١٧) ويجب التحجيل بالدفن والإسراع بها من غير هرولة (أسرعوا بالجنائز فإن تك صالحة فغير تقدمونها إليه ، وأن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم) بخ ١٠ الجنائز ص ٩٠

(١٨) ويجب سداد دين الميت من تركته إن كانت له تركه وإلا استسمح الدائن ، وفي الحديث (نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه) .

(١٩) وإذا قبر الميت استحب أن يستغفر له الأحياء (استغفروا لأخيكم وسلوا له الثبوت فإنه الآن يسأل) .

(٢٠) ومن كلام عمرو بن العاص : إذا دفنتموني فأقيموا حول قبري قدر ما تنحر الجزور ويوزع لحمها لأستانس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربى .

والحق أن أسنة الخلق تنطق بما كان عليه الرجل من خير أو شر . وقد مرت جنازة فأننى المسلمون عليها خيراً ؛ فقال النبي : (وجبت لها الجنة . وأثنوا على أخرى شراً فقال : وجبت لها النار ، أتم شهداء الله فى الأرض
بخ ١٠ (الجنائز) ص ٩٣

(٢١) وشهادة الناس بإخلاص لإرياء فيها تنفع الميت (أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة) بخ ١٠ (الجنائز) ص ٩٣

(٢٢) ويجوز زيارة مقابر غير المسلمين لعبرة الأحياء . وفى الحديث (لا تدخلوا على هؤلاء المعذيين قبورهم إلا وأتمم باكون ، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم لا يصيبكم ما أصابهم) .

(٢٣) ويحرم سب الإنسان بعد موته خصوصاً إذا كان بريئاً مما يقال فيه (لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا) (١) .

(٢٤) ومن النساء من يفعلن على الميت فعلاً يفضب ربهن ويفسد عليهن

دينهن ، وليست من ورائه فائدة - كحلقهن رؤوسهن حزننا ونواحين . وفي الأثر (إن رسول الله برىء من الصانقة (١) والحالقة ، والشاققة) بخ > ١ (الجنائز) ص ٨٩

(٢٥) وبعض البيوتات تستأجر من تنوح لمن ويتبعنها (النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ، ودرع من جرب) .

(٢٦) وإذا رضى الميت قبل موته بما يقال عنه فإنه يعذب عليه . وقد يكون رضاؤه عن طريق غير مباشر كأن يسمع كلاما عن نفسه وهو ليس فيه فيسكت عليه راضيا بمدحهم (مامن ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول : واجبله واسيداه أو نحو ذلك إلا وكل به ملكان يلزمانه : أهكذا كنت ؟) .

(٢٧) وللرأة أن تحزن حزننا مشروعا لا تقول ما يغضب ربها ، وقد قدر الشارع ظروفها حين تنكب فقال : (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاثة أيام ، إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا) بخ > ١ الجنائز ص ٨٧

(٢٨) وإذا مات الحاج غسل وكفن في إحرامه وبعث على حالته (اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبين ولا تحنطوه ولا تخمروا رأسه فإنه يبعث يوم القيامة مليا) بخ > ١ (الجنائز) ص ٨٧

ويجب الاقتصاد في الكفن وعدم الإسراف فيه . ويستحب أن يكون للحداد رجلا صالحا (هل فيكم رجل لم يقارف الليلة ؟ وأزل أبا طلحة القبر فدفن المرأة) بخ > ١ (الجنائز) ص ٨٨

(١) أى من ترفع صوتها عند المصيبة .

(٢٩) ومن السنة القيام للجنائز عند المرور بها (إذا رأيت الجنائز فقوموا
ولو يهودى) بخ ١٠ (الجنائز) ص ٩٠ بالمعنى .

(٣٠) وصح أنه قرأ بالفاتحة في صلاة الجنائز (قرأ في صلاة الجنائز
بفاتحة الكتاب وقال : ليعلموا أنها سنة) بخ ١٠ (الجنائز) ص ٩٠ عن
ابن عباس .

(٣١) ولأمانع من كتابة اسم الميت على قبره ، على أن لا يغالى في تشييد
القبور (فلو كتبت ثم لأريتكم قبر موسى إلى جانب الطريق عند الكئيب
الأحمر) بخ ١٠ (الجنائز) ص ٩١ مختصرا .

الموضوع الخامس والعشرون

(كياسة)

(١) من أهم مظاهر الإسلام اليقظة والإحساس بالمسؤولية وتحمل تبعاتها والتغلب على الصعاب من غير يأس والأخذ بالأسباب . وكل هذه من معاني القوة التي يعبر عنها في الإسلام بالكياسة . أما الغفلة والضعف والتواكل فهي من مظاهر العجز الذي يجاربه الإسلام ويقابل بينه وبين الكياسة كما في الحديث (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت . والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى) .

(٢) ولا يتوهم أحد أن العمل لما بعد الموت يقتضى تجاهل الدنيا - كلا ! (إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء - فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء) .

(٣) ولا تعنى الكياسة غلظة القلب، ولكنها رقة فيه مع سرعة في الإدراك والموازنة الدقيقة بين الأشياء والارتفاع بما يتلقنه من مبادئ (يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير ، هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطايرون وعلى ربهم يتوكلون) خ ٢ (الطب) ص ١٣٥

(٤) ويقول البعض حسبي الله ونعم الوكيل - وهذه كلمة جليلة المعنى واسعة الدلالة . فبعد الأخذ بالأسباب وعدم التوصل إلى المراد يقولها الإنسان . وقد قالها إبراهيم حين ألقى في النار . وقالها محمد حين قال لهم الناس : (إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) خ ج ٢ (تفسير القرآن) ص ١٠٠ ، ١٠١

(٥) والتوكل الذي هو من مظاهر الكياسة يجب تمييزه عن التواكل الذي هو من مظاهر العجز . والتوكل آخذ بالأسباب وانظر إلى التشبيه بما بلغه

التوكل وقد أخذت بالأسباب (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خصاصاً وتعود بطائناً) .

(٦) وتلك كلمات يعلمهن النبي ابن عباس ليدربه على الكياسة المرجوة (أحفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة . وأعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا) .

(٧) والله نعم على عباده ، فإن كانوا أكياساً يستثمرونها في وجوه الخير فهي معهم وهم الأماناء عليها - وإلا تحولت إلى غيرهم وتلك سنة الله (إن الله عند قوم نعماً أقرهم عليها ما كانوا في حوائج المسلمين مالم يملوهم ، فإذا ملوهم نقلها الله إلى غيرهم) .

(٨) وليس كل من تلفظ بالإسلام يعد كياساً ، ولكن الكيس من ينتفع بمبادئ الإسلام وتعاليمه (خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا)
بخ ٢٠ (بدء الخلق) ص ٣٩

(٩) ويجب على الكيس أن يكون بدله بعد الرجوع إلى دينه ، وأن تكون مروءته بعد استساعة العقل السليم بما يقوم به ، وأن يكون ضميره وإحساسه هما المحركان له (كرم المرء دينه ، ومروءته عقله ، وحسبه خلقه) .

(١٠) والكياسة في الإسلام بعد عن التظاهر والرياء ، ومساهمة في كل أوجه الخير - إذ في انتشاره انتصار للكياسة (طوبى للمخلصين الذين إذا حضروا مالم يعرفوا وإذا غابوا لم يفتقدوا - أولئك هم مصابيح الهدى ، تنجلي عنهم كل فتنة ظلماء) .

(١١) والكيس هو الذي ينتفع بوقته وينتفع بما عنده (نعمتان

مغبون فيهما كثير من الناس - الصحة والفراغ (١).

(١٢) وأنظر إلى أى مدى تصل الكياسة في ذلك الحديث الشريف لا تهدد لأحد عملاً ، ولكنها تقومه في إنصاف واعتدال (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير . أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان) .

(١٣) ومن ضيع على نفسه فرصة منحت له فقد فاتته الكياسة ولا عذر له (أَعذر الله إلى أمرىء آخر أجله حتى يبلغ ستين سنة) بخ > ٢ (الاستئذان) ص ١٤٣

(١٤) ومن القواعد المقررة أن العمل بخواتيمه ، ومن هنا وجبت الكياسة (يبعث العبد على مامات عليه) .

(١٥) والكيس لا يستمرين بشيء وإن كان تافها بل يبارك وينمييه ، ولا يصعب أن يجد له جزاء يقابل به ذلك العمل (لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلق أخاك بوجه طليق) .

(١٦) وهو الذى ينتفع بكل خير ويتمتع بالاستعداد لتقبله . وطوائف الناس لا تسكاد تتفق وعلى قدر كياستهم يفتفون (إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت السكلاً والشب الكثير ، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، وأصاب طائفة منها أخرى .

لأنما هي قيتان لا تمسك ماء ولا تنبت كالأشجار — فذلك مثل من فقهه في دين الله ونفعه ما يفتنى الله به من الهدى والعلم . ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به (خ ج ١ (العلم) ص ١٦ .

(١٧) والحيلة التي كان يعاها النبي لأصحابه لدليل واضح على ما كان يعنيه من الكياسة . وهذا الحذر الذي كان يعلمه ويعلمه كل أصحابه مثل رابع على الفطنة والكياسة (لو أن الناس يعلمون من الوحدة ما أعلم ماسار راكب بليل وحده) خ ج ٢ (الحور) ص ٢٣ .

(١٨) وقد تكون في السفر مخاطرة ، فإذا لم يتجنبها الإنسان وقع فيها . وهذا إرشاده في السفر وما يتطلبه من كياسة (إذا سافرتم في الخصب فأعطوا الإبل حظها من الأرض . وإذا سافرتم في الجذب فأسرعوا عليها السير وبادروا بها نفيها . وإذا عرستم^(١) فاجتنبوا الطريق فانها طرق الدواب وماوى الهوام بالليل) .

(١٩) والخلق العظيم تعبير عن الكياسة خصوصا إذا أدار الإنسان الكلمة في قلبه قبل أن ينطق بها لسانه — فإنه مسؤول عنها لا محالة . ومن أجل هذا كان الصمت محبوبا (عليك بطول الصمت فإنه مطرقة للشيطان وعون لك على أمر دينك) .

(٢٠) ومن هنا جاء الربط بين الإيمان والقلب واللسان . (لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه) .

(٢١) ومن الناس من تفوتهم الكياسة فيتكلمون بما سيندمون عليه . ويحكى أن رجلا شهد لرجل بالخير فقيل له : (أو تدري فلعله تكلم فيما لا يعنيه أو بخل بما لا ينقصه) .

(١) استرحم آخر الليل .

(٢٢) والكيس يحاسب نفسه لا يعفيها من الحساب وإن كان هازلاً .
وكثيراً ما يؤاخذ الناس على ما يحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم
(إن العبد ليقول الكلمة لا يقوطها إلا ليضحك بها المجلس فيهوى بها
أبعد ما بين السماء والأرض وإن المرء ليزل عن لسانه أشد مما يزل
عن قدميه) .

(٢٣) ولقد كان الإسلام ولم يزل يعلم الناس الكياسة مع الناس وبلقنهم
كيف يستقبلونهم (إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فليسعهم منكم بسط
الوجه وحسن الخلق) .

(٢٤) والذين تفوتهم الكياسة في الحديث هم من شر الناس (إن من
شر الناس عند الله تعالى منزلة يوم القيامة من تركه الناس إتقاء لخشية) .

(٢٥) وشر منهم الذين يستعملون كياستهم في التزوير وقلب الحقائق
(إن أبغض للرجال إلى الله الألد الخصم) (١) .

(٢٦) وقد يتوهم البعض أن الكياسة في الحديث هي المحاوررة والسفسطة
وهذا خطأ - فإن تضييع الوقت بجدل لفظي وسفسطة يقصد بها الغلبة
وليس هو الوصول إلى الحق - كل هذا ضلال لا كياسة فيه (ماضل قوم
بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل) .

(٢٧) والذين يمدعون الناس بما أوتوا من جدل فقد أبغضهم الله (إن
الله لا يحب هذا وأضرابه ، ويلون ألسنتهم للناس لي البقر بلسانها المرهى ،
كذلك يلوى الله تعالى ألسنتهم ووجوههم في النار) .

(٢٨) ومن الكياسة أن يعود الإنسان لسانه النطق بالخير والبعد عن

قول لا ترجى منه فائدة . ويحكى أن عيسى بن مريم قال عندما لطف الخنزير : (إني أخاف أن أعود لساني النطق بالسوء) .

(٢٩) ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام . هؤلاء أعطوا من قوة الحججة ما يمكنهم من خداع بعض الناس . فإذا لم يتوبوا فقد باءوا بغضب من الله . ولم كان النبي صلى الله عليه وسلم يحذر من الجدل اللفظي والمقصود منه الغلبة ، أما المقصود منه الوصول إلى الحق فذلك مشروع (مهلا يا أمة محمد إنما هلك من كان قبلكم بهذا : ذروا المراء لقلته خيره ، ذروا المراء فإن المؤمن لا يمارى ، ذروا المراء فإن الممارى قد تمت خسارته ، ذروا المراء فكفى إنما ألا تزال مماريا ، ذروا المراء فإن الممارى لا أشفع له يوم القيامة ، ذروا المراء فأنا زعيم بثلاثة آيات في الجنة : رياضها ووسطها وأعلىها لمن ترك المراء وهو صادق . ذروا المراء فإن أول ما نهانى عنه ربي بعد ترك عبادة الأوثان المراء) .

(٣٠) ومن الكياسة ألا يتسكسل الانسان وأن يظل نشيطا دائب العمل . وهذا موقف من النبي لمن نام طول الليل (ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه) خ ج ١ (التهجذ) ص ٨٢ بالمعنى .

(٣١) وطول النوم يعود الانسان الكسل والقعود عن السعى ، وفي ذلك ما فيه من ضياع للمجهود وتدهور للمستوى . والقليل من الراحة قد يتعب البدن وخير الأمدور الوسط . ونظام الإسلام في الصلوات خصوصا بين العشاء والفجر واف بالمطلوب (يعتقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب على كل عقدة عليك ليل طويل فارق ، فإن استيقظ فذكر الله تعالى إنحلت عقدة ، فإن توضأ إنحلت عقدة ، فإن صلى إنحلت عقده كلها - فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان) خ ج ١ (التهجذ) ص ٨٢ .

(٣٢) وقيام الليل وقيام رمضان والدعوة إلى النافلة من غير أن يأمرهم بوجوبها - كل هذا ليتسابق الأكياس (كان يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة).

(٣٣) وأحياناً كان يقرهم على ما تفتحه كياستهم ولو كان ذلك في أمر غيبي. ففي ليلة القدر يقول لهم: (أرى رؤياكم قد توأطأت في السبع الأواخر، فمن كان متحريها فليتحراها في السبع الأواخر) بخ ج ١ (فضل ليلة القدر) ص ١٢٦، ١٢٧.

(٣٤) والربط بين مرضاة الله والمظاهر الحسن كياسة (الشواك مطهرة للفم مرضاة للرب).

(٣٥) والحق أن الكياسة تبدوا واضحة فيم يغفل عنه الكثير - فكلما كانت الغفلة أطبق كانت الكياسة أنفع. وكثيراً ما يغفل الناس عن الكياسة في الكلمة - ولذا نكرر التبيه عليه (وإن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب).

(٣٦) وعلى قدر كياسته فيها يؤجر أو يعاقب (إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يلقى لها بالاً يرفعه الله بها درجات. وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقى لها بالاً يهوى بها في جهنم) بخ ج ٢ (الاستئذان) ص ١٤٤.

(٣٧) وتلك وصية من أكيس الناس وأعلمهم بربه: (أمسك عليك لسانك ولبسك يبتك وابلك على خطيئتك).

(٣٨) وهذا تصوير صادق لدور اللسان وتحقيق الكياسة (إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان تقول اتق الله فينا فإنما نحن بك فإن استقمتم استقمنا وإن أعوججت أعوججتنا).

(٣٩) وتعاليم الإسلام من غير استثناء يعقلها الأكياس من الناس .
 وبقدر كياستهم يدركون الخير الذي يكمن فيها (ألا أدلك على أبواب الخير ؟
 الصوم جنة ، والصدقة تطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار ، وصلاة الرجل
 من جوف الليل — ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم
 خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون . ألا أخبرك برأس الأمر وعموده
 وذروة سنامه ؟ قلت : بلى . قال : رأس الأمر الإسلام ، وعموده
 الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد ، ثم قال : ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قلت :
 بلى . قال : فأخذ لسانه وقال : كف عليك هذا . قلت : وإنا لمؤاخذون
 بما نتكلم به ؟ فقال : ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على
 وجوههم إلا حصائد ألسنتهم ؟)

(٤٠) وقد يتوهم البعض أن التعاضم والغرور يمنحهم هبة . وقد يكون
 هذا صحيحاً وقد لا يكون . ومن الكياسة البعد عن الكبر الذي قد يبعد
 صاحبه عن إدراك الحق أو يحمله على جحوده ، وفي الحديث : (الكبر
 بطن الحق وغمط الناس) .

(٤١) وقد يكون للمرء منافس له فيصاب . وليس من الكياسة إظهار
 الشماتة به — فالمفروض أن المنافسة في الخير (لاتظهر الشماتة بأخيك
 فيرحمه الله ويتليك) .

(٤٢) ويجب على المسلم أن يكون يقظاً يميز بين الصدق
 والكذب ، فالتصديق بالكذب كتكذيب الصدق كلاهما حظار على
 صاحبه .

وقد مر رسول الله على بائع حنطة بلها من داخلها كي تثقل في الميزان
 — فوضع يده فيها فقال له البائع هذا من المطر . فقال له النبي : (أفلا جعلته
 فوق الطعام حتى يراه الناس ؟ من غشنا فليس منا) .

(٤٣) والذين يغرون الناس ويخدعونهم بما أوتوا من لباقة . فهم برآء من الإسلام (ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل باع فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره)
خ ج ١ (البيوع) ص ١٣٥

(٤٤) وليس من الكياسة أن يعرض الإنسان نفسه للسخرية منه بحجة لا يعبا بمظهره . وقد أوردتنا السنة إلى الاهتمام بكل ما يصون هيئته (إذا أنقطع شمع نعل أحدكم فلا يمشى في الأخرى حتى يصلحها) .

(٤٥) وانظر إلى الحبيطة التي ينهبها الرسول لها حتى في داخل بيوتنا (لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون) خ ج ٢ (بدء الخلق) .
ص ٣٦ .

(٤٦) وقد لايهم الإنسان بتغطية إنائه وليس هذا من الكياسة وفي الحديث : (غطوا الإناء ، وأوكثوا السقاء ، وأغلقوا الأبواب ، وأطفئوا السراج - فإن الشيطان لا يحل سقاء ولا يفتح بابا ولا يكشف إناء - فإن لم يجد أحدكم إلا أن يعرض على إنائه عودا ويذكر اسم الله فليجعل فإن الفويسقة تضرم على أهل البيت بيوتهم) .

(٤٧) ومن الكياسة أن يكون الإنسان سهلا في حياته (نهينا عن التكلف) .

(٤٨) ومن الكياسة ألا يعرض الإنسان نفسه للمخاطر ولا يضع نفسه في مكان يتأذى منه الآخرون . وليس منها أن يتراجع الإنسان عن هدفه لأنه تشام . وفي الحديث : (لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل وهو الكلمة الطيبة) خ ج ٢ (الطب) ص ١٣٥

(٤٩) وإذا كان التشاوم شيئا يحدونه في صدورهم ولا حيلة في دفعه

فليحاولوا أن يغيروا ما يتشاءمون منه . وفي الحديث : (وإن كان الشؤم في شيء ففي الدار والمرأة والفرس) بخ ح (الحور) ص ١٨ وفيه إشارة إلى أنه يجب أن يتغلب الإنسان على نفسه قدر الطاقة فإن كان ما يتشاءم منه ملازماً له لا يستطيع التخلص منه إلا بتغييره فليغيره في الثلاثة المذكورات والله أعلم .

(٥٠) وهذا بعض ما نهى عنه الشارع - وبالتأمل فيه نرى مكان الكياسة واضحة في سر النهي عنه كالنهى عن التصوير الذي لاضرورة فيه واقتناء الكلب وتعليق الجرس - فإن في هذا مضيعة للوقت وعبثاً بالجهد الإنساني الذي يجب أن يوفر لما هو مفيد (أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله) (١) (لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة) (٢) (ومن اتقى كلباً ليس بكاب صيد ولا ماشية ولا أرض فإنه ينقص من أجره قيراطين كل يوم) (٣) (الجرس من مزامير الشيطان) .

(٥١) والمساجد أماكن للعبادة يدخلها التقير والنتى والعالم والجاهل ، فإذا رأى الأكياس، فيه من غيرهم ما يقلقهم أو يضايقهم فليقومون برفق . وقد أوصى الإسلام بأن تصان المساجد فهي لله . وكل من يخرجها عن رسالتها فهو محروم من رضوان الله . وانظر إلى كياسة الشارع في الوصية بها . (البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنه) (٤) (إذا رأيت من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا لا أرحم الله تجارته . وإذا رأيت من ينشد ضلته فقولوا لاردها الله عليك) (من أكل ثوماً أو بصلاً أو الكراث فلا يقربن مسجدنا

(١) بخ ح (البيوع) ص ١٣٥ بالمعنى

(٢) بخ ح (البيوع) ص ١٣١

(٣) بخ ح (المزارعة) ص ١٤١ ، ١٤٢

(٤) ح (الصلاة) ص ٤١

فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنوا آدم فمن أكلهما فليمتهما طبعاً)
بخ ١ (الآذان) ص ٦٩ رواه مختصراً .

بالتأمل فيما ذكر يستنبط الكيس ما وراء هذه الوصايا من عمق ومعاني
إنسانية . فالبصاق خطيئة وفاعله مخطيء ، لكن إهاتته في المسجد تدبجر
إلى معارك تخرج البيت عن حرمة وتضيع التآلف المرجو من وراء
الاجتماع . والبيع والشراء في المسجد يقلبه سوقا ويصبح من شر البقاع
بعد أن كان من خيرها . ولا يؤخذ الدعاء على البائع أو المشتري على
ظاهرهما ، بل يخيران برفق أن يبعأ في المسجد لبركة فيه . ولو كان لإنشاد
الضالة على بابه من الخارج لكان أولى وأوصل للغرض . وانظر إلى ما يؤذى
الإنسان . يقال للتنفير منه أنه يؤذى الملائكة . حقاً إنها لكياسة
في التعبير وقول حتى من أوتي جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم .

(٥٢) وتلك وصايا أخرى نلح فيها الكياسة إن تأملناها (إن أخنع
اسم عند الله عز وجل رجل تسمى بملك الأملاك) .

(٥٣) (لا تسبوا الحمى فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكبر خبث
الحديد) (لا تسبوا الريح فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا . اللهم نسألك من خير
هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به ، وأعوذ بك من شر هذه الريح
وشر ما فيها وشر ما أمرت به) (لا تسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة) .

نلح الكياسة فيما تقدم ، ولعل البعض يتعجبون ويقولون لماذا لا نسب
الحمى أو الريح أو الديك ؟ ولو كانوا أكياساً لصانوا أسنتهم عن شتم ما لا يحقل .
ومعلوم أننا أمرنا بالتداوى . ومظاهر الطبيعة لا فائدة من سبها بل يجب أن
نستفيد منها ونبتعد عما فيها من ضرر وهذا معنى الدعاء ، وحقاً إن كثيراً من
الناس يتيقظون من نومهم على صياح الديكة . والذي يسمى بملك الأملاك
ويقبل هذه التسمية فهو تافه معتوه لا يعي ما ينادى به .

(٥٤) وهذه طائفة ثالثة تكمن فيها الكياسة وراء حديث الشارع
الحكيم : (ما كان الفحش في شيء إلا شانه ، وما كان الحياء في شيء إلا زانه)

(إن من أحبكم إلى وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً . وإن أبغضكم إلى وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون المتفيهقون والمتشدقون) .

(٥٥) ولقد كان الشارع مرهف الحس يستثقل كل ما هو ثقيل على السمع فيخيره بكياسة (لا يقولن أحدكم خبثت نفسي ولكن ليقل لقست نفسي) .
فالخبث كلمة ثقيلة يعبر بها عن خبث الطوية .

(٥٦) (لا تسموا النيب الكرم فإن الكرم المسلم) خ > ٢ (الأدب) ص ١٤٢ - هكذا يختار للمسلم الكلمة الطيبة فيسميه بها .

(٥٧) ويجب أن تكون الكياسة بين الزوجين ، فلا تحدث الزوجة زوجها عن امرأة أجنبية تصرف ذهن زوجها إلى تلك الأجنبية وتزهره في حليته . وهكذا تعكر صفو الحياة إن ضاعت الكياسة (لاتباشر المرأة المرأة فتصفها لزوجها كأنه ينظر إليها) (١) .

(٥٨) وحتى الكياسة يجب أن تكون في دعاء الله (لا يقولن أحدكم اللهم أغفر لي إن شئت ليعزم المسألة فإنه لا مكره له) (٢) (لاتقولوا ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا ما شاء الله ثم ما شاء فلان) وهذا من النقه .

(٥٩) وفي يوم أراد النبي أن يبرهن لهم على أن الأجل تصير وإن طالت حياة المرء فيعظهم بطريق غير مباشر (أريتكم ليلتكم هذه فإن على رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض اليوم أحد) خ > ١ (العلم) ص ٢٠

(٦٠) ومن الكياسة محاربة النفاق (إذا رأيتم المداحين فاحشوا في وجوههم التراب) .

(٦١) ومن الكياسة أيضاً تشجيع المؤمنين الأقوياء كما شجع النبي عمر فقال له : (مارآك الشيطان سالكا فجا لإسلك فجا غير فحك) .

(١) خ > ٢ (النكاح) ص ١٢٤

(٢) خ > ٢ (الدعوات) ص ١٥٨

(٦٢) والموقف الذي تعرض له المسلمون في عهد عمر حين اتشمر الطاعون لدليل واضح على الكياسة والحيلة ، ولا يعتذر بالتواكل وقضاء الله (إذا سمعتم أوقع الطاعون بأرض فلا تقدموا عليها . وإذا وقع بأرض وأتم بها فلا تخرجوا منها فراراً منه) (١) (وقال عمر . أ رأيت لو كان لك إبل بوادله عدوتان إحداهما خصبه والأخرى جده - إن رعيت الخصبه أليس بقدر الله) .

(٦٣) ولاغنى للإنسان عن بعض الأماكن كالمساجد والأسواق فيجب أن يدخلها بكياسة ويخرج منها بحسنات أكثر من السيئات (أحب البلاد إلى الله مساجدها ، وأبغضها أسواقها) (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت) (٢) (لا تكونن إن استطعت أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها ، فإنها معركة الشيطان وبها ينصب رأيه) .

(٦٤) والذين تتعامل معهم ليسوا من الملائكة الذين لا تصغر منهم هفوة ولا من الجن الذين لا طاقتهم لك على معاشرتهم ولكنهم بشر ، فعاملهم بما تحب أن تعامل به فانت تعرف خصائصهم وطبائعهم (خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجن من مارح من نار ، وخلق آدم كما وصف لكم) .

(٦٥) وأولى الناس بالكياسة أئمة المسلمين . وقد رأيت من ينكر حديثاً صحيحاً لأنه لم يفهمه . وقاته أن في الإسلام ظاهراً وتأويلاً . ومحكما ومتشابهاً . وواضحاً وخفياً . ومشكلاً ومبهما ونصاً وغير ذلك :

فتلا في الحديث : (سبحان ، وجيجان ، والفرات ، والنيل كل من أنهار الجنة) .

(١) خ > ٢ (بدء الخلق) ص ٤٧

(٢) خ > ٢ (الأدب) ص ١٤١

فلا مانع من أن يكون المعنى أصل الماء العذب الذي لا كدر فيه موجودا في الجنة مع اختلاف بين مائها وماء الأنهار الموجودة في الأرض. ولا مانع من إرادة أنه أهل بلاد هذه الأنهر سيهديهم الله ويكونون من أهل الجنة. وليس يلزم أن هذه الأنهر تنبع من الجنة كما يظن الجهلة .

(٦٦) وقد علمنا الله التآني ، وضرب لنا مثلا وهو على كل شيء قدير . وفي الحديث : (خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الإثنين ، وخلق المسكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم صلى الله عليه وسلم بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من النهار فيما بين العصر إلى الليل) .

(٦٧) وفي كل جزئية من مقررات الاسلام لا تخلو من الكياسة . فمثلا يلتزم الانسان إما بما فرضه الله عليه أو بما فرضه هو على نفسه كالنذر، وهو قربي إلى الله فلا يلزم أن كان معصية لخلوه من الحكمة (من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه) بخ > ٢ (الإيمان والنذور) ص ١٤٩ .

(٦٨) وبما يتوقف البعض فيه ولا يرون له حكمة ماورد في الأدوية - لا يرون اتفاقا مع الطب الحديث . وفي الحديث : (الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين) بخ > ٢ (تفسير القرآن) ص ٩٩ . والمعروف أن السنة أمرتنا بالتداوى ، ولا يلزم من الدواء أن يشفي كل الناس فقد يفيد في بعض الأحوال .

(٦٩) والذين يتواكلون ولا يأخذون بالأسباب يلامون من الله (إن الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكياسة . فاذا غلبك أمر فقل حسبي الله ونعم الوكيل) .

(٧٠) والأخذ بالسبب هو عين التوكل (من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله) .

(٧١) والمسلم مطالب بالكياسة مع حسن النية . وقد توجد الكياسة فيفسدها سوء الطوية - وهذا تصوير لبعض من رضى الله عنهم وبعض من عمهم الله بسخطه (أهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط متصدق موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم ، وغيث متعفف ذو عيال . وأهل النار الخائن الذى لا يخفى له طمع وان دق إلا خانه ، ورجل لا يصبح ولا يمس إلا وهو يخادعك عن مالك وأهلك ، وذكر البخل والكذب ، والشنظير الفعاش) .

(٧٢) ومن الكياسة اختيار الصديق فان له أثرا كبيرا (المرء على دين خليله فلينظر أحداكم إلى من يخال) .

(٧٣) ومن الحكمة إذا أمرنا أو نهينا أن تكون لها فائدة عاجلة . وانظر إلى الربط بين طاعة الله وسعة الرزق فى الدنيا يقول النبي صلى الله عليه وسلم (اللهم بارك لأمتى فى بكورها) ويقول لفاطمة يحضنها على صلاة الفجر : (يا بنية قومى أشهدى رزق ربك ولا تكونى من الغافلين ، فان الله يقسم أرزاق الناس ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس) .

(٧٤) ولا يمر بالكيس شيء إلا أخذ منه عبرة . أما الذين طمست بصائرهم فكم من آية يمرون عليها وهم عنها معرضون (إن المنافع إذا مرض ثم أعفى كان كالبعير عقله أهله ثم أرسلوه فلم يدر لم عقلوه ، ولم يدر لم أرسلوه) .

(٧٥) وكلما كانت قيادة الرجل لعدد أكثر كانت الكياسة إليه ألزم ليضع الشيء فى موضعه فلا تنفر منه القلوب ولقد كان رسول الله يعطى من هو أقل حبا ، ولا يعطى من هو أشد له حبا (يأسعدنى لأعطى

الرجل وغيره أحب إلى منه خشية أن يكبه الله في النار (خ > ١٠)
(الإيمان) ص ١٠ .

(٧٦) وانظر إليه حين يزهدم في الدنيا بطريقة لم يخصصهم فيها ، وأن المؤمن هو أكثر الناس نفعا لغيره (من في الدنيا ضيف وما في يديه عارية ، والضيف مرتحل والعارية مؤداه) (إن الدنيا بين المؤمن وجنة الكافر) (إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنما مثل المسلم وهي النخلة) (خ > ١٤)
(العلم) ص ١٤ .

(٧٧) والفقه نماذج حيه لما كان يتمتع أهله بكياسة وحكمة . وقد نجد في السنة ما ظاهره المعارض فيجدر أن نتفهمه بحكمة (إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه) (إن الرزق لا ينقصه المصيبة) .

ولنعلم أن ما عند الله هو خير وأبقى . والتقوى من أحسن الأرزاق فيحرمها من وقع في الذنب . أما الرزق المادى فقد يكون العصاة أكثر الناس تملكاه . وبنحو هذا يستقيم معنى الحديثين السابقين .

(٧٨) ومعلوم أن ارتكاب الذنوب حرمان من خير عظيم (من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود إليه أبدا) .

(٧٩) وقد دعا الإسلام للإتفاق وحض عليه ليتغلب الإنسان على نفسه وما فيها من حرص على الدنيا . ومن الناس من يتقبط في آخر همه بها . والكيس من جعل الآخرة أكبر همه ومنتهى أمله ، وجعل الدنيا وسيلة إليها (مثل الذى تصدق عند الموت مثل الذى يهدى بعد ماشبع) (من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه ، وجمع عليه شمله ، وأتته الدنيا وهي راغمة . ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه ، وفرق عليه شمله ، ولم يأت من الدنيا إلا ما قدر له فلا يسمى إلا فقيرا ولا يصبح إلا فقيرا . وما أقبل عبد على الله بقلبه إلا جعل الله قلوب المؤمنين تنقاد إليه بالود والرحمة ، وكان الله

بكل خير إليه أسرع) (من أحب ديناه أضر بآخرته ، ومن أحب آخرته أضر بدنيه فأثروا ما يبقى على ما يفنى) .

هذا الضرر يحدث لو أن إنسانا خير بين أمرين أحدهما يجلب عليه دنيا ويفضبه ربه ، والآخر يرضى ربه ويبعد عنه دنيا . فعليه أن يختار ما يبقى على ما يفنى . وحين لا يكون التعارض فن أحب آخرته كفاه الله أمر دنياه .

(٨٠) وعلى الإنسان ألا يأخذ من الدنيا إلا بالقدر الذي لا يغيره بها . ومن الناس من يمد يده فبسأل غيره وهو في ضنى عن هذا السؤال . والويل له (من سأل وعنده ما يغنيه فإنما يستجمع من حجر جهنم . قالوا : وما يغنيه ؟ قال : ما يغديه ويعشيه) .

(٨١) والسكيس يدرك أن خير ما أكله هو ما كان من نتاج يده وبكده هو (ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وإن داود كان يأكل من عمل يده في الدروع من الحديد) بخ خ ١ (البيوع) ص ١٢٩ .

(٨٢) ويخط الناس بين الإنفاق والتبذير . وفي الحديث : (التبذير إنفاق المال في غير حقه) .

فقرش واحد في خير حقه تبذير . وآلاف الجنيهات التي توضع في حقتها لا تبذير فيها .

(٨٣) ويشدد تلاعب الشيطان بالإنسان كلما قلت كياسته . فسكرو غضب أو بخل بما لا يؤثر عليه . قال ابليس : (ما أعجزني بنوا آدم فلم يعجزوني في ثلاث : إذا سكر أحدهم أخذنا بحزامته فقدناه حيث شئنا وعمل لنا بما أحببنا وإذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يتدم ، والثالثة نبخله بما في يده ونمنيه بما لا يقدر عليه) .

(٨٤) وهذا تعريف للسكيس من الناس : (يارسول الله : من أكيس

الناس وأكرمهم؟ قال: أكثرهم ذكرا للبهوت وأشدهم إستعدادا له - أولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة).

(٨٥) وإذا كانت الدنيا عمرا إلى الآخرة كان على الكيس أن يتجنب ما فيها من أخطار (ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء) (١)
(أحكم السفينة فان البحر عميق، واستكبر الزاد فان السفر طويل، وخفف ظهرك فان النقبة كثود، وأخلص العمل فان الناقد بصير).

(٨٦) وخير وجهة للإنسان في حياته هي ما كانت لله - فلا اعتزاز إلا به ولا خوف إلا منه (وإن أشرف المجالس ما استقبل به للقبلة، ومن أحب أن يكون أعز الناس فليتنق الله، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده).

(٨٧) والمؤمن الكيس يجب أن يكون صورة عملية لدينه (ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء).

(٨٨) فيجب كل من نصر دينه ويينض كل من خذله (آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار) بخ - ١ (الإيمان) ص ٩.

(٨٩) ومن الناس من يفقدون دينهم لشهوة عارضة فيسكرون ويرتكبون ما لا يحل، وهذا العمل لا كياسة فيه وانذار بفنائهم، ومن أجل هذا نهى عن الخمر وعن أوعيتها التي توضع فيها (نهى عن الخنتم، والدباء، والنقير، والمزفت، والمقير).

(٩٠) (إن من أسراط الساعة أن يرفع العلم، ويثبت الجهل، ويشرب الخمر، ويظهر الزنا) بخ - ١ (العلم) ص ١٦.

(١) بخ - ٢ (النكاح) ص ١١٩.

(٩١) ولقد كانت مجالس النبي يستنبط فيها كياسة السائل أو غفلاته (يارسول الله فهل علي المرأة من غسل إذا احتلمت ؟ فقال : إذا رأته الماء . قالت امرأة : أو تحتلم المرأة ؟ قال : نعم . تربت يمينك فبم يشبهها ولدها) (١) .

(٩٢) والكياسة تفتح للإنسان أبوابا من الخير وتزيد من رزقه (بين أيوب يغتسل عريانا فخرج عليه جراد من ذهب فجعل يحثي في ثوبه . فزاده ربه : ألم أكن أغنيتهك عما ترى ؟ قال : بلى وعزتك ولكن لا غنى لي عن بركتك) (٢) .

(٩٣) وأحيانا تكون الحيلة في غير موضعها . ويروى أن رجلا جنبا أبى أن يجلس مع النبي حتى يتطهر . وهذه حيلة لا داعي لها ولذا فقد قال له النبي : (سبحان الله إن المؤمن لا ينجس) خ - ١ (الغسل) ص ٣١ .

(٩٤) والكياسة لازمة للمفتي . ومن المعلوم أن الإسلام حرم التصوير الذي لا فائدة منه . ويروى أن ابن عباس قال لمن لا عمل له إلا التصوير لما أخافه وعيد النبي . قال له : (إن كان ولا بد فعليك بالشجر ومالا روح فيه) خ - ١ (البيوع) ص ١٣٥ .

(٩٥) وما يتساءل الناس عنه حديث : (تدرى أين تذهب يريد الشمس ؟ ثم قال : فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها . وتستأذن فلا يؤذن لها - يقال لها إرجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله : والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) خ - ٢ (بدء الخلق) ص ٣٢ ، ٣٣ .

(١) خ - ١ (العلم) ص ٢٢ .

(٢) خ - ١ (الغسل) ص ٣١ .

يتساءلون عن سجودها وهي لا تنيب عن أعين الناس إن غربت في بلد
أشرقت في آخر . ومن معاني السجود في اللغة الميل . ولم لا يكون هذا كناية
عن سيطرة الله على كل شيء ؟ فهو الذى يحرك الشمس ويستخرها ويأذن
لها بالسير أو التوقف . والعلم لا يعرف الكلمة الأخيرة فإن قال عالم الشمس
لا تجرى فسيجىء آخر يقول بعكس ما قال . وكم شاهدنا ذلك كثيرا -
(وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) .

(٩٦) والكيس يستنبط العلة ويقيس الأمور على أشباهها ، ويدرك أن
الناس قد يتأثرون بفكرة تصل إليهم ومن هنا نرى قياسا في قوله (لولا
بنو إسرائيل لم يخزن اللحم ، ولولا حواء لم تخن امرأة زوجها) (١) .

(٩٧) والكياسة في الرجل أكثر من المرأة (كمل من الرجال كثير ولم
يكمل من النساء إلا آسية ومريم : وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد
على سائر الطعام) (٢) خير نساها مريم ، وخير نساها خديجة (بخ ٢
(بدء الخلق) ص ٤٣ ، ٤٤ .

(٩٨) والأنبياء هم أكيس الخلق وأكملهم . وما ينسب إليهم ودالا على
غير هذا يجب تأويله - ومن ذلك (رأى عيسى رجلا يسرق فقال :
أسرفت ؟ لحلف أن لا . فقال عيسى : آمنت بالله وكذبت هينى) بخ ٢
(بدء الخلق) ص ٤٥ .

لا يفهم من هذا سذاجة ولكن هي كياسة . فلما حلف الرجل تصور
عيسى أن الرجل مأذون له ، والمأذون له لا يعد سارقا .

(٩٩) ولقد كان النبي يقيسنا على من تقدمنا من الأمم ، ويحذرنا ويكل

(١) بخ ٢ (بدء الخلق) ص ٣٨ .

(٢) بخ ٢ (بدء الخلق) ص ٤٣ .

كل إنسان إلى كياسته (لتبين سنن من قبلكم شبرا بشبرا وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه قالوا: اليهود والنصارى؟ قال : فن؟) يخ > ٢ (بدء الخلق) ص ٤٥ ، ٤٦ .

(١٠٠) ولكي نتجنب شرور التقليد الذي يفقدنا شخصيتنا ويضيع كياستنا - أمرنا ألا نقلد (إن اليهود والنصارى لا يصبغون نخالقهم) يخ > ٢ (بدء الخلق) ص ٤٦ .

(١٠١) ويجب أن يعتز الانسان بكرامته لا يتمسح في غيره (ومن ادعى قودا ليس له فيهم نسب فليتموا مقعده من النار) يخ > ٢ (مناقب قریش) ص ٤٨ .

(١٠٢) والكلبس هو الذي يميز بين الأشياء ، فلا يخلط . ويروى إستاذن حسان في هجاء المشركين فقال له النبي : كيف بنسبي؟ قال حسان : لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين) يخ > ٢ (بدء الخلق) ص ٣٣ .

(١٠٣) ومن الكياسة أن تطلب تأييد الحق بأى مؤيد ولو كان فاجراً (إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر) يخ > ٢ (غزوة خيبر) ص ٨١ .

(١٠٤) ولا يغرر أحداً كياسته فلا بد أن يضاف إليها الخوف من الله (إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار . وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة) يخ > ٢ (غزوة خيبر) ص ٨١ .

(١٠٥) وانظر إلى كياسة النبي حين قدم عليه وفد فأدرك بفظنته ما تنطوى عليه نفوسهم (أنا كم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبا - الإيمان يمان والحكمة يمنية) يخ > ٢ (قدوم الأشعرين) ص ٩١ .

(١٠٦) وفي قصة السائل عن وجع امرأته أجنبيها دليل على الكياسة.

قال للنبي: (أيقنته فتقتلونه ؟ فأمرهما بالملاعنة وإلحاق الطفل بشبيهه إن كان الأب وإلا نسب لأمه) بخ ح ٢ (تفسير القرآن) ص ١٠٨ .

(١٠٧) ومن الناس الأبله الذي يحسب أن كل شيء في الآخرة يسير كما في الدنيا فيسأل: (كيف يبشر الكافر على وجهه يوم القيامة ؟ قال النبي: أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادر على أن يمشيه يوم القيامة على وجهه ؟) بخ ح ٢ (تفسير القرآن) ص ١٠٩ .

(١٠٨) ولما نزلت وآخرين منهم لم يلبثوا بهم . قال النبي (لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجل من هؤلاء يشير إلى سلمان الفارسي) بخ ح ٢ (تفسير القرآن) ص ١١٣ .

(١٠٩) والسكيس هو الذي يزن الكلام . وقد سبق أن أشرت إلى نوع من أدوية العين والموقف منه . ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (الشفاء في ثلاثة - شربة عسل وشرطة محجم وكية نار . وأنهى أمتي عن السكى) (١) وأيضاً قوله: (إن أمثل ما تداوئتم به الحجامة والقسط البحري ، ولا تعذبوا صبيانكم بالغز من العذرة وعاليكم بالقسط) بخ ح ٢ (الطب) ص ١٣٥ .

وكان للنبي حجام يقال له أبو طيبة نافع أو ميسرة . ولا يلزم من شفاء رجل بعلاج شفاء جميع الناس . كما لا يصح إنكار علاج لم يشف منه بعض الناس .

(١١٠) ومن الكياسة الثورة على كل تقليد غير مفيد . فلقد اشتهر أهل الجاهلية بطول الثياب تعبيراً عن الثراء فجاء الإسلام يقرر (ما أسفل من الكعبين من الإزار فهو في النار) (٢) (خالفوا المشركين وفروا للحى

(١) بخ ح ٢ (الطب) ص ١٣٤

(٢) بخ ح ٢ (اللباس) ص ١٣٧ .

— ٢٠٩ —

وأحفوا الشارب (١) (وقد ثبت أنه نهى عن القزع وهو نفس بعض الشارب)
خ ٢٠ (اللباس) ص ١٣٨

وهكذا يجب استقلال شخصيتنا .

(١١١) وكان رسول الله خبيراً بالناس ويقول عنهم : (إنما الناس
كالإبل المائة لا تكاه تجد فيها راحلة) (٢) .

(١١٢) وكانت لهذه الكياسة صداها في نفوس أصحابه . فعن حذيفة :
(إنما كان النفاق على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فأما اليوم فإنما هو
الكفر بعد الإيمان) خ ٢٠ الفتن ص ١٥٥

(١١٣) وقال علي : الدنيا حلالها حساب وحرامها عذاب أو عقاب .
وقال بعض الحكماء : العلم كله بلاء حتى يعمل به .

وكان أيوب عليه السلام لا يسمع أحداً يخلف إلا كفر عنه . وقال
يوسف : أخاف أن أشبع فأنسى الجياع .

وقالت الريح لسليمان لما لصق القميص بجسمه فتلذذ : إنما أمرنا أن
نطيعك ما أطعت الله ووضعته على الأرض . وهكذا يجب ألا يعطى الإنسان
للدنيا أكثر مما تستحق .

وفي الحديث : (من جعل اللهم هما واحداً كفاه الله سائر همومه) .

وقال عيسى : بحق أقول لكم إن حب الدنيا رأس كل خطيئة وفي المال
داء كبير . قالوا : وما دأؤه ؟ قال : لا يعطى حقه . قالوا : فإن أعطى ؟
قال : يكون فيه شغل وخيلاء . قالوا : فإن لم يكن ؟ قال : يشغلك استصلاحه

(١) خ ٢٠ (اللباس) ص ١٣٨

(٢) خ ٢٠ (الإستئذان) ص ١٤٥

عن ذكر الله . و يروى : يقول ابن عوف للنبي حين يفتقده على الصراط
ويحبس ابن عوف . يقول : (لم أزل أحاسب بعدل كثرة مالى حتى جرى
منى من المرق ما لو وردت عليه سبعون من الإبل عطاشاً قد أكلت حمضاً
لصدرت عنه رواء) .

(١١٤) وانظر كيف يطالب الإسلام بالكياسة في تصريف المال
(الأكترون ثم الأقلون يوم القيامة إلا من قال بالمال هكذا وهكذا) (١)
(ما من غنى ولا فقير إلا ود يوم القيامة أن الله تعالى كان قد جعل رزقه
في الدنيا قوتاً) .

(١١٥) وقال أبو الدرداء : يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم كيف
غنموا سهروا الحمقى وصيامهم ، ولشغال ذرة من صاحب تقوى ويقين أوزن
عند الله من أمثال الجبال من أعمال المغترين .

ويروى : تلك الدنيا تمثلت لى فقلت إليك عنى . قالت : إن تنج منى فلن
ينجو منى من بعدك . قال أبو بكر : فأخاف أن تكون قد أدركتني ونحى
الإناء وبكى . وقال الفضيل : المتوكل على الله الوائق به لا يتهمه ولا يخاف
خذلانه .

وقال بعض الحكماء : إن دون كل باب عقبة فن تجسم ركوبها أفضت به
إلى الراحة ، ومن هاله ركوب العقبة فلم يرقها بقى مكانه . و يروى : غنيمة
الصديقين ما انزوى عنهم من الدنيا .

(١١٦) وقد وعظ النساء قائلاً لهن : (عليكم بالتسبيح والتهليل
والتفديس ، ولا تغفلن فتنسين الرحمة ، واعقدن بالأنامل فإنهن مشولات
ومستنطقات) .

(١١٧) والناس يعظمون الكعبة - وهى حقاً معظمه لن أنظر كيف

يضعها النبي في الموضوع اللائق بها - فيقول مخاطباً لها (ما أجراك وأجل
ريحك ، وما أعظمك وأعظم حرمتك ، والمؤمن عند الله أعظم حرمة منك
حرمة دمه . وماله) .

(١١٨) ويوم ينسى المسلمون هذه المقررات فقد صح فيهم (بطن الأرض
خير لكم من ظهرها) .

(١١٩) ويوم أن يفقه المسلمون تلك المقررات فستدوم لهم الكلمة
وتحق لهم السيادة ، ويكون كل شيء نافعاً في الدنيا من نصيبهم كما قال النبي
عنه : (تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله) .

الموضوع السادس والعشرون

(العدل)

(١) به قامت السموات والأرض ، وعليه تستقيم مصالح الخلق . وقد النزم الله به وألزمنا به بعد ذلك ، ونهانا عن الظلم بعد أن حرمه على نفسه . وجعل الدنيا فرصة بمنوحة لكل مكلف ليسأل بعبادته عن مدى استمساكه بهذا المبدأ - فإن أخذ فوق حقه فذلك هو الجور الذي لم يرض الله عنه . والحقيقة التي لا مفر منها هي إما أن نقيم العدل فيما بيننا ، أو سنسأل عنه ، ثم يطبق الله عدله فينا (لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلهاء من الشاة القرناء) أى من صاحبها .

(٢) ومن حكمة الله أنه لم يجعل الخطأ مبرراً للخطأ ، ولا الفجور مبرراً لظلم الفاجر - فهذا شيء وذاك شيء ، ومن عدله أن دعوة المظلوم مستجابة ، وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه) .

(٣) وإذا لم يكن العدل كان الظلم الذي لا قيام للحق معه . ولقد أحسن الشارع حين جمع بينه وبين الشح . فالشح حبس الخير والظلم إطلاق الشر . وفي الحديث (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة . واتقوا الشح فإنه أهلك من كان قبلكم - حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم)
بخ ١ (المظالم) ص ١٤٨

(٤) ولقد بلغ التشريع الإسلامى ذروة العدل وقمة الفضل ، وكشف لنا عن بعض نماذج العدل التي يطبقها الله بين خلقه . ومنها أن الإستار بالمعصية أقل إثماً من المجاهرة بها - فالمجاهر فضح نفسه . فليس من العدل أن تناله المغفرة ويسوى بينه وبين المتقين ، أو حتى بين العصاة المستورين الذين لم يعلم أحد بجورهم (كل أمتى معافى إلا المجاهرين ، وإن من المجاهرة أن يعمل (م ١٤ - السنة نظرات)

الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول. يا فلان عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره الله فيصبح يكشف ستر الله) بخ > ٢ (الأدب) ص ١٤١

(٥) وإذا كان العدل هو أخذ الحق وأعطائه بالقسطاس . فإن الإسلام بعد أن قرره وأوجبه إرتقى بأصحاب الحقوق بعد أن ملكهم حقهم إرتقى بهم إلى درجة أسماً من العدل - درجة التسامح بعد المقدره . وأما المتسامحون فهم الرحماء وأولى الناس بدار السلام (ألا أخبركم بمن يحرم على النار ، أو بمن تحرم عليه النار ؟ كل قريب هين لين سهل) .

(٦) أما حقوق الجماعة فليس لأحد أن يتنازل عنها أو يتسامح فيها - وهي المعروفة بالحدود . ولما سرقت امرأة من قريش وأهمهم قطع يدها - كلبوا أسامة بن زيد حب النبي ليشفع لها : فقال له النبي يعظه ويرشد الأمة (أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة ؟ وخطب قائلاً : إنما أهلك من قبلكم أنه إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) بخ > ٢ (فضائل الصحابة) ص ٥٩

(٧) ومن العدل أن يطالب كل ملتزم بما التزم به ، وأن يفي كل بوعده متى تعهد . وبصرف النظر عن معاهده - فتي قبل العهد فإن من العدل أن يسأل عنه (أيمارجل أمن رجلا على دمه ثم قتله فأنا من القاتل بريء وإن كان المقتول كافراً) .

(٨) وكل من أخذ من غيره شيئاً فهو دين عليه يقاضى عليه بالعدل (إن الدين يقتض من صاحبه يوم القيامة إذا مات ، إلا من تدين في ثلاث خلال : الرجل تضعف قوته في سبيل الله فيستدين يتقوى به على عدو الله وعدوه . ورجل يموت عنده مسلم فلا يجد ما يكفنه به ويواريه إلا بدين ،

ورجل خاف على نفسه العزبة فيتمكح خشية على دينه - فإن الله يقضى عن هؤلاء يوم القيامة) .

وبالتأمل إلى تلك الديون الثلاثة التي يقضيها الله عن العبد - نعلم أن كلها كانت للمصلحة العامة . فدفن الميت والجهاد في سبيل الله والزواج خوفاً على الدين بدين لا بحد اليد ولكن بعفة - كل هذه مصالح فواتها يهدد المجتمع .

(٩) ولقد راعى الإسلام حرمة أموال الناس وأوجب المحافظة عليها ، وتوعد المتلفين لها ، وجازى الله بالإحسان من يأخذها لينتفع بها ثم يردّها (من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه . ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله) خ > ١ (الحجر) ص ١٤٦

(١٠) والدين يجب سداً ، فإن العدل أن يرد كل شيء لصاحبه . والذين قتلوا في سبيل الله لم يزالوا مسئولين عن ديونهم (يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين) .

(١١) ولما كان الإنسان لا يعلم الغيب فإن قيد نفسه يمينه ثم كشف له الغيب عن شيء هو خير مما تقيد به - فن العدل أن يفعل الخير ولا يهدر يمينه ولكن يكفر عنه ، جمعاً بين مصلحته وعظمة الله الذي حلف به (من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير) خ > ٢ (قدوم الأشعرين) ص ٩١

(١٢) ومن العدل العقاب على المعاصي والتناسب بين العقوبة والجريمة ، وألا يقصد من العقاب الانتقام بل التقويم . ويروى أن رجلاً غيره أبوذر بأمه وقال يا ابن السوداء . فقال له النبي : (إنك امرؤ فيك جاهلية ، هم إخوانكم وخولكم - فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ويلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يثلبهم - فإن كلفتموهم فأعينوهم) خ > ١ (الإيمان)

(١٣) ولقد أوجمل الإسلام وأحسن حين أوصى المخدمين بالاحسان إلى خدمهم ، فهذا مقام قد يضيع فيه العدل فضلا عن الإحسان - ولذا نرى الإسلام يأمر بهما مع كل الناس وأخصهم الضعفاء منهم (إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه ، فإن لم يجلسه معه فليساوله لقمة أو لقمتين أو أكلة أو أكلتين - فإنه ولي علاجه) بخ - ٢ العتق ص ١٥٢

(١٤) وكلما كان العمل شاقا كان الأجر مضاعفاً - وهذا عدل الله (إن العبد إذا نصح لسيدته وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين) .

(١٥) وهكذا يكون الأجر حسب المشقة ، وتقدر الأجور بعد تقويم العمل (ثلاثة لهم أجران : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وبمحمد . والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه . ورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها وعلماها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران) (١) .

(١٦) وكلما إشتط الناس كان الأجر على الاستقامة أعظم - وهذا من العدل . فالذى تغلب على البيئته ونجما من عدوى الشر - من العدل لإجلال عمله (العبادة في الهرج كهجرة إلى) .

(١٧) ومن العدل مراعاة شعور صاحب الحق . فإن تسامحوا معه إذا انقل وهو يطالب بحقه لكن إلى حد ما . وفي الحديث لمن طالب بحقه (دعوه فإن لصاحب الحق مقالا ، أعطوه سنا مثل سنه . قالوا : لا نجد إلا أمثل منها . قال : أعطوه فإن خيركم أحسنكم قضاء) بخ - ١ (الوكالة) ص ١٣٩ ، ١٤٠

(١٨) ويجب على المسلم أن يكون مرهف الحس يقبل المعذرة - فمن

العدل قبولها . فإن كان المعتذر صادقا فلاحق لك عنده . وإن كان كاذبا فاعتذراه تعبير عن ندمه . وليس من العدل أن ترفض اعتذاره (من اعتذر إلى أخيه المسلم فلم يقبل منه كان عليه مثل خطيئة مكس) .

(١٩) والعفو والتسامح يفتحان لصاحبهما أبوابا من الرحمة . والتشدد يجرمه من خير عظيم (من تنصل إليه فلم يقبل لم يرد على الحوض) .

(٢٠) والقساة الذين يجودون على غيرهم ولا يقيمون العدل فيما بينهم - هؤلاء من شرار الخلق (ألا أنبئكم بشراركم؟ قالوا: بلى . قال: إن شراركم الذى ينزل وحده ويمجد عبده ويمنع رفته . أفلا أنبئكم بشر من ذلك؟ قالوا: بلى إن شئت يا رسول الله . قال: من يمتنض الناس ويغتصونه . قال: أفلا أنبئكم بشر من ذلك؟ قالوا: بلى . قال: الذين لا يقيمون عشرة ولا يقبلون معذرة ولا يغفرون ذنبا . قال: أفلا أنبئكم بشر من ذلك؟ قالوا: بلى . قال: من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره) .

(٢١) وتكبير الجريمة بمقدار آثارها وترويعها وهتكها للفضيلة ومن ثم كانت جرائم الأعراس من أبشعها (أتدرون أربى الربا عند الله؟ قال: فإن أربى الربا عند الله استحلال عرض امرىء مسلم ، ثم قرأ د والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ، .

وكلما كان الإتهام كذبا كان العقاب عليه أشد ، وهذا من العدل (من ذكر امرىء بشيء ليس فيه ليعيبه به حبسه الله فى نار جهنم حتى يأتى بنفاد ما قال فيه) .

(٢٣) وكلما انتشرت الإشاعة بالباطل كان من العدل تشديد العقاب ، نظر الماسا تحذره من آثار (أيما رجل أشاع على رجل مسلم كلمة وهو منها

برىء يشينه بها فى الدنيا ، كان حقا على الله أن يذيه يوم القيامة فى النار -
حتى يأتى بنفاد ما قال) .

(٢٤) والذين يفسدون بين الناس بما يختلفون من أكاذيب فإنهم أصحاب
النار (لا يدخل الجنة تمام أوقات) خ ج ٢ الأدب ص ١٤٠ .

(٢٥) ولقد جاء الإسلام يعالج فساد القلوب واعوجاج السلوك ،
ولا تجتمع تعاليمه وشيئا من ذلك الإعوجاج (إن النيمة والحقد فى النار -
لا يجتمعان فى قلب مسلم) .

(٢٦) وإذا كان من العدل إنزال العقاب بالمجرم ، فإن من العدل
كذلك إثابة المحسن (من علم من أخيه سيئة فسترها ستر الله عليه
يوم القيامة) .

(٢٧) والتشهير بالناس ولو كانوا مخطئين لا يليق . إلا من أذن الله أن
تشهر بهم (من ستر على مؤمن عورة فكأنما أحيا مؤودة) .

(٢٨) ومن ادعى شيئا ليس له بأهل فمن العدل عقابه (ومن صور
صورة عذب وكلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ) (١) .

(٢٩) وكذا من عظم الحقير أو عاد إلى ما نهى الله عنه (من حلف
على يمين بملة غير الإسلام كاذبا متعمدا فهو كما قال . ومن قتل نفسه بشيء
عذب به يوم القيامة . وليس على رجل نذر فيما لا يملكه . ولعن المؤمن
كقتله) خ ج ٢ (الأدب) ص ١٤٠ .

(٣٠) ومن العدل أن نلتزم بما أمرنا به خالقنا ، فلا نلن إلا من
لعنهم الله ، ولا نعذب بما يعذب به الله العصاة (لا تلعنوا بلعنة الله
ولا بغضبه ولا بالنار) .

(٣١) ومن العدل التسوية بين الشقيين إن كانت نتيجةهما واحدة (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) خ ج ١ (الإيمان) ص ١٣ .

(٣٢) ومن العدل أن يتحمل الإنسان نتيجة يحاول أن يحملها لغيره إثمًا وعدوانا (لا يرمى رجل رجلا بالفسق أو الكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك) خ ج ٢ (الأدب) ص ١٤٠ .

(٣٣) والبادى بالشر أظلم مالم يرتكب الآخر أضعاف ما ارتكبه المبتدئ - هذا هو العدل (المتسابان ماقالا فعلي البادى منهما حتى يعتدى المظلوم) .

(٣٤) وإذا كان التشريع الدينى لا يطبق أحيانا لظروف وملابسات - فليس معنى ذلك ضياع العدل . ولكن من فاته حقه فى الدنيا أخذه فى الآخرة تحقيقا لمبدأ العدل (من فذف مملوكه بالزنا يقام عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال) خ ج ٢ (المحاربين) ص ١٥١ .

(٣٥) وعلى الحاكم أن يحكم بالعدل بين الناس من غير تجسس ولا تتبع للعوامات فإن فى ذلك فسادا كبيرا (إنك إن اتبعت عورات المسلمين أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم) .

(٣٦) ومن العدل أن يكون العقاب بالمثل فيما تمكن فيه المائلة (من سمع سمع الله به ، ومن يرأى يرأى الله به) خ ج ٢ (الاستئذان) ص ١٤٥ .

(٣٧) ولا يعاقب الإسلام على مجرد النية ، ولكن على المعصية التى وقعت بالفعل . فإن كانت مقدماتها تعد فى ذاتها معصية عوقب عليها صاحبها وإلا فلا . ولا احتجاج بقضاء الله فإننا لانعلمه (كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة . العينان زناها النظر ، والأذنان زناها الإستماع ، واللسان زناه الكلام ، والبدن زناها البطش ، والرجل زناها

الخطي، والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه) خ ج ٢
(الأحكام) ص ١٥٦ .

(٣٨) ومن انظم أن يتهاون الإنسان ولا يتمسك الحق الذي قرره
الشارع، فيضيع بذلك العدل وتحل محله الخيانات والظلمات (أياكم والدخول
على النساء . فقال رجل: أفرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت) خ ج ٢
(النكاح) ص ١٢٤ .

(٣٩) ومن القواعد المقررة أن ما جعلته الله كان عليك ألا تأخذ منه
شيئا - وهذا أمر تعبدى . وفي الحديث: (من كان له ذبح يذبحه فإذا أهل
هلال ذى الحجة فلا يأخذن من شعره ولا من أظفاره شيئا حتى يضحى) .

(٤٠) والمرء العاقل من العدل أن يصبح كلامه حجة عليه (من حلف
فقال أنا بريء من الإسلام - فإن كان كذبا فهو كما قال، وإن كان صادقا فلن
يرجع إلى الإسلام سالما) .

(٤١) والحلف لإلتزام أمام الله فيجب فيه الصدق والحزم معا
(من حلف على مال امرىء مسلم بغير حقه لقي الله وهو عليه غضبان . ثم
قرأ: إن الذين يشترون بعهد الله وإيمانهم ثمنا قليلا، أولئك لا خلاق لهم
في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكهم ولهم عذاب
أليم) خ ج ١ (الشرب) ص ١٤٤ .

(٤٢) ولما كان الناس قد يصدقون إن حلف لهم غيرهم كانت جريمة
من خدع الناس بيمينه أعظم (من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد
أوجب الله له النار وحرّم عليه الجنة . فقال له رجل: وإن كان شيئا يسيرا
يارسول الله؟ فقال: وإن كان قضيبا من أراك) .

(٤٣) ومن أجل هذا حذر الإسلام من الحلف خصوصا في الإماكن

التي كثيرا ما يندع فيها العبد (الحلف منفقة للسلعة محقة للكسب) بخ ١٠
(البيوع) ص ١٣٠ .

(٤٤) ومن العدل ألا نطلب بالعظيم إلا العظيم (لا يسأل بوجه الله
إلا الجنة) .

(٤٥) وعلى المرء أن يكون يقظا (من استعاذ بالله فأعيذوه . ومن
سألكم بالله فأعطوه . ومن دعاكم فأجيبوه . ومن صنع لكم معروفًا فكافئوه ،
فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له بخير حتى تروا أنكم قد كافأتموه) .

(٤٦) ومن العدل أن من طلب الحرام عوقب بنقيض ما طلب ورجع عليه
أثمه (من دعا رجلا بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه) .

(٤٧) والزوجان التزما معا بعهد الله وميثاقه ، فيجب الوفاء دلي كل
منهما (إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبانا عليها لغنتها
الملائكة حتى تصبح) بخ ج ٢ (بدء الخلق) ص ٣٤ .

(٤٨) وهكذا كل من التزم بشيء فقد وجب عليه الوفاء (أيما عبد أبق
فقد برئت منه النعمة) .

(٤٩) ويجب ألا يعرض الإنسان غيره لما يؤذيه ، كما يجب الإلتزام
بالقواعد الصحية وعقاب من يخالفها (اتقوا اللاعنين . قالوا : وما اللاعنان ؟
قال : الذي يتخلى في طريق الناس وظلمهم) .

(٥٠) وفي الحديث الآخر : (لا يبولن أحدكم في الماء الراكد) (١) .

(٥١) ومن عدله سبحانه أن جعل أمانته في عنق الإنسان بعد أن أبت
حملها السموات والأرض . وسواء كان الحمل التكليف بها أم خيائه لها -
فن المؤكد أنه المكلف لأنه سيد هذا الوجود فإذا قام بما كلف به استحق
الأجر وإلا فقد تخلى عن أهم ميزة فيه .

(١) بخ ج ١ (الموضوء) ص ٢٩ .

وفي معنى الحديث (لما خلق الله الأرض جعلت تميد وتتكفأ ، فأرسانها بالجبال فاستقرت فتحجب الملائكة من شدة الجبال فقالت ياربنا هل خلقت خلقا أشد من الجبال ؟ قال : نعم الحديد وأشد من الحديد النار وأشد منها الماء وأشد منه الريح وأشد منه ابن آدم إذا تصدق صدقة يمينه فأخفاها عن شماله) وهكذا فإن الإنسان يصبح مسخرا كل شيء ، ومسخرا له كل شيء إذا استجاب لربه .

والذين يتعبدون بالكذب على هذا وذاك، فمن عدل الله معهم أن يذيقهم سوء العذاب (من أكل برجل مسلم أكلة فإن الله يطعمه مثلها من جهنم، ومن كسى ثوبا برجل مسلم فإن الله يكسوه مثله من جهنم ، ومن قام برجل مقام سمعة ورياء فإن الله يقوم به مقام سمعة ورياء يوم القيامة) .

(٥٣) ومن يعتدى يلقي جزاءه (وإنه من لعن شيئا ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه) .

ولقد أوجب الله العدل على الناس لمصلحتهم ، وتدخلت عنايته فيما بينهم تشرف وتعاقب كل من خرج عليه (مامن مسلمين الا وبينهما ستر من الله عز وجل - فإذا قال أحدهما لصاحبه كلمة هجر فقد خرق ستر الله) .

(٥٥) والإحسان فوق العدل وإن كان في العدل نوع من الإحسان .

ولقد أوصى الله بالإحسان إلى المسمى (من كظم غيظا وهو يستطيع أن ينقله دعاه الله يوم القيامة حتى يخيره في أى الحور شاء) .

(٥٦) ولقد جاء الإسلام بطريقة تحبب الناس في العفو من غير أن يرغمهم عليه ، ولا لإثم على من يطالب بحقه لأنه العدل ، لكن الإحسان درجة فوقه (ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان ويرفع الدرجات ؟ قالوا : بلى .

قال : تحلم على من جهل عليك وتعفو عن ظلمك وتعطى من حرمك
وتصل من أظلمك) .

(٥٧) وقد يظن البعض أن تفاوت الناس في الرزق مناف للعدل . ونسوا
أن كل إنسان سيحاسب على ما عنده (أكثر الناس شبعاً في الدنيا أطولهم
جوعاً يوم القيامة) .

(٥٨) وليست الدنيا وحدها هي التي ينظر إليها في مجال التطبيق للعدل
الله ولكن عدله كذلك في الآخرة . وهذه منزلة الدنيا عنده (إن الله ضرب
ما يخرج من ابن آدم مثلاً للدنيا) .

(٥٩) ومن ظن أن الدنيا منتهى أمله فعمل فيها كأنه لاحياة بعدها فله
ذلك الوعيد (من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مزلة يوم القيامة
وأهلب فيه ناراً) .

(٦٠) ومن العدل أن تقيد المباحات عند الحاجة إليها - فالذهب مباح
للنساء ، والمعصفر كذلك . فإذا كانت هناك حاجة إلى الذهب أو فتنه إلى
المعصفر فالتقييد هو الشرع (ويل للنساء من الأحرار : الذهب والمعصفر) .

(٦١) والمسلم يؤجر على كل شيء إلا على شيء لا فائدة منه - كتشبيد
القبور وإقامة الأضرحة وغير ذلك (إن المسلم يؤجر في كل شيء ينفقه إلا
في شيء يجعله في هذا التراب) .

(٦٢) ولا قيمة لرأى مبتدع في الدين ما ليس منه (إنما أخطى عليكم
شبهوات النوى في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى) .

(٦٣) وانظر إلى العدل الذي توهمه البعض تعصبا فصحيح لهم النبي فهمه
(انصر أخاك ظالما أو مظلوما . قالوا : ننصره وهو مظلوم فكيف ننصره
وهو ظالم ؟ قال : تحجزه عن ظلمه فذلك نصره) بخ ج ١ . (المظالم) ص ١٤٨

(٦٤) ويجب على كل إنسان أن يساهم في رفع الظلم كل وما يستطيع
(لا يقفن أحدكم هوقما يضرب فيه رجل ظالما فإن اللعنة تنزل على من حضره
حين لم يدفعوا عنه) .

(٦٥) وهذه مبادئ قامت على العدل (اضمينوا لى ستا أضمن لكم الجنة -
أصدقوا إذا حدثتم ، وأوفوا إذا وعدتم ، وأدوا إذا ائتمنتم ، واحفظوا
فروجكم ، وغضوا أبصاركم ، وكفوا أيديكم) .

(٦٦) وقد أمر الله الناس أن يشهدوا بالحق ولو على أنفسهم ، وحذرهم
من كتمان الشهادة أو شهادة الزور (لن تزول قدما شاهد الزور حتى يوجب
الله له النار . ومن كتم شهادة دعى إليها كان كأنما شهد الزور) .

(٦٧) ومن فضائه العادل صلوات الله وسلامه عليه أن قرر في اللعان
إذا جحد النسب (الولد للفراش وللماهر الحجر ، وأمر سوده أن تحتجب
منه) خ ١٠ (البيوع) ص ١٢٨ ، ١٢٩

كانت تظن أنه عمها من الرضاع . فلما ثبت خلافه أمرت بالحجاب .

(٦٨) وكل من آمن بنبي ورسول فهو من المهاجرين إن توافرت فيه
باقى شروط الإيمان ، وإلا فإنه لا أجر له وإن آمن بالبعض وكفر بالبعض
وذلك قسطاس مستقيم - بل عليه عقاب . وفى معنى الحديث (مثل اليهود
والنصارى والمسلمين برجل استأجر أجراه بالنهار فعملا كل من اليهود
والنصارى إلى العصر ، وعمل المسلمون إلى آخر النهار فاستحقوا أجرهم كاملا
بعدما رفض اليهود والنصارى العمل بقية اليوم) خ ١٠ (مواقيت الصلاة)
ص ٥٢ بالمعنى .

(٦٩) ولمراعاة هذا المبدأ المقدس فرق الإسلام بين عقوبة الأعزاب
والمتزوج فى الزنا (إن لى كان عسيفا على هذا فزنا بامرأته وإنى أخبرت

أن ابنى عليه الرجم فافتديته منه بمائة شاه ووليدة فسألت أهل العلم فأخبروني
أنما على ابني مائة جلدة وتغريب عام وأن على امرأة هذا الرجم . فقال النبي:
الوليدة والغنم رد عليك ، وعلى ابنك مائة وتغريب عام . اغدو
يا أنيس إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها . فاعترفت . فأمر برجمها)
بخ - ٢ ص ٧ (الشروط) .

(٧٠) ولا يجرم منكم شئان قوم على ألا تبدلوا إعدلوا هو أقرب للتقوى.
والعدل مع العدو أحق وأجدر تعبير عن سماحة الإسلام (لما فدع (١) أهل
خير ابن عمر قال عمر لأحد بني الحقيق : لم أنس قول النبي كيف بك إذا
أخرجت من خير تعدو بك قلوبك (٢) ليلة بعد ليلة . فقال اليهودى: كانت
هزيلة من أبي القاسم . فقال له عمر كذبت . وأجلازم وأعطائم قيمة ما كان
لهم من الثمر) بخ - ٢ (الشروط) ص ٧ ، ٨

(٧١) ومن الناس من تبلغ فيه الفطنة مبلغا قد لا يتفق لغيره مثل ذلك .
فن العدل أن يكون لهذا ما يختلف عن ذلك - وهذا أمر بديهي . وبناء عليه
فلا غرابة إن رأينا شهادة الرجل بشهادة امرأتين ، وشهادة أحد الرجال كخزيمة
الأنصاري بشهادة رجلين . ويروى (نسخ ابن ثابت ففسى آية من الأحزاب
ووجدتها مع خزيمة الأنصاري وقد جعل النبي شهادته بشهادة رجلين -
والآية : من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) (٣) .

ومن المعلوم أن القرآن نقل متواترا . ولا يقال إن هذه الآية نقلت
بخبر الواحد ، فقد كانت معروفة . وأكثر الصحابة يعرفون أنها نزلت في
أنس بن النضر - فاذا كتبها ابن ثابت عن رجل جعلت شهادته بشهادة اثنين

(١) أصيب في رسغ يده .

(٢) الفتى من الإبل .

(٣) بخ - ١ (الخور) ص ١٥ ، ١٦

فلا ينافى أن مائة صحابي كانوا يحفظونها - فثبت توأثرها ،

(٧٢) ولقد ثبت أن معرفة أقدار الرجال له قيمته . وهذا ما كان النبي
دائم التنبيه عليه - وتلك إشارة منه لامرأة (إني أرحمها قتل أخوها معي)
بخ > ٢ (الخور) ص ١٧ ، ١٨

(٧٣) ولشكل انسان حتى الدفاع عن نفسه . ويروى أن رجلا أهدر
سنا بيده كان صاحب السن قد عض عليها - فشكاه إلى النبي . فقال له :
(أيدفع يده إليك فتقضمها كما يقضم الفحل ؟ وأهدر سنه) بخ > ٢ (الخور)
ص ٢٢ .

(٧٤) وإذا كان الإنسان يعمل عملاً ثم انقطع عنه من غير تعمد فهو
أحق بالأجر عدالة . ومن هنا كان المريض أحق براتبه في مرضه منه وهو
صحيح يعمل . وعلى هذا القسطاس المستقيم جاء الحديث : (إذا مرض العبد
أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقبياً صحيحاً) ح > ٢ (الخور) ص ٢٣ .

(٧٥) ويجب احترام العمود (من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن
ريحها يوجد من مسافة أربعين عاماً) (١) .

(٧٦) وكل عمل يجب أن يوضع في موضعه - فإذا لم يوضع كان الظلم
الذي يستجار منه إلى الله (من قتل عصفورا عبثاً عجب إلى الله يوم القيامة
يقول : ياربى إن فلانا قتلنى عبثاً ولم يقتلنى منفعة) .

(٧٧) وأجدر الأشياء بهذا هو المال . فمن أجل الصلاة الجماعية وتيسير
الخير - يجب أن يوضع (إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة) .

(٧٨) ويجب منع الظالم عن الاستمرار في ظلمه ومقابلته بالمثل . وفي

(١) ح > ٢ (الخور ص ٣١) .

— ٢٢٣ —

الحديث قال الحسن : (أجهم أوجههم وجبريل معك) بخ > ٢ بدء الخلق
ص ٢٣

(٧٩) وعلى القاضى أن يكون بصيراً بالأمور لا يصدق كل ما يقال له ،
وعليه أن يتحرى العدل (لو يعطى الناس بدعواهم لذهب دماء قوم وأموالهم
ذكروها بالله واقروا عليها إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً
قليلاً أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر
إليهم يوم القيامة ولا يزكهم ولهم عذاب أليم) بخ > ٢ (تفسير القرآن)
ص ١٠٠

(٨٠) ومن العدل تعذيب الإنسان إن لم يحتمل ويصبر . فإن تسرع
وانتحر فقد باء بمثل ما انتحر به وسوف يعذب كما انتحر (من تردى من
جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبداً يتردى . ومن تحمس
سما فقتل نفسه فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدًا مخلدًا أبداً . ومن
قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها
أبداً) بخ > ٢ (الطب) ص ١٣٦

(٨١) والعدل فى جرائم الحدود أن سوى بين القليل والكثير —
لأنها اعتداء على حق الجماعة ، ولأن القليل يؤدى إلى الكثير . ومع
اشتراط النصاب فى القطع عند أكثر الفقهاء ، ولكن منهم من لا يشترطه
ويقطع فى القليل والكثير وله قول النبى : (لعن الله السارق يسرق البيضة
فتقطع يده ، ويسرق الحبل فتقطع يده) بخ > ٢ (الحدود) ص ١٥١

(٨٢) وأعظم الجرائم جرائم الدماء (لن يزال المؤمن فى فسحة من
دينه ما لم يصب دماً حراماً) بخ > ٢ (الدييات) ص ١٥١

(٨٣) وللنفس حرمة . ولا يحل الدم إلا بمبرر مشروع (لا يحل
دم أمرىء مسلم يشهد ألا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا باحدى ثلاث :

الذنس بالنفس ، والثيب الزانى ، والمفارق لدينه التارك للجماعة) بخ ح ٢
(الديات) ص ١٥٢

(٨٤) (إن أبغض الناس إلى الله ثلاثة : ملحد فى الحرم ، ومبتغ
فى الإسلام سنة الجاهلية ، ومطلب دم امرىء بغير حق ليهريق دمه) بخ ح ٢
(الديات) ص ١٥٢

(٨٥) ويجب على القاضى أن يكون هادئاً (لا يقضين حكم بين اثنين
وهو غضبان) بخ ح ٢ (الأحكام) ص ١٥٦

(٨٦) ولقد أحسن الإسلام وأجمل حين جعل على المفتاب دعاء لمن اغتابه
(إن كفازة الغيبة أن تستغفر لمن اغتابته تقول : اللهم اغفر لنا وله) .

(٨٧) والمسلمون كالجسد الواحد يجب الدفاع عنهم كعضو من أعضائه
(من حمى مؤمناً من منافق بعث الله ملكاً يحمى لحمه يوم القيامة من نار جهنم .
ومن رى مسلماً بشيء يريد شينه حبسه الله على جسر من جهنم حتى يخرج
بما قال) .

(٨٨) والحق أن خذلان المسلم جريمة . كما أن نصرته أمر لا بد منه .
ومن وراء ذلك عدل الله يجازى كل بما قدم (مامن امرىء يخذل امرأ
فى موضع تنتهك فيه حرمة وتنتقص فيه من عرضه إلا خذله الله فى موضع
يجب فيه نصرته . ومامن امرىء ينصر مسلماً فى موضع ينتقص فيه من
عرضه وينتهك فيه من حرمة إلا نصره الله فى موضع يجب فيه نصرته) .

الموضوع السابع والعشرون

على هامش المعلومات

(١) نتحدث في هذا الموضوع عما يمس الأخلاق بطريق مباشر ، ولا نتحدث عنه من الناحية الفقهية إلا بقدر . وأول ما نتناوله الهبات والصدقات والتبرعات التي يندبها الإنسان مختاراً راجياً عبثة الله . تلك التبرعات لا يصح الرجوع فيها ولا الاحتيال على استردادها لأن ذلك يناهى المروءة وينقد العزم الذي عزم عليه المتبرع - وفوق هذا فهو عمل غير إنساني . عن ابن عمر : (حملت (١) على فرس في سبيل الله فأضاعه الذي كان عنده - فرأيت أن أشتريه وظننت أنه يبيعه برخص . فسألت النبي فقال لا تشتريه ولا تعد في صدقتك فإن العائد في صدقته كالعائد في قبته)
بخ ١ (الزكاة) ص ١٠٣

(٢) وكل فضيلة فلا مانع لدى الإسلام أن تكون من مقرراته . وكل أمر مشين فإن الإسلام يمتنعه ويستنكره ويهيب بالمسلم أن يجتنب كل الرذائل سواء كانت في المعاملات أم في غيرها (اجتنبوا السبع الموبقات : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغلافات المؤمنات) بخ ٢ (الوصايا) ص ١٣

(٣) وإذا كان الربا هو الذي له صلة بموضوعنا فزى إفراده بكلمة - لقد أحل الله البيع وحرم الربا ونهى عنه وتوعد بالنار والحرب كل متباد فيه، ونهى عن أكل الربا القليل منه والكثير . وقوله لا تأكلوا الربا أضعاف مضاعفة باعتبار ما كان . ولقد جاءت الآية وحرم الربا . وقوله ومن عاد

(١) أى تبرعت به في سبيل الله .

... ٤٣٩ ...

فولائك أصحاب النار هم فيها خالدون . واتفق المسلمون على أن تحريم الحلال فسق وأجمعوا على أن تحليل الحرام كفر - لكن يجب أن نفهم قواعد الإسلام ولا نزمي الناس بالبهتان . فكلمة الربا كلمة من المحتمل أن تكون بجملة لم تبين ، أو عامة خصصت . ولا خلاف في أن متى ثبت الربا فهو حرام . لكن تختلف الأنظار في صورة من الصور لا يرى البعض بها بأساً لأنها ليست من صور الربا في نظرهم . ويرى الآخرون أنها من صور الربا فيحرمونها . والحق لا خلاف بين الفريقين أنه متى ثبتت ربويتها فهي حرام - وإلا فهي مباحة ، وعليه فلا يتهم من يحلل سورة أنه أحل الربا : كلا ! إن مسلماً لا يرضى أن يحلل ما فيه شبهة فكيف بما لا شبهة فيه ؟

على أن الفقهاء والأئمة اختلفوا في بعض الصور . ومع ذلك لم يكفر بعضهم بعضاً . وبمقتضى مذهب أهل الظاهر ألابا إلا في الأصناف الستة التي ذكرها الحديث - الذهب والفضة والحنطة والشعير والتمر والملح . ومع ذلك لم يكفرهم أحد .

فاذا تعرضنا لصورة أبنائها أو منعناها فيجب أن يعلم أنها من وجهة نظر يشبهها بأقرب شيء لها ونحن ندرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (لعن آكل الربا وموكله) .

(٤) ولا يصح أن يخص أحد الورثة بشيء من التركة لأن ذلك تفويت للعدل وإثارة للعداوة . وقد سبق حديث النعمان بن بشير لما أوصى له أبوه بغلام وجاء يشهد النبي على الوصية فقال : (أكل ولدك نحلث مثل هذا ؟ فقال : لا . قال : إرجع - إتقوا الله وأعدلوا بين أولادكم ، أشهد عليه خيرى لا أشهد على جور . أيسرك أن يكونوا في البر سواء ؟ قال ، نعم . قال : فلا إذن . كلها روايات (١) .

(٥) ولقد حارب الإسلام الاستغلال في أى صورة من صوره : وفيما ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه الإحتكار أو التديليس أو التلاعب بالأسعار (لا تتلقوا السلع حتى يهبط بها إلى الأسواق) بخ - ١ (البيوع) ص ١٣٣

(٦) ونهى عن كل ما فيه أضرار بالناس سواء في ذلك البائع أم المشتري وسواء في ذلك الضرر المباشر أم عن طريق السمسة القائمة على الغش والحداع (لا تتلقوا الركبان ولا يبيع حاضر لبادى . قالوا : ما يبيع حاضر لبادى؟ قال : لا يكون له سمسارا) بخ - ١ (البيوع) ص ١٣٢ ، ١٣٣

(٧) وفيما يتعلق بالزواج تنور الضغائن نتيجة خاطب يتقدم إلى مخطوبة لشخص تقدم إليها من قبله - وهذا عمل قبيح وخلق سيء . وفوق هذا أنه لا يجوز شرعا ما لم تفسخ الخطبة من قبل أن يخاطب الثاني ولا دخل له في فسخها كما أن بعض السيدات تشتترط على الخاطب أن يطلق زوجته أولا - وهذا حرام . فإما أن يقبل الرجل على حاله متزوجا وإما أن يرفض (ولا يخاطب الرجل على خطبة أخيه . ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكفأ ما في آيتها) بخ - ١ (البيوع) ص ١٣٢ ، ١٣٣

(٨) ومن الناس من يغالى في المديح في سلعة أو في مديح رجل - وهذا خطأ . وهل انتشر النفاق إلا من السكوت على مديح في غير موضعه من مداح كذاب أشر . ويروى أن رجلا أتى على رجل فقال له النبي : (ويحك قطعت عنق صاحبك يقوله مرارا إن كان أحدكم مادحا لا محالة فليقل : أحسب كذا وكذا إن كان يرى أنه كذلك ؛ وحنبيه الله ولا يزكى على الله أحد) بخ - ٢ (الشهادات) ص ٦٠٥

(٩) وهكذا يرشدنا رسول السلام أن نقف أمام مروجى الكذب بالمرصاد (إذا رأيت المداحين فاحنوا في وجوههم التراب)
(١٠) ولقد أرشدنا إلى أقوم الطرق وأيسر سبل التكسب الحلال (إن

أطيب الكسب كسب التجار الذين إذا اشتروا لم يذموا ، وإذا باعوا لم يمدحوا
وإذا كان عليهم لم يمتلوا . وإذا كان لهم لم يعشروا) .

(١١) وتقوم المعاملات الإسلامية على أساس الإسلام وقواعده (اتق
الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن) .

(١٢) وقد أقام الإسلام للبيع والشراء قاعدة عادلة تقوم أساساً على
الإختيار الحر ثم الإلتزام بما اتفق عليه بعد الصدق والوضوح (البيعان
بالتحيار ما لم يتفرقا ، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما ، وإن كذبا وكتما
محقت بركة بيعهما) خ - ١ (البيوع) ص ١٣٠

(١٣) والغدر من أقبح الخصال (خمس تعاجل صاحبهن بالعقوبة : البغى ،
والغدر ، وعقوق الوالدين ، وقطيعة الرحم ، ومعرفة لا يشكر) .

(١٤) والإخلاص في العمل من أسمى الفضائل ، وسيمنح الله أطيب
الجزاء لمن ضحى من أجله (من ضحى طيبة بها نفسه محتسباً لأضحيته كانت له
حجاباً من النار) .

(١٥) وإذا كانت الأضحية نسكا معلوما دعا إليه الشارع في وقت معلوم ،
فإن الإسلام ينهى عن التبذير ، ويقرر النبي (الإقتصاد نصف المعيشة) .

(١٦) ولا يجوز المقتصد على حق قرره الله لغيره - كأن يمنع الزكاة
مقصداً ، فإن ذلك لا يجوز . ويتساءل بعض الناس عن حكم التأميم - والمؤكد
أنه قد أم عمر رقعة من السكك وأبعد ماشية الأغنياء وقال : (فإنه إن تهلك
ماشية الفقير يأتيني متزوعاً لأولاده يقول يا أمير المؤمنين طالباً الذهب
والفضة وليس لي أن أتركه - فبذل العشب من الآن أيسر على من بذل الذهب
والفضة يومئذ) .

وهذا يدلنا على أنه يجب أن يقصد به المصلحة وأن يلتزم بيت المال

بجاجة كل محتاج ، وأن يكون في حدود ضيقه لا يشمل أصحاب الكسب الحلال قائماً على العدل حسب الطاقة .

(١٧) وإذا كانت الاضحية تحدث عنها - فن أحكامها أنها بعد صلاة العيد (ومن نسك قبل الصلاة فإنه قبل الصلاة ولا نسك له) خ - ١ (صلاة العيدين) ص ٧٤

(١٨) وإذا أراد إنسان أن يستبدل بورقة الخمسين قرشاً بدطاقروشا مثلاً فإن ذلك هو المعروف بالصرف عند الفقهاء . ولهم فيه أحكام لا تتفق مع العصر الذي نعيش فيه - فمثلاً لو دفعت جنيتها إلى بدال فأبقى منه عشرة قروش حكم عليه بعدم الجواز لأنه لاستبدال مال بمال - وهذا لا يجوز إن كان أحد العوضين ناقصاً وهما من جنس واحد . ورأينا في هذا أنه يجوز لأنه لاستغلال فيه . وفي الحديث (وإن كان الصرف يداً بيد فلا بأس ، وإن كان نساء فلا يصلح) خ - ١ (البيوع) ص ١٢٩ - ونرى حكمة المنع هي الاستغلال ، ومتى انتفى الاستغلال وكان في ذلك اليسر ومصالح الناس فلا نرى به بأساً .

(١٩) ومن المسائل التي تتصل بالوضع الإجتماعي الرهن وهو تمليك المرتهن عيناً نظير مال أو شيء يتسلبه الراهن . فإن أعطى للمرتهن حقه كان من حق الراهن استرداد عينه وهو مشروع بالكتاب دفرهان مقبوضة ، وبالسنة : (رهن درعه عند يهودى وقال : ما أسى عند آل محمد صاع بر ولاصاع حب وإن عنده لتسع نسوة) خ - ١ (البيوع) ص ١٢٩

ولنا تعليق في هذا الباب - نحسب أنه رهن تشرية للمسلمين أن يتعاملوا مع غيرهم كي لا يقال أين كان المسلمون وأغنياؤهم حين رهن نبيهم درعه عند يهودى ويتسامل الناس عن جواز الإلتفاع بالرهن . وجمهور الفقهاء يمنعه . وأبو حنيفة يجيزه متى أباح الراهن الإلتفاع بالرهن للمرتهن . والفقهاء وجهات نظر من المجيزين والممانعين : والذي نراه أنه لا بأس من الإلتفاع

بالرهن بقدر مال المرتهن - فلو دفع مائتي جنيهه وأخذ من الراهن ما قيمته أربعائه جنيهه فإن له أن ينتفع بنصفه لأنه المساوي لما دفعه .

وإذا لم يجر هذا لما وجدنا من يقرض الناس أو يقبل أن يأخذ رهنا بلا فائدة والراهن يتمنى أن تظل غلة الرهن له ، ولكن لا يجد من يقبل هذا الوضع .

ولقد أجزا الإلتفاع تمشياً مع قول أبي حنيفة . أما القرض الذي جر نفعاً فلا نراه ينطبق على الراهن .

وتمشياً مع الاستحسان ومصالح الناس وتبادل المنافع - فالراهن انتفع بالمال ، والمرتهن لا بأس أن ينتفع بالرهن في حدود المال الذي دفعه . والله أعلم .

(٢٠) والأصل في المعاملات الجواز حتى يرد دليل بالمنع . كما أن الأصل في العبادات البطلان حتى يرد إذن من الشارع . والحكم في المعاملات يدور على المصالح وعدم الاستغلال - ومن أجل هذا ورد الحديث : (لاصاعين بصاع ولأدرهمين بدرهم) خ ١ (البيوع) ص ١٣٠

(٢١) وللصلحة الإنسانية يدور الجواز والنهي . ومن هنا جاء الأثر (نهى عن ثمن الدم) خ ١ (البيوع) ص ١٣٠

(٢٢) ولتجنب الغبن والنزاع فإن المبيع المكيل يجب كياله عند البيع (كيلا طعامكم يبارك لكم) خ ١ (البيوع) ص ١٣٢

(٢٣) وكل ما فيه غرر فهو باطل (نهى عن بيع جبل الحبلبي - وهو بيع الناقة حتى تنتج ما في بطنها) خ ١ (البيوع) ص ١٣٣

(٢٤) ومن الناس من يتوسل لاقتفاع غير مشروع بطريق البيع . ولذا قد جاء الحديث ، (من اشترى غنماً مصراً فاحتلها فإن رضيا أمسكها ، وإن

سخطها في حلبتها صاع من تمر (بخ ح ١) (البيوع) ص ١٢٢
هذا سد للاستغلال أورد المبيع بغير عيب فيه . والأخذ بهذا الحديث
أولى من القياس الذي أخذ به البعض .

(٢٥) ويكثر كلام الناس حول الربا . ويتسامون عن صورة بيع
الذهب بالفضة مثلا مع التفاضل - هل هي من الربا أولا ؟ وهذه أقوال
المقهاء في الربا أوردناها لإتمام الفائدة لهذا الموضوع الخطير .

(١) أجمع العلماء على أنه لا يجوز النسبة في الصنف الواحد بما احتواه
الحديث . فلا يصح قدح بر الآن بقدحين بعد شهر . وكذلك التفاضل
إلا ما نقل عن ابن عباس - فإنه يجوز عنده قدح بر بقدح وثلاث من البر
حالا . وخالفه الجمهور . والأصناف التي تعرض لها الحديث أنه لا يجوز فيها
التفاضل هي : الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح .

وقد جاء في رواية الحديث (ويعوا الذهب بالورق كيف شتمت يدأ بيد)
فتضمن الحديث منع التفاضل في الصنف الواحد . ومنع النساء في الصنفين
وإباحة التفاضل . فيجوز قدح من البر بقدحين من الشعير حالا .

وقال أهل الظاهر إنما يمتنع التفاضل في صنف صنف من هذه الأصناف
الستة فقط . والنساء ممتنع في هذه الستة فقط اتفقت الأصناف أو اختلفت
فلاربا عندهم في قدح من الزبيب نظير قدحين لأن الحديث ليس
فيه زيب .

وقال ابن علية من أهل الظاهر : إذا اختلف الصنفان جاز التفاضل
والنسبة ماعدا الذهب والفضة . فيجوز عنده قدح من البر بقدحين من الشعير
حالا أو مؤجلا .

والحديث عند أهل الظاهر خاص أريد به خاص لا يجوز أن يحكم بالربا

في غير الأصناف الستة . أما عند الجمهور فهذا خاص أريد به عام .

واختلفوا في العلة التي من أجلها كان التحريم ، فعند المالكية المدخر المقتات في الأصناف الأربعة . وفي الذهب والفضة كونهما رؤوس الأثمان وقيم المتلفات تلك علة النهي عن التفاضل عندهم .

أما علة النهي عن النساء في الأصناف الأربعة فهي الطعم والإدخار في الأصناف المختلفة . وعليه إذا اختلفت أصنافها جاز التفاضل دون النسب عند المالكية - فلا يجوز قديم بقديم من الشعير حالا ولا يجوز مؤجلا .

وأما الشافعية فعلة منع التفاضل عندهم في هذه الأربعة هو الطعم فقط مع إتفاق في الصنف الواحد . وأما علة النساء فالطعم دون اعتبار الصنف مثل قول مالك .

وأما الحنفية فعلة منع التفاضل عندهم في الستة واحدة وهو الكيل أو الوزن مع إتفاق الصنف . وعلة النساء فيها لإختلاف الصنف ماعدا النحاس والذهب - الإجماع انعقد على أنه يجوز فيها النساء .

ووافق الشافعي مالكا في علة منع التفاضل والنساء في الذهب والفضة - أعني أن كونهما رؤوس الأثمان وقيما للمتلفات هو عندهم علة منع النسب إذا اختلف الصنف . فإذا اتفقا منع التفاضل . فيجوز جنيه ذهب باثنين فضة حالا . ولا يجوز مؤجلا . كما لا يجوز جنيه ذهب بجنيه وربيع حالا أو مؤجلا لاتحاد الصنف .

والذين تصروا الربا على الأصناف الستة فريقان :

.. ٢٣٣ ..

(١) أهل الظاهر الذين أنكروا القياس - أعنى استنباط العلل من الألفاظ .

(ب) من ينكر قياس الشبه وهو إلحاق المسوت بالمنطوق ، أما ابن الماجشون فقد ألحق المسكوت بالمنطوق بقياس العلة وهي المسالية . أى حياة الأموال .

وأما الباقلاني فقد ألحق المسكوت بقياس المعنى، فقياس الزبيب على التمر.

أما مذاهب الأئمة فالعلة مصدر الإشتقاق - الطعم عند الشافعي . والإدخار والإقتيات عند مالك ، والكيل والوزن عند الحنفي . والمهم منع الغبن .

(٢) ما يجوز فيه التفاضل ويمتنع النساء : وعلة منع النساء عند مالك والشافعي في الربويات الطعم . أما غير الربويات مما ليس بمطعم فعلته عند مالك إتحاد الصنف في النسبة مع التفاضل . ولا نسبة عند الشافعي في غير الربويات ، وأما أبو حنيفة فعلة منع النساء عنده هو الكيل في الربويات وفي غير الربويات الصنف الواحد متفاضلاً كان أو غير متفاضل .

(٣) ما يجوز فيه الأمران : التفاضل والنساء

فما لم يكن ربويًا عند الشافعي : وأما عند مالك فما لم يكن ربويًا ولا كان صنفًا واحدًا متماثلًا . أما أبو حنيفة فما لم يكن صنفًا واحدًا بإطلاق . ومالك يعتبر في الصنف المؤثر في التفاضل في الربويات ، وفي النساء في غير الربويات إتفاق المنافع واختلافها ، فإذا اختلفت جعلها صنفين وإن كان الإسم واحدًا ، وأبو حنيفة والشافعي يعتبران الإسم ، وإن كان الشافعي ليس الصنف عنده مؤثرًا إلا في الربويات فقط - أعنى أنه يمنع التفاضل فيه ، وليس هو عنده علة للنساء أصلاً .

٤ - ما يعد صنفا واحدا ومالا يعد :

والقمح والشعير صنفت عند مالك . وصنفان عند حنيفة بن الشافعي .
هذا عرض سريع لأقوال الفقهاء نستسمح القارئ إن وجد فيه شيئا
من الصعوبة . وهذا معنى ماورد من آثار في هذا الموضوع : الذهب بالذهب
ربا إلا هاه وهاه ، وكذا كل موزون ومكيل ، (ويبيعوا الذهب بالفضة ،
والفضة بالذهب كيف شئتم) بخ ١٠ (البيوع) ص ١٣٢ .

(٢٦) وللنوع من التشاحن جاء الحديث : (لا يبيعوا الثمر حتى يبدو
صلاحه ، ولا تبيعوا الثمر بالتمر . ورخص في بيع العرايا (١) بالرطب
أو التمر . ولم يرخص في غيرها) بخ ١٠ (البيوع) ص ١٣٤ .

(٢٧) وتعليل لهذا المنع جاء الحديث : (رأيت إذا منع الله الثمرة
بما يأخذ أحدكم مال أخيه) بخ ط (البيوع) ص ١٣٤ .

(٢٨) ويروى أن رجلا أراد أن يستبدل بكيلين من التمر الرديء كيلا
واحدا من التمر الجيد . فقال له النبي : (بهما بالدرهم ثم ابتع بالدرهم
كلا جيدا) بخ ١٠ (البيوع) ص ١٣٤ .

(٢٩) وكل يبيع فيه غرر فهو ممنى عنه (نهي عن المحاقلة (٢) والمحاضرة (٣) .

(١) العرايا أن يهب الرجل ثمرة نخله ثم يشتريها من الموهوب له بتمر
بشروط مخصوصة . والرخصة فيها عند الأحناف رجوع الواهب عن هبته .
وعند مالك استئناؤها من بيع المزابنة الرطب بالتمر .

(٢) يبيع الزرع في سنبله بالبر .

(٣) يقول المزارعة يعرض ما يخرج من الأرض .

والملاسة (١) والمناذة (٢) والمزابنة (٣) مخ ج ١ (البيوع) ص ١٣٤ .

(٣٠) ومن الناس من يبيع القطن قبل أن يبدو صلاحه وهذا هو المعروف بالسلم - وهو بيع آجل بعاجل . وورد فيه (من أسلف في ثمر فليسلف في وزن معلوم وكيل معلوم إلى أجل معلوم) مخ ح ١ (السلم) ص ١٣٦ .

(٣١) وحرصا على حق الجار أولاه بالشفعة وقال : (الجار أحق بسبقه) مخ ح ١ (الشفعة) ص ١٣٦ .

(٣٢) والإجارة جائزة وهي على المنافع . وتجاوز على قراءة القرآن . والفقهاء الذين منعوها ومنعوا الأجر على التعليم كانوا يلزمون بيت المال بالإفناق على هؤلاء . وورد أن جماعة من الصحابة نزلوا مكانا فقروا والفاطحة على مريض فشفاه الله ، فأعطاهم مالا فجاءوا النبي يسألونه عنه - فقال : (وما يدريك أنها رقية . قد أصبتم . افسموا واضربوا لي معكم سهما) مخ ح ١ (الإجارة) ص ١٣٨ .

ولا يتنافى هذا مع ما ذكر من قبل من أن أهل الجنة لا يسترقون ، لأن القوم لم يكونوا يعرفون أنها رقية .

(٣٣) ولا تجوز الإجارة على عصب الفحل الحديث (أنه نهى عن عصب الفحل) ح ١ (الإجارة) ص ١٣٨ .

(٣٤) ومن كان عليه دين فن حسن اسلامه قضاءه فورا من غير مما دلة (مطل الغنى ظلم . وإذا اتبع أحدكم على ملي فليتبّع) مخ ج ١ (الحوالة) ص ١٣٩ .

(١) الملاسة ما كالت العين مجهولة الصفة .

(٢) للجهل بتعيين أن هذا بذاك كبيع سبرة اطعام بكيلة تمر .

(٣) هي عند مالك بيع مجهول الكمية بمجهولها .

(٣٥) ومعاملة المسلمين يجب أن تكون على أساس من الإيثار (قالت الأنصار: تكفوننا المؤنة ونشرككم في الأجر؟ قالوا: سمعنا وأطعنا) بخ ج ١ (المزارعة) ص ١٤٢ .

(٣٦) وتجوز المزارعة دون اشتراط قدر من الزرع . فتجوز على النصف أو الربع مثلا لما ثبت أن النبي: (عامل أهل خيبر على شطر ما يخرج من الثمار أو الزرع) بخ ج ١ (المزارعة) ص ١٤٢ .

(٣٧) وحض الإسلام على تعمير الأرض واستصلاحها (من أعمر أرضا ليست لأحد فهو أحق) بخ ج ١ (المزارعة) ص ١٤٢ .

(٣٨) أما الذين يزرعون على أن تكون أجرتهم الربع أو قدر معلوم ، فإنه لا يجوز . ولا خلاف بين هذا وبين ما سبق - فالممنوع الإجارة بالربع لا المزارعة بالربع . وفي الحديث: (قال لمن يزرعون بالربع أو بخمسة أوسق - لا تفعلوا . ولكن إزرعوها أو أزرعوها أو أمسكوها) بخ ج ١ (المزارعة) ص ١٤٢ ، ص ١٤٣ .

(٣٩) ومن كان له أرض لا تشرب إلا بمرور الماء من أرض الغير ، فليس للغير حق في منعه لئلا تموت أرضه . ومن كلام عمر: لو لم أجد له ممر سوى بطنك لأمرهته عليه والناس شركاء في الماء (لا تمنعوا فضل الماء لتمنعوا فضل الكيل) (١) .

(٤٠) ولقد أشار إلى وعيد شديد للذين يمنعون فضل الماء (والذي نفسى بيده لأذودن رجالا عن الحوض كما تذاذ الغريبة من الإبل عن الحوض) بخ ج ١ (الشرب) ص ١٤٤ .

(١) بخ ج ١ (الشرب) ص ١٤٤ .

(٤١) وللإمام أن يؤمم أرضا تقام عليها مصلحة عامة لأنه قائم بالأمر والإشراف على مصالح الناس (لاحقاً لإلا لله ولرسوله) (١) .

(٤٢) وقد يختلف الناس في نخل يباع لمن تكون ثمره إن بيع وعليه ثمر . وهذا تحضاه الرسول صلى الله عليه وسلم (من ابتاع نخلا بعد أن تؤبر فثمرته للبائع إلا أن يشترط المبتاع . ومن ابتاع عبدا وله مال فإله للذي باعه إلا أن يشترط المبتاع) (٢) .

(٤٣) وقد حرم الإسلام الغصب - وهو أخذ الشيء علانية (من ظلم من الأرض شيئا طوقه الله من سبع أرضين) بخ ج ١ (المظالم) ص ١٢٨ .

(٤٤) وقرر الإسلام حق الضيافة مراعاة للغريب وتقديرا لإنسانيته (إذا نزلتم بقوم فأمرلكم بما ينبغى للضيف فأقبلوا . وإن لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف) بخ ج ١ (المظالم) ص ١٤٩ .

(٤٥) وأقر الإسلام الطريق العامة التي يمر منها الناس ولا تخضع للملكية أحد . وسعة الطريق أو تضييقها تخضع للظروف . وهذا حكمه : (قضى إذا تشاجروا في الطريق الميتاء بسبعة أذرع) (٢) .

(٤٦) وإذا كان المرهون فرسا جاز إستغلاله نظير الإنفاق عليه إن كان مرهونا (الفرس يركب بنفقته إذا كان مرهونا . وابن الضرع يشرب لنفقته إذا كان مرهونا فعلى الذى يركب ويشرب النفقة) بخ ج ١ (الرهن) ص ١٥٠ ، ١٥١ وهذا مامعناه .

(١) بخ ج ١ (الشرب) ص ١٤٤ .

(٢) بخ ج ١ (الشرب) ص ١٤٥ .

(٣) بخ ج ١ (المظالم) ص ١٤٩ .

٤٧

(٤٧) والعمرى جائزة وهي جعل غلة الدار لشخص معين (فضى بالعمرى لمن وهبت له) بخ > ١ (الهبة) ص ١٥٥

(٤٨) والوقف الخيري من أعظم القربات إلى الله ، ويجب ألا يمس .
وفي الحديث : (تصدق بأصله لا يباع ولا يوهب ولا يورث ، ولكن ينفق
ثمره) بخ > ٢ (لوصايا) ص ١٣

الموضوع الثامن والعشرون

اجتماعيات

(١) لقد اهتم الإسلام بالمجتمع ككل كما اهتم بالأفراد . للمجتمع وتقاليدته أثر كبير في نفوس الأفراد . ومن أجل هذا لم يغفل أثر البيئة في تقديره للأمر . ولم يجرّد الفرد من المسؤولية عن المجتمع الذي يعيش فيه — فأقام رقابة شعبية من المخلصين الأكفاء القادرين ليشرفوا على سير المجتمع ومداد استمسكوا بالفضيلة . تلك الرقابة سواء كانت الحسبة عن طريق الإمام كتكليف رجال يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، أم هي الواجب الكفائي أو العيني على كل فرد أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وبقدر توفيق تلك الرقابة الشعبية يستقيم سير المجتمع . وبقدر إخفاقها وتهاونها يتخلف المجتمع عن الفضائل وانتشر فيه عوامل التهلكة التي تصيب الأمم في آخر عهدها بالحياة . وقد دعانا الإسلام إلى القيام بهذا الواجب وحثنا من التقصير فيه (إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقي الرجل فيقول يا هذا أتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وجليسه . فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال : لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . ثم قال : كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق وإطرا ولتقصرنه على الحق قصراً ، أو ليضربن الله بقلوب بعضهم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم) .

(٢) والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كلاهما فرض عين . وقيل فرض كفاية — والأول أظهر . ومن شروطهما الكفاءة وتجوز فائدة

سنة ٢٠١٥

والحكمة - وقد دعا إليهما الكتاب والسنة في غير موضع (والذي نفسى
بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث
عليكم عقاباً سنة ثم تدعونه فلا يستجاب لكم) ،

(٣) وإذا عجز الإنسان عنهما فلا أقل من أن يستشكر المنكر بقلبه
ويأمر بالمعروف من يرجو منه الهداية (لأنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون
فنكره فقد بزيء ، ومن انكر فقد سلم ، ولكن من رضى وتابع . وقالوا:
ألا فقاتلهم؟ قال : لا ما أقاموا فيكم الصلاة) .

(٤) وحرصاً على كرامة المجتمع ، فقد عمل الإسلام على تأمين أبنائه
في كل حركاتهم ، وبسر لهم طريقاً ينجون فيها من تجسس يرصد حركاتهم
ويتتبع عوراتهم وإذا كان الجلوس في الطرقات أمراً لا بد منه فإن على
الجالس حقوقاً هو مسئول (إياكم والجلوس في الطرقات . قالوا : مالنا من
مجالسنا بد نتحدث فيها . قال : فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه .
قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال : غض البصر وكف الأذى
ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) خ - ١ (المظالم)
ص ١٤٩

(٥) والظواهر الإجتماعية ومشكلات المجتمع منها انخفاض مستوى
المعيشة وتفكك الروابط الأسرية وعدم استقرار القيم والمعايير .

وهذه الثلاثة أسباب لمشاكل عديدة - ومن الخطأ اغفال السبب
وعلاج النتيجة والسبب باق .

وعلم الاجتماع زودنا بالمنهج العلمى الذى يحدد المشكلة وعناصرها
وأسابها والجانب الوقائى منها والعلاجى لها .

وكل هذا لم يخرج عن تعاليم الإسلام - ولذلك نجد وصاياہ تجيہ
بعد أن تدعمت المبادئ وتمركزت القيم وصحت الأوضاع . فالمظلوم

يطلب الانتقام لنفسه ولو كان ذلك على حساب غيره .

لأيصح أن نناه عن الحقد حتى يرفع الظلم عنه . وهكذا البحث عن الأسباب قبل تقديم النصائح . وهذه وصية قالها النبي في المجتمع الإسلامي بعد أن انتشر فيه العدل : (لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تتاجشوا ولا تداروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا . المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يظلمه ولا يظلمه ولا يظلمه - التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات . بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) .

(٦) والتعاون في حل المشكلات من مبادئ الاسلام . وللمتعاونين جزاء ضمنه الله لهم (من ففت عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نعمت الله عنه كربة من كرب يوم القيامة . ومن يسر على مصسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة . ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه . ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله به طريقا إلى الجنة . وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكروهم الله فيمن عنده . ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه) .

(٧) ويجب أن يكون المرء يقظا قوى الملاحظة . إن نقد غيره فعليه أن يبدأ بنفسه (لم تضحكوا مما تفتلون) غ ٣٣٠ (تفسير القرآن) ص ١١٤

(٨) والمجتمع الناضج هو الذي يظهر فيه التعاطف . فإن اختفى التعاطف من مجتمع فقد سادته الأنانية وزادت مشاكاه . والأغنياء أول من يسألون (شر الطعام طعام الولية يمنعها من يأتيها ويدعى إليها من يأبأها ، ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله) .

(٩) ومن قواعد الإسلام أن من سن سنة حسنة في المجتمع فله أجرها ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها . وهذا المبدأ ليرغب (١٦٣ - السنة نظرات)

الفضلاء ويرهب التعساء (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً) .

(١٠) وقد يجر الترف المجتمعات إلى التنفيس عن نفسها بارتكاب ما كان محظورا عليهم قبل أن ينهيمهم الله من فضله . ومن هنا كانت مغبة الترف لا تقل خطورة عن ويلات الفقر ، مالم يتدارك الله المجتمعات بحب القيم (لأن ما أخاف عليكم من بعدى ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها) خ > ١ (الزكاة) ص ١٠١

(١١) وللحصانة من هذا الإنزالق ، أرشد الأفراد إلى عرفان نعمة الله ، ورسم لذلك طريقا (انظروا إلى من هو أسفل منكم ؛ ولا تنظروا إلى من هو فوقكم - فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم) خ > ٢ (الاستئذان) ص ١٤٥

(١٢) ولكي لا تعصف بالإنسان موجات الترف وحب الحياة ، يذكر الفرد بالفرق بين ما يتمناه وبين ما يحصل عليه (أتيت النبي وهو يقرأ ألهاكم الشكائر . قال : يقول ابن آدم مالى مالى - وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت) .

(١٣) ويمكن التوفيق بين حب المال ومطالب الدين ، ولكن لا يمكن التوفيق بين حرص على المال وسلامة الفطرة . كما لا يمكن الجمع بين الأناية والإيثار - فالوجهة في كليهما متغايرة (ما ذئبان جائعان أرسلا في غم بأفسد لما من حرص المرء على المال والشرف لدينه) .

(١٤) والعناية بالفرد مهمة كالعناية بالمجتمع . وتختلف النظريات بأيهما يبدأ التنظيم الجماعى . والحق أن التدرج من الفرد أمر طبيعى ، فهو لبنة المجتمع . فإن كانت صلابة قوية - كان البناء متماسكا ، وإلا كان بناء فائما على الهواء والفراغ - يحسبه الناظر شيئا وما هو بشئ . ومن ثم كانت التوجيهات

في أغلبها تتجه إلى كل فرد على حدة - فهو أعرف بمسئوليته ، خصوصا فيما استودعه الله من مال (قد أفلح من أسلم ، ووزق كفافا، وقبعه الله بما آتاه).

(١٥) ولا مانع لدى الإسلام من أن يتقبل المسلم كل مال حلال - فهو عصب الحياة . ولكن يرشده إلى ما يجب أن يكون عليه موقف المسلم من المال (إن هذا المال خضر حلو ، من أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه - وكان كالذي يأكل ولا يشبع)
خ ١٥ (الزكاة) ص ١٠٢

(١٦) وقد انتشرت في المجتمع الإسلامي أفكار نسبت إلى الدين وهي بعيدة عنه ، فأساءت إلى المسلمين أكثر مما لو نبذوها . من هذه الأفكار ترويح المسألة والعطاء لكل من سأل . واستغلت العاطفة الدينية كما استغل ما في المسلمين من حب للخير ورغبة في الإحسان ، وإذا كان هؤلاء المؤمنون يبدلون راغبين في الخير ، وإن وقع في غير موضعه - فإن السائلين هم الذين يتحملون أوزار الرزيلة المنتشرة في مجتمعنا الإسلامي (لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلتقي الله وليس في وجهه مزعة لحم) خ ١٥ (الزكاة) ص ١٠٢

(١٧) وإذا كانت المسألة من غير حاجة تريق ماء الوجه في الدنيا ، وتسخط الله - فإنها أحيانا تكون لامفر منها - فمن صاحبها الذي يستحق وتباح له المسألة ؟ (إن المسألة كد يكذبها الرجل وجهه ، إلا أن يسأل الرجل سلطانا أو في أمر لا بد منه) .

(١٨) والحاجة التي تجيز لابن آدم أن يسأل الناس إن هو لم يجدها - هي ما يحتاج إليه لمعيشته وحياته (ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخصال: بيت يسكنه ، وثوب يورثه عورته ، وجلف الخبز ، والماء) .

وليس معنى هذا أن يعيش المرء على ما ذكر . كلا : فرفع المستوى المعيشي للأفراد تتنافس فيه الأمم . وإنما معناه إذا لم يجد هذا ، سأل الناس

وإن وجد لمسكن والطعام والكساء والشراب ، فليس من حقه أن يسأل الناس .

(١٩) وكلما بقع المحتاج ، كان أحق بمطاف المجتمع ، وأجدر بالرعاية (ليس المسكين الذي يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمان ، والتمررة والتمران . ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يفنيه . ولا يفطن له فيتصدق عليه ، ولا يقوم فيسأل الناس) بخ ١ (الزكاة) ص ١٠٢ ، ١٠٣

(٢٠) وقد يكون السائل أغنى من المسئول . ومع ذلك يمد يده في زلة . وهو بهذا العمل يأكل سمنا ويعيش على جمر من جهنم ، يستجمعه في لقيات يحصل عليها (إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة : رجل تحمل سمالة فأحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمك ، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سدادا من عيش ، ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوى الحجى من قومه لقد أصابت فلانا فاقه فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سدادا من عيش - فما سواهن من المسألة يانبيصة سمحت يأكل صاحبها سمنا) .

(٢١) وأقل الأعمال كسبا وإن تكلف جهدا ، فهو أفضل بكثير من مال يجيء عن طريق المسألة ولو بجهد قليل . وثمان بين عيش من كدك وعيش من كد غيرك (لأن يحتطب أحدهم حزمة على ظهره ، غير له من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه) بخ ١ (الزكاة) ص ١٠٢

(٢٢) ولمكى يسود المجتمع حب الخير ، فلا مانع من أن ينظر الفرد إلى من فوقه من أهل الخير - ليكون خيرا مثلهم ، وهذا مزيد من تقديره لنعمة الله : (لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحيق ، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها) بخ ١ (العلم) ص ١٦

(٢٣) وكل عطاء يعطيه الإنسان من أجل المساهمة في رفع مستوى الجماعة

التي يعيش بينها - كل عطاء من أجل هذا لا يتحص من المبتلى شيئا (ما تقتصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بنحو الإعزا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عز وجل) .

(٢٤) ولقد فرض الله على القادرين أن يتعاونوا مع الضعفاء بأى شكل من أشكال التعاون . وإذا ساد الشعور الاليني ، فلن يسمح أحد لنفسه بفضل يستمتع به وذيره في حاجة إليه (من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له . فذكر من أصناف المال ما ذكر ، حتى رأينا أنه لاحق لأحد منا في فضل) .

(٢٥) ونخير المجتمعات تماسكا ، هم الذين يسودهم شعور هذا التراحم (إن الأشعريين إذا أرماوا في النزو أرقل طعام عيالهم بالمدينة ، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية ، فهم مني وأنا منهم) مع ح ١ (الشركة) ص ١٤٩ ، ١٥٠

(٢٦) ولقد كانت تقوم مظاهرات في المجتمع الإسلامي ، لاعلى شكل التهريج ، ولكن تقوم هاتفة بالخير ، راجية في الثواب ، لاتطمع في المال من أجل ذات المال ، ولكن تقوم الطوائف المتظاهرة تسأل عن دورها الإجتماعي ، وقد توقفت بها امكانياتها من السير - كما فعل الذين هم أقدر منهم على السير (جاء الفقراء إلى النبي يقرلون : ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعم المقيم . فقال : وماذاك ؟ فقالوا : يصلون كما نصلى ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون ولا تصدق ، ويعتقون ولا نعتق . فقال : أفلا أعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم ، وتسبقون به من بعدكم ، ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة : فرجع نقرأ المهاجرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقالوا : سمع إخواتنا أهل الأموال

بما فعلنا ففعلوا مثلاً ، فقال : ذلك فضل الله يؤتية من يشاء (١) .

(٢٧) هذا التسابق في الخير الذي كان يسود المجتمع الإسلامي ، يقابله مجتمع آخر المسال في يد السفينة . والخرومون من المسال يطلبونه ليسافسوا السفهاء ويشاركوهم كبرياءهم — وما بهذا كانت تعاليم الإسلام ، فهي تحذر من التكبر (بينما رجل يمشى في حلة تدجبه نفسه ، مرجلاً رأسه ، يختال في مشيته — إذ خسف الله به ، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة)
بخ ٢٠ (بدء الخلق) ص ٤٧ .

(٢٨) وكل مجتمع يسوده التسامح فهو أشد تآلفاً . ولقد دعا الإسلام إلى هذا التسامح ، وحمل المعتدى كل التبعات (وإن امرىء شتمك أو عيرك بما يعلم فيك ، فلا تعيره بما تعلم فيه — وإنما وبال ذلك عليه) .

(٢٩) ويجب أن يحتفظ الرجل برجولته ، والأثني بأنوثتها — لا يتجاوز أحدهما مكانه الذي أعد له . ولقد اهتم الإسلام بهذا المبدأ وأولاه عناية — حتى من الناحية المظهرية التي قد لا يعباؤها الإسلام كثيراً (حرم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي ؛ وأحلا لنسائهم) .

(٣٠) ولقد أوصى الإسلام بالأدب الرفيع واحترام الحقوق (لا بقيمن أحدكم رجلاً من مجلسه ثم يجلس فيه ، ولكن توسعوا وتفسحوا) بخ ١٠ (الجمعة) ص ٧١

(٣١) وإذا قام الإنسان من مجلس الحاجة ضرورية — فهو أحق به (إذا قام أحدكم من مجلس ثم رجع إليه ، فهو أحق به) .

(٣٢) إذا عطس فعليه أن يراعى من حوله . وهذا من الأدب الرفيع

والذوق السليم (إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه وخفض أو غض بها
صوته) بخ > ٢ (الأدب) ص ١٤٢

(٣٣) وثبت أنه قال لليهود العاطسين يهديكم الله ويصلح بالكم . وهذا
هو المطلوب من العاطس المسلم أن يرد به على من شتمه . وثبت كذلك
قول النبي (إذا تئاب أحدكم فليمسك بيده على فيه فإن الشيطان يدخل)
بخ > ٢ (بدء الخلق) ص ٣٧

(٣٤) وقد تطأى بعض التقاليد ، فتنسى الإنسان ما هو من فطرته ،
فنزى حلق اللحية ، وترك للشارب ، وتربية الأظافر من السيدات إلى غير
ذلك . وفي الحديث : (الفطرة خمس أو خمس من الفطرة : الختان ،
والإستحداد ، وتقليم الأظافر ، ونتف الإبط ، وقص الشارب) .

أما ختان الأنثى فلا بأس به كما روي أنه قال للقبالة : أخفضي
ولا تنهك .

(٣٥) وعلى المسلم ألا يندفع وراء التقاليد . فتندوب شخصيته
الإسلامية فيها ، ويصبح تابعا - في حين أن من واجبه أن يكون قدوة
صالحة بقوله وعمله . ويروي أنه قال : (فوالله لأن يهدى بك رجلا
واحدا خير لك من حمر النعم) بخ > ٢ (الحور) ص ٢١

(٣٦) وتجب النصيحة على المسلم لأخيه . ولا يصح الخلط بينها وبين
الغيبة . فتلك محرمة شرعا (الغيبة ذكر أخاك بما يكره . قيل : أفرأيت
إن كان في أخى ما أقول ؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته ، وإن لم
يكن فيه ما تقول فقد بهته) .

(٣٧) ومن الناس من يتهاون في كلمة ، ويمسب أن ما يقوله ليس من
الغيبة . وهذا خطأ . وقد سمع النبي من عائشة أنها تقول عن صفية :

لولا أنها قصيرة . فقال لها : (حسبيك من حسبيه كذا وكذا . تعنى قصيره .
فقال : لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته . قالت : وحكيته له
إنسانا . فقال : ما أحب أنى حكيت إنسانا وإن لى كذا وكذا) .

يريد أن ينتبه الإنسان لعيوب نفسه .

(٢٨) ويعمل الإسلام جاهداً على سلامة قلب أبنائه من الحقد والحسد ،
وعلى تقويم ألسنتهم — فلا تنطق إلا حقا (يارسول الله : أى الناس
أفضل ؟ قال : كل مخوم القلب صدوق اللسان . قيل : وما مخوم القلب ؟
قال : هو التقى النقى ، لا لائم فيه ولا بنى ، ولا غل ولا حسد) .

(٢٩) وقد سبق أن العبادات وسائل لنياية — هى تهذيب نفس العبد
وصلته بربه . ولذلك نرى الشارع يفضل عملا على هذه العبادات التى
لم تحقق المرجو منها . أما لو حققته فهى أفضل (ألا أخبركم بأفضل من
درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ قالوا : بلى قال لإصلاح ذات البين ،
فإن فساد ذات البين هو الحائقة — لا أقول تحلق الشعر ولكن
تحلق الدين) .

(٤٠) ويجب أن يكون أفراد المجتمع على صلة تسودها المحبة والألفة
(لا تقاطعوا ولا يعامل المسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث) خ ٢ الأدب
ص ١٤٠ ، ١٤١

(٤١) وثلاثة أيام هى الحد الفاصل بين المهجران والعلة ، لا يحل لعبد
أن يستغنى عن أخيه فوق هذه المدة — وإلا كان آثما (لا يعامل المؤمن أن
يهجر مؤمنا فوق ثلاث ، فإن مرت به ثلاث فليلقه فليسلم عليه — فإن
رد عليه السلام فقد اشتركا فى الأجر ، وإن لم يرد عليه فقد باء بالإثم وخرج
المسلم من المهجر) خ ٢ (الأدب) ص ١٤١

(٤٢) وقد لا يرى الإنسان أخاه أشهرا ، ومع ذلك لا يعد هجرا لأن المهم في العبادة والطهارة أن يمتلئ القلب من الضمائر والأحقاد . ولو أن العبد قام بسبل عادية وخلا من اللقد ، لسكن من أهل الجنة . ويروى في هذا المعنى أن النبي قال : (يطلع عليكم رجل من أهل الجنة ثلاثة أيام متتابعات ، وكان الرجل هو الذي يطلع عليهم في كل يوم - فتبعه ابن عمر ونزل ضيفا عنده ليعرف أعماله التي رشتته للجنة ، فيقلده فيها ابن عمر . فلم يجد ابن عمر لهذا الرجل عملا غير عادي . فسأله وأخبره أنه من أهل الجنة . فقال الرجل لابن عمر (غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشا ، ولا أحسد أحداً على خير أعناه الله إياه) .

(٣) وإذا كان الرجل قد ارتفع بهذا ، فإنه ليس بالأمر السهل . فقد ارتفع فعلا بشيء عظيم صار لإيمانه نقياً من كل ما يشوبه . وفي الحديث : (ولا يجتمع في قلب عبد الإيمان والحسد) .

(٤٤) والإيمان تصديق بالله ورضاً عن قضائه . والحسد تمنى زوال نعمة الغير ، وتقصدي اليقين بالله وعمله . وذن أجل هذا حذرنا منه (إياكم والحسد ، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب) .

(٤٥) وكل جماعة تألفت يهودها البنض - فهي محرومة من الجنة (ثلاثة لا ترفع صلاتهم فوق رؤوسهم شهرا : رجل أم قوما وهم له كارهون . وامرأة بانت وزوجها عليها ساخط وإخوان متصارمان) .

ولعل في قوله لا ترفع صلاتهم - يشير إلى أن الجمع الذي يبنض أفراده بعضا ، لا يرجى من وراء اجتماعهم نفع ، ولا تبنى من جهودهم ثمرة .

(٤٦) والجماعة النافعة هي التي يتواضع أفرادها ويتجنبون البغى -

وهذا مما أوصى به الإسلام (إن الله تعالى أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يغنى أحد على أحد ، ولا يفخر أحد على أحد) .

(٤٧) وكل جماعة لم تكن على الأمر الذى يجب أن يكون ، فإنها تقوم . وكل فساد عودنا الإسلام إلا نياس من عالجة . وهلى الناس أن يتفاءلوا ولا يياسوا (إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم) .

(٤٨) ولا يصح أن يكون الناقد سلبيا ، بل عليه أن يندمج فى مجتمعة ليصلحه . ولأمر ما قرر الإسلام وجوب الصلة بين أفراد المجتمع . وفى الحديث : (فن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار) .

(٤٩) ويجب أن تتجنب المضايقات التى لا تليق . خصوصا بين الأصحاب فى جلساتهم (إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى إثنان دون الثالث) خ ٢ (الأحكام) ص ١٥٧ .

(٥٠) ويعنى الإسلام بحسن مظهر الأفراد . ويروى أن رجلا جاء حالقا نصف شعره - فقال له النبي : (إحلقوه كله ، أو أتركوه كله) .

(٥١) ومن النساء من يفعلن برؤوسهن ما ينكره الإسلام (لعن رسول الله الواصلة (١) ، والمستوصلة (٢) ، والواشمة (٣) ، والمستوشمة (٤)) .

(٥٢) كما روى . (لعن الله الواشمت ، والمستوشمت ، والمتنمصات (٥))

(١) التى تصل شعرها .

(٢) التى يفعل بها وصل الشعر .

(٣) الواشمة هى التى تجرح نفسها عند المصيبة .

(٤) التى تطلب من غيرها أن تغزها .

(٥) التى تأخذ من شعرها حاجب غيرها وترققه لبصير حسنا .

أو تطلب من غيرها ذلك .

والمتفلجات (١) للحسن المغيرات خلق الله .

(٥٣) وكل مجتمع تحترم فيه أفراده ، وتقدر فيه القيم — فإنه يرجى منه كل خير . أما المجتمع الذى لا نظم فيه يستعمل ما حرم الله فهو مجتمع متخلف — لا يرجى منه خير . وقد حارب الإسلام كل رذيلة .

وهذه بعض الرذائل التى كانت شائعة ونهى عنها (نهى عن ثمن الكلب ، ومهر البغى ، وحلوان الكاهن) بخ = ١ (البيوع) ص ١٢٦

(٥٤) والمرأة جزء من المجتمع لها قيمتها ، خو طبت كما يخاطب الرجل ، وكلفت بما كلف به حسب إقدرتها ، ووضع في الموضوع اللائق بها من غير مغالاة أو ظلم (يامعشر النساء تصدقن وأكثرن من الإستخفاف ، فإنى رأيتكن أكثر أهل النار . قالت امرأة منهن : مالنا أكثر أهل النار؟ قال : تكثرن اللعن وتكفرن العشير . مارأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذى لب منكن . قالت : مانقصان العقل والدين؟ قال : شهادة امرأتين بشهادة رجل ، وتمسكت الأيام لا تصلى) بخ = ١ (الحيض) ص ٣٢

وتلك طبيعة المرأة لا ينكرها منصف . والشارع لم يطعن في ذمتها ، ولم يتهمها في دينها . لكن لأمر خارج عنها منعت من القيام ببعض أركان الدين في بعض الأوقات فنقصت عن الرجل من أجل هذا . ولما فيها من عاطفة أو ذاكرة ضعيفة أضيفت إلى شهادة المرأة شهادة امرأة أخرى ، أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى .

(٥٥) وعلى كل فرد ضريبة لمجتمعه ، كبرت أو صغرت . والذى لا يؤديها مطالب باتخاذ ما شاء من الوسائل حتى يقدر على آدائها ، ولكى

(١) التى تبرد من أسنانها ليتباعد بعضها عن بعض قليلا من غير حاجة إليه .

لا يكون كلا على نية منه رجعياً تميلاً عليه (تبسّمك في وجه أخيك صدقة .
وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة ، وإرشادك الرجل في أرض
الضلال لك صدقة ، وإماضتك الأذى والشوك والعنقم عن الطريق لك
صدقة ، وإفرائك من دارك في دلو أخيك لك صدقة ، وبصرك للرجل
الردى البصر لك صدقة) .

(٥٦) ولقد أوصى بأمر ميسور، ولكن هو في نتائجه نشر السلام والمحبة
بين الناس أجمعين (والله لا يؤمن، ثلاثاً . قيل من يارسول الله ؟ قال : الذي
لا يأمن بجاره بوائقه) (بخ ٢ الأدب ص ١٤٠)

(٥٧) وقد ربط الشارع بين الإيمان والحياء - التديب على أن
مشاعر الناس المستقيمة لما صلة وثيقة بإرضاء الله سبحانه (الحياء والإيمان
قرناء جميعاً ، فإذا رنح أحدهما رنح الآخر) .

(٥٨) ومن أجل هذا كان الإنسان مغالباً بالقول الحسن أو الصمت
(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت) .

(٥٩) ومروءة الأفراد تتضح في أخلاقهم (والخلق الحسن يذيب
الخطايا كما يذيب المساء الجليد . والخلق السوء يفسد العمل كما يفسد
الخل العسل) .

(٦٠) وبعض المجتمعات تسودها الرذائل ، وتختفى منها الفضائل .
وتلك المجتمعات ليست من الإسلام وإن تسمت به (إن الفحش والتفحش
ليس من الإسلام في شيء) .

(٦١) وقد يدرك الإنسان بحسن خلقه، درجة عظيمة (إن المسلم
المسدد ليدرك درجة الصوام القوام بآيات الله ، بحسن خلقه وكرم
طبيعته) .

(١٢) والنظافة من الإيمان . والزمام تواعد الصحة من وصاياه ،
ومراعاة المظهر الحسن من جمال الإسلام (من بات وفي يده ريح غمر
فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه) (من كان له شمر فليسكره) (إن لي جمعة
أغلا أرجلها) قال : نسم وأكرمها) .

(٦٣) ودخل رجل عليه وهو نأثر الرأس فأمره أن يصلح شعره . فلما
دخل عليه بحالة حسنة . قال : (أليس هذا خيراً من أن يأتي أحدكم نأثر
الرأس كأنه شيطان) .

(٦٤) ودخل آخر فقال له : (أما كان هذا يهد ما يغسل به ثوبه) .

(٦٥) والخمى من الناس يتساءلون عن جواز التداوى ، والتداوى
واجب ، والبحث عنه فريضة (ما أنزل الله من داء إلا أنزل له دواء) (١)
(إن الله أنزل الداء والدواء . وجعل لكل داء دواء - فتداؤوا ولا تداؤوا
بمهرام) .

(٦٦) ومن لم يرج حتى يجتمع فهو متبوء منه (من أذى المسلمين
في طرفهم ، وجبت عليه لعنتهم) .

(٦٧) وقد حذرنا من أن يعرض المريض غيره للعدوى منه (لا يريدن
مرض على مصحح) يخ ٢ (الطب) ص ١٣٦ .

(٦٨) ومظاهر الأفراد هو طبيعة المجتمع . ومظاهر المجتمع الإسلامي
أن يسوده الحياء (إن لكل دين خلقا ، وخلق الإسلام الحياء) .

(٦٩) وكان الحياء خلق الإسلام ، لأن فيه الخير كله . والذي نزل
بالأمم كان ندية حتمية لأنهم خرجوا على مبدأ الحياء . وفي الحديث :

(١) يخ ٢ (الطب) ص ١٣٤

(إن الله عز وجل إذا أراد أن يهلك عبدا نزع منه الحياء . فإذا نزع منه الحياء ، لم تلقه إلا مقيتا بمقتا . فإذا لم تلقه إلا مقيتا بمقتا نزع من الأمانة . فإذا نزع من الأمانة لم تلقه إلا خائنا مخونا فإذا لم تلقه إلا خائنا مخونا فإذا نزع من الرحمة لم تلقه إلا رجيا ملعنا . فإذا لم تلقه إلا رجيا ملعنا نزع من ربة الإسلام) .

(٧٠) وهكذا نراه يتسلل منطقيا بالذين يتمتعون بالحياء إلى الجنة (الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة . والبذاء من الجفاء في النار) ص ١٠ (الإيمان) ص ١٠ بالمعنى .

(٧١) ومن الناس من يرزق نعومة في الحديث مع خبث في النية . فيجذب قلوب الناس إليه بالباطل وهؤلاء لهم وعيد شديد من الله (من تعلم صرف الكلام ليستبى به قلوب الرجال ، لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا) .

(٧٢) (إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة) .

(٧٣) ويجب أن يشعر المجتمع الإسلامي بشعور واحد (مثل المسلمين في توادهم وتعاطفهم وتراحيمهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى) ص ٢٠ الأدب ص ١٣٩

(٧٤) ويجب أن يكون للفرد جهد ملحوظ وعمل إيجابي في مجتمعه ، وأن يكون رائده الإخلاص والنصيحة ، وشعوره بأن مصلحة الجماعة هي مصلحته (ثلاث لا يفلوا عليهم قلب امرئ مسلم : إخلاص العمل لله ، والمناصحة لأئمة المسلمين ، ولزوم جماعتهم — فإن دعاءهم يحيط من ورائهم) .

(٧٥) وينهى الإسلام عن تكوين جماعة داخل الجماعة ، تختلف عنهم

فى مبادئها — مالم تنحرف الجماعة الكبرى عن الحق (الشيطان بهم بالواحد
والإثنين ، فإذا كانوا ثلاثة لم بهم بهم) .

(٧٦) وإذا شعر الإنسان بالحب للغير ، فلينبهه بذلك الحب ،
والمفروض أن يكون الحب لله (إذا أحب أحدكم أخاه فلينبهه أنه
يحبه) .

(٧٧) ويجب فى الإيحاء التعرف الكامل (إذا آخى الرجل الرجل
فليسأله عن إسمه وإسم أبيه ، ومن هو — فإنه أوصل للمودة) .

(٧٨) وكل سينعطف إلى قرينه (الأرواح جنود مجندة ، ما تعارف منها
اتلف ، وما تناكر منها اختلف) .

(٧٩) وأولى الناس بالصلة هم أصحاب الحاجات ، مع استحباب تبادل
الزيارات (من عاد مريضاً أو زار أخاه فى الله ناداه مناد : أن طبت
وطاب ممشاك وتبوات من الجنة منزلاً) .

(٨٠) كما يسن تبادل الهدايا وخصوصاً عند المناسبات (تهادوا فإن
الهدية تذهب وحر الصدر) .

(٨١) ويجب اختيار الصديق الصالح (لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل
طعامك إلا تقي) .

(٨٢) ويجب ألا يتكاسل المرء ، وعامه أن يكون دائماً النشاط ، دائب
العمل (سدوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشبأ من الدجاة (١) ، والقصد
تبلغوا) يخ ح ٣ (الاستئذان) ص ١٤٤

(٨٣) وبقاء المجتمع أو فناؤه ، يرجع إلى ما ينشر فيه من روح

(١) التشمير من أجل الإقبال على الطاعة ،

ديمقراطية أو دكتاتورية (إذا رأى الناس المنكر فلم يغيروه ، أو شك أن
يعمهم الله بعقاب) .

(٨٤) ويجب أن يكون ساوك المرء في المجتمع ملائما له ، متجنبيا عشرات
المنحرفين ، مبتغيا رضوان ربه (ثلاث من كن فيه استوجب الثواب
واستكمل الإيمان : خلقت يعيش به في الناس ، وورع يجهزه عن محارم الله ،
وحلم يرد به جهل الجاهل) .

(٨٥) وبذلك الخصال يجمع الغنى ، والنور بالجنة واكتساب رضى
الناس (لائق المحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى
الناس ، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا ، وأحب للناس ما تيب لنفسك
تكن مسلما . ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب) .

(٨٦) وكلما أسعد الإنسان غيره ، وقدم للمحتاج عونا - كان أحسن إلى
الناس برضوان الله ، وأكثرهم حظا من الخير (إن لله خلقا خلقهم لحوائح
الناس ، يفرع الناس إليهم في حوائجهم - أولئك الآمنون من
عذاب الله) .

(٨٧) وعلى المرأة أن تشترك في بناء المجتمع بجهودها فيما يناسبها .
لا تمنع من دخول مسجدهم لحضور مؤتمر عام ، إلا لعذر كما روى أنه قال
للخائض (أنتست ؟ قلت : نعم . قال : إن هذا أمر كتبه الله تعالى على
بنات آدم ، فاتض ما يقضى الحاج ، غير ألا تغلوا في البيت) (١) ويروى :
تخرج العواتق وذوات الخدور والحيض ، وليشهدن - لغير ودعوة المؤمنين .
ويتزل الحيض المصلى) (٢) ويروى : (كن لائعا الصفرة والسكفرة شيئا)
بخ ١ (الحيض) ص ٣٣

(١) بخ ١ (الحيض) ص ٣١

(٢) بخ ١ (الحيض) ص ٣٣

(٨٨) وكل فرد مسؤول عما يؤذي المجتمع، أو يعرضه للأذى في الطريق العام (بينما رجل يمشى بطريق، وجد غصن شوك على الطريق، فأخذه فشكر الله له - فغفر له) خ > ١ (الأذان) ص ٥٧

(٧٩) ويجب على المجتمع أن يبذل قصارى جهده لرفع مستواه الاقتصادي (إتسوا الرزق في خبايا الأرض) وأن يحسن استغلال كل ما يقع تحت يده (بين رجل يركب بقرة إذ قالت: إنى لم أخلق لهذا) خ > ١ (المزارعة) ص ١٤٢

(٩٠) ويجب على الفرد أن ينظر لمصلحة غيره، فيدخر لنفسه إن عم الرخاء. ولا يحل له أن يستبقي لنفسه شيئاً في وقت الشدة وفي الحديث: (من ضحى منكم فلا يصبح بعد ثلاثة وفي بيته منه شيء. فلما كان العام المقبل قالوا: نفعنا كما فعلنا العام الماضي؟ قال: كلوا وأطعموا وادخروا، فإن ذلك العام كان بالناس جهد فأردت أن تعينوا فيها) خ > ٢ (الأضاحي) ص ١٣١

(٩١) وكلها سادات الديمقراطية انتشر العدل، وكلها كانت الديكتاتورية كان الظلم. ولما أقام النبي مجتمعا ديمقراطياً تعاونياً خلافاً للحضارة بناء للقيم، أعلن فيه قائله (لا تحسسوا ولا تجسسوا، ولا تناجشوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا ولا تباروا، وكونوا عباد الله إخواناً).

(٩٢) ويعترف الإسلام بما للإسلام بما للأسلوب الشعري من تأثير، وما للبيان من صدى في القلوب (إن من الشعر حكمة، وإن بعض البيان سحر) خ > ٢ (الأدب) ص ١٤١

(٩٣) والشعر المذموم هو الشعر الخليع، الذي يتحدث عن الباطل (لأن يمتلأ جوف أحدكم قبيحا خير له من أن يمتلأ شعراً) (١).

(١) خ > ٢ (الأدب) ص ١٤٢

(١٧م - الستة نظرات)

(٩٤) ويدرك المؤمن بنيته الحسنة ما يعجز عن تحقيقه بعمله .
وفي الحديث : (نية المؤمن خير من عمله) .

(٩٥) ويجب أن تكون غاية المؤمن إرضاء ربه (إذا أملتكم فتاجروا
الله بالصدقة) .

(٩٦) وحسن الهيئة من صميم الإسلام (ما لكم تدخلون على قلوبنا ،
استأقوا) .

(٩٧) وحياة المؤمن المديدة كلها خير له ولغيره (لا يزيد المؤمن عمره
إلا خيرا) (وإن من السعادة أن يطول عمر العبد ، ويرزقه الله عز وجل
الإناثة) .

الموضوع التاسع والعشرون

(مبادئ)

(١) لكل صاحب دعوة مبادئ يسير عليها ويسعى لتحقيقها . وحياة النبي كلها تقتبس منها المبادئ ، وتعاليمه وتوجيهاته ركائز الخير في كل مجتمع . ولما كنا نخبرنا اسم مبادئ هذه العموميات من التوجيهات النبوية حتى يتضح لدارس السنة كيف كان النبي يوجه الناس ويدعوهم إلى الله ، ومعلوم أنه جاء على لسانه ذكر الجنة والنار - كجزء حتمي على كل عمل في الدنيا .

ولا يملك محمد أن يدخل في الجنة أو يخرج من النار أحد . فالجنة والنار لله ، يرحم بالجنة أو يعذب بالنار ، ولم يخترهما محمد صلى الله عليه وسلم للإغراء من أجل مصلحته ، ولا للتخدير من أجل أن يستغل غيره . كلا . إنهما حقيقتان ملموستان له . رأهما ثم تحدث عنهما - فمن ياترى ذلك الإنسان الناجي من عذاب النار ؟ . أهو الذي دفع لمحمد مالا ؟ أم هو الذي مكنته من تحقيق حلم ؟ كلا ثم كلا ! إن للناجي هو من خاف ربه وقلد محمدا في خوفه من ربه .

والناجي كذلك من غير قدميه في سبيل الخير ونفع الناس (لا يبلغ النار رجل بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن في الضرع ، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم) .

(٢) والحقيقة الكبرى عند صاحب السنة فهم الأمور كما هي ، لا تنسيه العواطف شيئا ، ولا يصرفه الأمل عن صرف همته عن التأفقه لتحقيقه ، وكم افتتن الناس بالدنيا . أما هو وهو فيها نبي ورسول ، وحاكم موفق ، وسلطان يأمر وينهى - فلم يخدع بها (ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم ، فلينظر بم يرجع) .

١٠٠ -

(٣) وبر الناس أمر مقرر ، وإيذاء الناس منهي عنه ، وقد يختلف البعض في البر والإثم - فقد يعد الظالم أعماله برا ، ولرفع هذا اللبس جاء الحديث (البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك في نفسك ، وكرهت أن يطلع عليه الناس) .

(٤) والتواضع من الإيمان - ففيه اقتراب من ضعاف الخلق ، واعتراف بقدر العبد ، والكبرياء لله وحده (لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر ثوبه بطرا) خ ج ٢ (فضائل الصحابة) ص ٥٦ .

(٥) والإنسان كائن مسئول ، عبر عن دقة المسؤولية بالميزان الذي يخفف ويثقل ، وعلى المسئول أن يجمع من الخير ما يرجع به ميزانه . وهذا ما يرجح الموازين عنده (ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق ، وإن الله يبغض الفاحش البذي) .

(٦) وسئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ، وعن أكثر ما يدخل الناس النار ، فقال عن أكثر ما يدخل الناس الجنة : (تقوى الله وحسن الخلق) وعن أكثر ما يدخل الناس النار قال : (الفرج والفم) .

(٧) وإذا كانت الجنة يبشر بها بعض الخلق على لسانه ، فإن ذلك بأمر الخالق ، ولقد أوحى إليه أن دار السلام لا يدخلها إلا من إتزموا بطاعة ربهم ونبيه ، ومن حقه حينئذ أن يبشرهم (أنازعيم بييت في ربض الجنة لمن ترك المراء ، وإن كان محقا ، وبييت في وسط الجنة لمن ترك الكذب ، وإن كان مازحا ، وبييت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه) .

(٨) ونلاحظ أن أعلى الجنة للذي حقق الغاية من بعثته صلى الله عليه وسلم وهي مكارم الأخلاق (إن المؤمن ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم) .

(٩) والذين يجرمون على النار ، هم أولئك الرحماء (ألا أخبركم بمن

يُحرم على النار ، أو بمن تحرم عليه النار ؟ قالوا : بلى . قال : كل قريب هين
لين سهل .

(١٠) والإسلام كله مبادئ ، ولكن أى الإسلام خير ؟ قال : (تطعم
الطعام ، وتقرأ السلام على من تعرف ومن لم تعرف) (١) .

(١١) وإذا لاحظنا ما للسلام من قيمة ، علمنا إلى أى مدى ينبغي الإسلام
السلام ، وينشر الأمن والطمأنينة ، ويوجب على من بدىء بالخير أن يكون
رده خيرا منه (لما خلق الله آدم صلى الله عليه وسلم قال : اذهب فسلم على
نفر من الملائكة جلوس ، فاستمع ما يحيونك فإنها تحميتك وتحمية ذريتك .
فقال : السلام عليكم . فقالوا : السلام عليكم ورحمة الله - فزادوه ورحمة الله)
خ ج ٢ (بدء الخلق) ص ٣٧ ، ٣٨ .

(١٢) وعلم المسلم أن يعرف نعمة الله عليه (كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه
بالحمد لله فهو أقطع) .

(١٣) وعلى المسلم أن يدافع عن أخيه ، ولا ينتظر منه جزاء (من رد
عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة) .

(١٤) وعلى الإنسان أن يتحمل وأن يصبر على معاشرته الناس ، ويروى
أن رجلا استأذن على النبي فقال (بئس أخو العشيرة ، إنذروا له) .

(١٥) ولم يخص أحدا بشيء كما يدعى البعض - أنه أولى على بن أبي طالب
بشء من العلم ، فجاء على كرم الله وجهه يكذب هذا وينشر ما كان فى صحيفته
على المألا (المدينة حرام ما بين غير إلى ثور ، فمن أحدث فيها حدثا أو آوى
محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة

صرفا ولا عدلا ، ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم - فمن أخضر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا ، ومن ادعى إلى غير أبيه أو إلى منى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا (خ ج ١ (فضائل المدينة) ص ١١٩ .

(١٦) ومن المقرر في الإسلام أن العمل إن كان لغير الله فيه ذرة منه فهو باطل ، مهما كان العمل جديلا ، وهذا مجاهد من الصحابة يسأل (لأنى أوقف الموقف أريد وجه الله وأريد أن يرى موطنى؟ فنزل : فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) خ ج ١ (العلم) ص ٢١ بالمعنى .

(١٧) ويعمل الإسلام جاهدا على تكوين الشخصية واستقلالها (لا يكن أحدكم إمعة ، يقول أنا مع الناس ؛ إن أحسن الناس أحسنت ، وإن أساءوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساءوا أن تجتنبوا أساءتهم) .

(١٨) ويبحث على فعل الخير ، وأن عليه جزاء في الدنيا وفي الآخرة ، وتقدر الإخلاص فيه - يحظى العبد برضى ربه (صنائع المعروف تقي مصارع السوء ، وصدقة السر تطفئ غضب الرب) .

(١٩) وخير الناس أنفعهم للناس ، وأقربهم من رحمة الله أوسعهم عفوا وأكثرهم راحة في الدنيا أشدهم زهدا لما في أيدي الناس (ثلاثة أقسم عليهم ما نقص مال عبد من صدقة ، ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله بها عزا ، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر) .

(٢٠) والمؤمن يعتز بالله ، ولا يرضى أن يذل نفسه (من أعطى الذلّة من نفسه طائعا غير مكره فليس منا) .

(٢١) ويجب الإعتزاز عند طلب الحاجات ، ومعناه ألا تعمل عملا مع

من تطلب منه لا يقرك الإسلام عليه (اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس ، فإن الأمور تجري بالمقادير) .

(٢٢) ويجب التنزه عما في أيدي الناس مما لاحق لك فيه ، (عليك بالياس مما في أيدي الناس فإنه الغنى ، وإريك والطمع فإنه الفقر الحاضر ، وصل صلاتك وأنت مودع ، وإريك وما يعتذر منه) .

(٢٣) والمؤمن لا يستهين بذنوبه ، ومن أجل هذا يتوب منها قبل أن تغطى بصيرته (إن المؤمن إذا أذنب ذنباً نكثت نكته سوداء في قلبه ، فإن تاب واستغفر نقل قلبه ، وإن لم يتب زادت حتى تعلق قلبه) .

(٢٤) والفاجر لا يعاب بذنبه ، وهذا تصوير لشعور المؤمن والفاجر نحو ذنبيهما (إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه في أصل جبل يخاف أن يقع عليه ، وإن الفاجر يرى ذنبه كذباب وقع على أنفه - فقال به هكذا فطار)
خ ج ٢ الدعوات ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

(٢٥) ومن أهم المبادئ في الإسلام: محاربة الخرافات. فعلى كل مسلم وخصوصاً العلماء منهم ألا يتهاونوا في محاربة كل ما هو دخيل على الدين مما كان معمولاً به في الجاهلية فألغاه الإسلام . ثم عاد إلى أذهان المسلمين بطريق آخر . وتهاون فيه من ينتسبون إلى العلم . ونحن نهيى بكل عالم ألا يستبدل بآخرته ديناه ، وأن يبتعد عن التأويل لتثبيت البدع . وهذا مثل أضربه ليتعظ الجميع :
إذا نذر بعض العامة حيواناً لولى - فن حق هذا الحيوان أن يأكل من زروع الناس ، يخافون من الولي المنذور له إن منعه . فأى فرق بين هذا وبين الفرع المعمول به في الجاهلية ؟ (لافرع ولا عتيرة)^(١) والفرع أول نتاج كانوا يذبحونه لطواغيتهم . والعتيرة تذبح في رجب .

(١) خ ج ٢ (العقيقة) ص ١٢٩ .

(٢٦) ويجب على المسلم أن يجتنب الغرور - فهو لا يدري لعل غيره أحسن عملاً منه (من ظن أنه خير من غيره فقد تكبر) .

(٢٧) ومن أهم مبادئ الإسلام العدل . ومراعاته ، وشعور المسلم بالمسؤولية عن عمله والجزاء عليه (البر لا يبلى ، والإسم لا ينسى ، والديان لا ينام ، وكما تدين تدان) .

تلك إشارات يسيرة اكتفى بها في هذا الموضوع . وقد تعمدت تكرار بعض الأحاديث فيه ، ليزيد الإلتباه إليها . وكما قلت إن كل تعاليم النبي مبادئ .

الموضوع الثلاثون

القصص

(١) وهذا لون من القصص أقدمه للقارىء ليتذوق موضع العبارة فيه - فإن فى القصص عبارة لأولى الألباب ، ما كان حديثا يفترى ، ولكينه حقائق وقعت فى أزمان مختلفة - أفردتها فى باب خاص .

ويعتمد بعض المرشدين والدعاة على القصص . وعيهم فيه أنهم يخلطون بين الصحيح منه وغير الصحيح .

وأول ما ابتدئ به قصة الثلاثة أوردها «رياض الصالحين» ، فى باب المراقبة :

(إن ثلاثة من بنى إسرائيل - أبرص وأقرع وأعمى أراد الله أن يتليهم ، فبعث إليهم ملكا فأتى الأبرص فقال : أى شىء أحب إليك ؟ قال : لون حسن وجلد حسن ويذهب عنى الذى قدزنى الناس فسححه . فذهب عنه قدره وأعطى لونا حسنا وجلدا حسنا . فقال : فأى المال أحب إليك ؟ قال الإبل - أو قال البقر - شك الراوى ، فأعطى ناقة عشراء فقال : بارك الله لك فيها . فأتى الأقرع فقال : أى شىء أحب إليك ؟ قال : شعر حسن ويذهب عنى هذا قد قدزنى الناس فسححه فذهب عنه وأعطى شعرا حسنا . قال : فأى المال أحب إليك ؟ قال : البقر . فأعطى بقرة حاملا قال بارك الله لك فيها . فأتى الأعمى فقال : أى شىء أحب إليك ؟ قال : أن يرد الله إلى بصرى فأبصر الناس فسححه فرد الله إليه بصره . قال : فأى المال أحب إليك ؟ قال : الغنم فأعطى شاة ولدا ، فأنتج هذان وولد هذا ، فكان لهذا وادم من الإبل ، ولهذا وادم من البقر ، ولهذا وادم من الغنم . ثم إنه أتى الأبرص فى صورته وهيبته فقال له : رجل مسكين وابن سبيل قد انقطعت بنى الحبال

فى سفرى فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذى أعطاك اللؤلؤ الحسن والجلد الحسن والمال بغيرا أتبلغ به فى سفرى ؟ فقال : الحقوق كثيرة . فقال له كأتى أعرفك ، ألم تكن أبرص يقدرك الناس ، فقيرا فأعطاك الله ؟ فقال : إنما ورثت هذا المال كإبراهيم عن كإبراهيم . فقال : إن كنت كاذبا فصيرك الله لى ما كنت ، وأتى الأقرع فى صورته وهياته ، فقال له مثل ما قال لهذا ورد عليه مثل ما رد هذا . فقال : إن كنت كاذبا فصيرك الله لى ما كنت ، وأتى الأعمى فى صورته وهياته فقال : رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بى الحبال فى سفرى فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذى رد عليك بصرك وأعطاك المال شاة أتبلغ بها فى سفرى ؟ فقال : قد كنت أعمى فرد الله لى بصرى فخذ ماشئت ودع ماشئت ، فوالله لأجهدك اليوم بشيء أخذته الله عن وجل . فقال : أمسك مالك فإنما ابتليتم فقد رضى الله عنك وسخط على صاحبيك (بخ ج ٢ (بدء الخلق) ص ٤٦ وهكذا يميز المؤمن العارف لنعمة ربه عليه فيستحق رضوانه ، ويبعد الجاحد المنكر للنعمة المخمل بعهدده - يبعد عن الرحمة لى السخط والجحيم .

(٢) (كان ملك فىمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك : لى قد كبرت فأبعث لى غلاما أعلمه السحر ، فبعث لى غلاما يعلمه وكان فى طريقه إذا سلك راهب فقعد لى وسمع كلامه فأعجبه ، وكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد لى ، فإذا أتى الساحر ضربه . فشكا ذلك لى الراهب فقال : إذا خشيت الساحر فقل : حبسنى أهلى . وإذا خشيت أهلك فقل : حبسنى الساحر . فبينما هو على ذلك إذا أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال : اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل ؟ فأخذ حجرا فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب لىك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضى الناس فرماها فقتلها ومضى الناس ، فأق الراهب فأخبره . فقال له الراهب : أى بنى أنت اليوم أفضل منى ، قد بلغ من أمرى ما أرى وإنك

سبتلى ، فإن ابتليت فلا تدل على . وكان الغلام يرى الأكمة والأبرص ويداوى الناس من سائر الأدواء . فسمع جليس للملك كان قد عمى فأتاه بهدايا كثيرة فقال : ما هي لك أجمع إن أنت شفيتنى - فقال : إني لا أشفى أحدا إنما يشفى الله تعالى فإن آمنت بالله تعالى دعوت الله فشفاك ، فأمن بالله تعالى فأتى الملك بجلس إليه كما كان يجلس . فقال له الملك : من رد عليك بصرك ؟ قال : ربى ، قال : أولك رب غيرى ؟ قال ربى وربك الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام ، فجىء بالغلام فقال له الملك أى بنى قد بلغ من سحرك ما تبرىء الأكمة والأبرص وتفعل وتفعل : فقال : إني لا أشفى أحداً إنما يشفى الله تعالى . فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب ، فجىء بالراهب فقيل له : ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار ، فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه ، ثم جىء بجليس الملك فقيل له : ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ، ثم جىء بالغلام فقيل له : ارجع اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغت ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه . فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال : اللهم أكفنيهم بما شئت ، فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشى إلى الملك فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟ فقال : كفانيهم الله تعالى فدفعه إلى نهر من أصحابه فقال : اذهبوا به فاحملوه فى قرقور وتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقدفوه فذهبوا به فقال : اللهم أكفنيهم بما شئت . فأنكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشى إلى الملك فقال : ما فعل أصحابك ؟ فقال : كفانيهم الله تعالى . فقال للملك : إنك لست بقاتلى حتى تفعل ما أمرك به . قال : ما هو ؟ قال : تجمع الناس فى صعيد واحد وتصلبى على جذع ، ثم خذ سهماً من كنانتى ثم ضع السهم فى كبد القوس ثم قل : بسم الله رب الغلام ثم أرمى فإنك إذا فعلت ذلك قتلتنى ، فجمع الناس فى صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهماً من كنانته ثم وضع السهم فى كبد القوس ثم قال : بسم الله رب الغلام ثم رماه فوق السهم فى صدره فوضع يده فى صدره

فأت . فقال الناس . آمناً برب الغلام فأق الملك فقيل له : أريت ما كنت تحذر
قد والله نزل بك حذرک ، قد آمن الناس . فأمر بالأخذ بأفواه الشكك فحدث
وأضرم فيها النيران وقال : من لم يرجع عن دينه فأثجموه فيها أو قيل له إقتحم
ففعولوا حتى جاءت امرأة ومعهاصبي لها فتعاسست أن تقع فيها . فقال لها
الغلام . يا أماه اصبري فإنك على الحق) .

وهكذا يتبلى المؤمنون ويصبرون . وفي النهاية ينصر الله أوليائه ويخذل
أعداءه - لينال كل ما أعدله من جزاء .

(٣) (انطلق ثلاثة نفر من كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه
فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار ، فقالوا : إنه لا ينجيكم من
هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم . قال رجل منهم : اللهم
إنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لأغبق قبلهما أهلاً ولأمالاً فأنسى بي
طلب الشجر يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما فخلبت لهما غبوقهما فوجدتهما
نائمين ، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً ، فلبثا والقدرح على
يدي - أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر - والصبية يتضاغون عند قدمي -
فاستيقظا فشربا غبوقهما : اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا
ما نحن فيه من هذه الصخرة ، فانفرت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه . قال
الآخر . اللهم إنه كانت لي ابنة عم كانت أحب الناس إلى . وفي رواية كنت
أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء فأردتها على نفسها فامتنعت مني حتى أملت
بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني
وبين نفسها ففعلت ، حتى إذا قدرت عليها ، وفي رواية فلما قعدت بين رجلها
قالت : اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحق بحقه ، فانصرفت عنها وهي أحب
الناس إلى وتركت الذهب الذي أعطيتها : اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء
وجهك ففرج عنا ما نحن فيه ، فانفرت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون
الخروج منها . وقال الثالث : اللهم إنى استأجرت أجراً وأعطيتهم أجرهم

غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله أدإلى أجرى فقلت: كل ماترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله لا تستهزى بي، فقلت: لا أستهزى بك فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً: اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأخرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة نفرجوا (يمشون) خ = ١ (الاجارة) ص ١٣٧

فانظر كيف انفرج الكرب وكيف بدأ وانتهى، لقد كانوا يتجولون في الصحراء فألجأتهم السماء إلى مكان يختبرون فيه، فتوسلوا للنجاة بصالح عملهم، فأولهم رد الجميل لمن قدمه إليه، رحم الكبار قبل الصغار، وآثر من هو فناؤه أقرب من غيره، وتغلب على عاطفته بعقله.

وأما الثاني، فاستبد به طيش الشباب وكاد أن يطغيه الغنى، وشجعه على ذلك أنه صار مطلوباً وليس بطالب، ومحتاجاً إليه ومضطرّ لما في يديه؛ ولكن سرعان ما تغلب على نفسه وأنقشعت الغشاوة عن بصيرته (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا، فإذا هم مبصرون)

أما الأخير منهم فقد استؤمن فلم يكن أميناً فحسب بل هو أمين مستثمر. أجرى الله على يديه كسباً، ليبتليه - نفاض المحنة بسلام، وعندما حضر المؤمن سلبه حقه وما تولد منه، كل ذلك من أجل الله الذي عملوا ابتغاء وجهه، ففرج ما بهم من كرب.

(٤) (كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض - فدل على راهب فأناه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة؟ فقال لا، فقتله فأكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال نعم. ومن يحول بينه وبين التوبة؟ إنطلق إلى أرض كذا وكذا فان بها

٤٧

أناساً يعبدون الله تعالى ، فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء . فانطلقت حتى إذا وصل نصف الطريق أتاه الموت ، فاخصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى . وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيراً قط ، فاتاهم ملك في صورة آدمى فجعلوه بينهم - أي حكماً - فقال : قيسوا ما بين الأرضين فأى أيتها كان أدنى فهو له ، فقيسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد ، فقبضته ملائكة الرحمة (بخ ٢٠ بدء الخلق ص ٤٧)

وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ، فلقد أذنب وسأل عبداً ، فاستعظم ذنبه على مغفرة الله أن تتسع له ، فكان ما كان من قتله كذلك ، وسأل آخر ممن يدركون أن رحمة الله وسعت كل شيء - فأرشد وأحس بما للبيئة السيئة من سلطان على ذلك المذنب ، وأشار عليه أن يتحول لبيئة أخرى صالحة ، وأطاع فارا من ذنوبه ، ذاهباً إلى ربه حسب ما أرشده من يفتى عنه ، لكننه لم يصل إلى غايته ، ومن حق كل امرئ أن يسأل عن مصير مثل هذا - أيواخذ ببيته أم بعمله ؟

وبعد المناقشة أعلن أن نية المرء خير من عمله ، وأن الإنسان قد يدرك ببيته أضعاف ما يدرك بعمله ، وفي رواية في الصحيح « فكان إلى القرية الصالحة بشبر فجعل من أهلها ، وفي رواية أخرى في الصحيح « فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدى وإلى هذه أن تقربى وقال : قيسوا ما بينهما ، فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فغفر له ، وفي رواية ثالثة : « ففأى بصدرة نحوها ، .

(هـ) إن امرأة من جبهة أمت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى حبلى من الزنا ، فقالت : يا رسول الله أصبت حداً فأقمه على ، فدعا نبي الله صلى الله عليه وسلم وليها فقال : أحسن اليها فإذا وضعت فاتنى ، ففعل . فأمر بها نبي الله صلى الله عليه وسلم فشدت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجعت ثم صلى عليها ،

فقال له عمر : تصلى عليها يا رسول الله وقد زنت ؟ قال : لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم ، وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله عز وجل .

ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ، أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ونعم أجر العاملين .

وهذه قد ارتكبت حداً ثم جاءت تعترف بذنباراجية تكفيره بأقامة الحد عليها . ومن العدل أن يقام . ومن العدل كذلك ألا يؤاخذ البريء بذنوب غيره . وولد الزنا هو خير أبويه فيحترم ، وليس يشتر أبويه كما قيل - فهما اللذان قد ضيعاه وما من طفل إلا وله حق في الحياة - فلنبحث عن يقوم بتربيته ورعايته . وهذا هو الذي كان . عهد به إلى رجل من صالح المؤمنين بعد أن تأكد صاحب السنه أنه استغنى عن أمه ، ثم قدمت لتوقيع العقاب باذلة نفسها خوفاً من ربها ، وهي تدرك أن من وقع في الذنب فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له .

وانتهت حياتها وبدأت رحمة الله تغمرها بصلاة نبيه عليها وتساءل البعض اليست زانية ؟ ناسين أنها تائبة والتائب من الذنب كمن لا ذنب له .

(٦) (غزاني من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم فقال لقومه : لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبنى بها ولما بين بها ، ولا أحد بنى بيوتاً لم يرفع سقفها ، ولا أحد اشترى غنماً أو خلفات وهو ينتظر أولادها . ففزى فدنا من القرية صلاة العصر أو قريباً من ذلك فقال للشمس : إنك مأمورة وأنا مأمور ، اللهم احبسها علينا ، فحبست حتى فتح الله عليه ، فجمع الغنائم فجاءت - يعني النار - لتأكلها فلم تطعمها

فقال : إن فيكم غلولا فليبإيعنى من كل قبيلة رجل ، فلزقت يد رجل بيده فقال : فيكم الغلول فليبإيعنى قبيلتك ، فلزقت يد رجلين أو ثلاثه بيده فقال : فيكم الغلول — فجاءوا برأس مثل بقرة من الذهب فوضعها فجاءت النار فأكلتها ، فلم تحل الغنائم لأحد قبلنا ، ثم أحل الله لنا الغنائم لما رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا (بخ > ٢ (الخور) ص ٢٨

والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا . وأبرز ما فى القصة أن القائد يشترط على الجند المجاهدين ألا يكون منهم من تتعلق همته بالدنيا فى صورة امرأة أو عقار أو منقولات . وأن يتجردوا لله . فإن هم وصلوا إلى تلك المرتبة من السمو ، فقد حق لهم أن يسووا أنفسهم بأضخم وأكبر ما فى الطبيعة فى أن كلا منهما مأمور . وأن ذلك الإنسان قد يضيق وقته ولا يتسع لما أمر به فيه ، فليلجأ إلى الله ليلهمه فقها يستعين به على تقديم الأولى . ولقد رزق هذا النبى ذلك العقه فغزا وأدى صلاة العصر فى وقتها .

ومن شروط النجاح فى الجهاد ألا يكون فى المجاهد مطمع فى مال ، ولا يفكر فى الحصول عليه من وراء الجهاد أما الغلول أى أخذ من الغنيمة مالا يحل أخذه . ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة . ولما أن يحصل عليه بطريق الغنيمة ولم تحل لأحد غيرنا . وذلك فضل الله يؤتیه من يشاء .

(٧) (بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج — فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان قد بلغ منى . فنزل البئر فإلا خفه ماء ثم أمسكه بقيه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له . قالوا : يا رسول الله إن لنا فى البهائم أجرا؟ فقال : فى كل كبد رطبة أجر) وهكذا من يرحم يرحمه الله . والذين يحسون بإحساس الآخرين هم أحق الناس بالرحمة . وإذا كانت الرحمة بالكلاب تغفر الذنوب ، فكيف الرحمة

— ١١١ —

بالإنسان الذى قست عليه الحياة ولا يجد فيها من يرحمه؟ (١) ، وفى رواية
للبخارى . فشكر الله له ففخر له فأدخله الجنة ، وفى رواية أخرى للبخارى
ومسلم دينا كلب يطيف بركبه قد كاد يقتله العطش إذ رأته بغي من بغايا بني
اسرائيل فنزعت موقها فاستقت له به فسقته ففخر لها به ، خ - ٢٣ (بدء
الخلق) ص ٣٧

(٨) (كنا فى صدر النهار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه قوم
عراة مجتابى النمار أو العباد متقلدى السيوف ، عامتهم بل كلهم من مضر -
فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة . فدخل
ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام ثم صلى ثم خطب فقال : (يا أيها الناس اتقوا
ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة) إلى آخر الآية : (إن الله كان عليكم
رقيباً) والآية الأخرى التى فى آخر الحشر (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
ولتنظر نفس ما قدمت لعد) تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من
صاع بره من صاع تمره - حتى قال - ولوبشق تمره ، فجاء رجل من الأنصار
بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت . ثم تتابع الناس حتى رأيت
كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتهلل كأنه مذهبه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من سن فى الإسلام
سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجرهم
شيئاً ، ومن سن فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها
من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً) .

وكلكم مسئول عن رعيته ، والراعى الصالح هو الذى يأمر لرعيته إن
رآهم فى ضيق من العيش ، ويتهلل وجهه سروراً إن رآهم فى رغد منه . وهو
الذى يسعى لرفع مستواهم لا يتقيد بوسيلة معينة ، ولو كانت جمع التبرعات
لهم - وما على المحسنين من سبيل . ولينفق كل ذى صفة من سعته . وما أنفقتم

(١) خ - ١ (الشرب) ص ١٤٤

(١٨٢ - السنة نظراً)

٢٧٤ -

لئن شئ فهو يخلفه . وصحابة النبي يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ويتبعهم في ذلك المؤمنون وللداعي إلى الخير أو الشر مثل من يتبعونه ويقلدونه .

(٩) لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة : عيسى ابن مريم ، وصاحب جريج وكان جريج رجلاً عبداً فاتخذ صومعة فكان فيها فأتته أمه وهو يصلي - فقالت : يا جريج فقال : يارب أمي وصلاتي فأقبل على صلاته فانصرفت ، فلما كان من الغد أتته وهو يصلي فقالت : يا جريج فقال : أي رب أمي وصلاتي فأقبل على صلاته ، فلما كان من الغد أتته وهو يصلي فقالت . يا جريج فقال : أي رب أمي وصلاتي فأقبل على صلاته فقالت : اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات فتذاكر بنو اسرائيل جريحا وعبادته ، وكانت امرأة بغية يتمثل بحسنها فقالت : إن شئتم لأفتننه . فتمرضت له فلم يلتفت إليها ، فأتت راعياً كان يأوي إلى صومعته فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت : هو من جريج . فأتوه فاستنزروه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه . فقال : ماشأنكم ؟ قالوا : زينت بهذه البغية فولدت منك . قال : أين الصبي ؟ فجاءوا به فقال . دعوني حتى أصلي . فلما انصرف أتى الصبي فطعن في بطنه وقال : يا غلام من أبوك ؟ قال : فلان الراعي . فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا : نبي لك صومعتك من ذهب ؟ قال : لا ، أعيدوها من طين كما كانت . ففعلوا . وبينما جريج صبي يرضع من أمه فر رجل راكب على دابة فارهة وشارة حسنة فقالت أمه : اللهم إجعل ابني مثل هذا - فترك الثدي وأقبل إليه فنظر إليه فقال : اللهم لا تجعلني مثله ثم أقبل على ثديه فجعل يرضع فكاني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحكي ارتضاعه بأصبعه السبابة في فيه فجعل يمصها ثم قال : ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون زينت سرقت ؟ وهي تقول : حسبي الله ونعم الوكيل . فقالت أمه : اللهم لا تجعل ابني مثلها فترك الرضاع ونظر إليها فقال : اللهم إجعلني مثلها . فهناك تراجعاً الحديث فقالت . مر رجل حسن الهيئة فقلت

اللهم لأجعل ابني مثله . فقلت . اللهم لا تجعلني مثله . ومروا بهذه الأمة يضربونها ويقولون زينت سرق؟ فقلت : اللهم لا تجعل ابني مثلها فقلت : اللهم اجعلني مثلها قال : إن ذلك الرجل جبار فقلت : اللهم لا تجعلني مثله وإن هذه يقولون زينت ولم تزن وسرقت ولم تسرق فقلت : اللهم اجعلني مثلها (خ > ٢ (بدء الخلق) ص ٤٤

لقد أنطق هؤلاء الذى أنطق كل شيء وهو خلقهم أول مرة . ولعل هذا من أعظم الدلائل على القدرة - واحد لأب له . وثان أبرا المؤمن من تهمة لصقت به ، والثالث لم يخدم بالظواهر وإن خدع الكبار بها ، ولا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله .

(١٠) (قدم عينه بن حصن فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس ، وكان من النفر الذين يدينهم عمر رضى الله عنه ، وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولا كانوا أو شبانا . فقال عينه لابن أخيه : يا ابن أخى لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لى عليه . فاستأذن له فأذن له عمر رضى الله عنه - فلما دخل قال : هى يا ابن الخطاب : فوالله ماتعطينا الجزل ولا تحمقينا بالعدل . فغضب عمر رضى الله عنه حتى هم أن يوقع به فقال له الحر : يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لتنبه صلى الله عليه وسلم : دخذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهليين ، وإن هذا من الجاهلين . والله ماجاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقافا عند كتاب الله تعالى) .

لقد كان الأمراء يقربون منهم ذوى الرأى ، ليستأنسوا بهم وليتفتعوا بمشورتهم - صارفين النظر عن سن معينة تشتت لإبداء الرأى . فالكبير الجاهل يشفع له الصغير المتعلم عند أمير المؤمنين ويتعرض الأمير لنقد هدام ، ويهم أن يبطش بمبتغى السوء من وراء نقده فيذكر آيات الله فيطأطأ لها رأسه وينحنى لها ظهره وينقاد إليها قلبه . (إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) .

(١١) (كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا أتى عليه أمداد أهل البين

سألهم : أفبكم أوبس بن عامر؟ حتى أتى على أوبس رضى الله عنه فقال له : أنت أوبس بن عامر؟ قال : نعم ، قال : من مراد ثم من قرن؟ قال : نعم ، قال : فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم؟ قال : نعم . قال : لك والدة ، قال : نعم ، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يأتى عليكم أوبس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم : له والدة هو بها برلوا قسم على الله لأبره . فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل . فاستغفر لى ، فاستغفر له . فقال له عمر . أين تريد ؟ قال : الكوفة . قال : ألا أكتب لك إلى عاملها ؟ قال : أكون فى غرباء الناس أحب إلى . فلما كان من العام المقبل حج رجل من أشرفهم فوافق عمر فسأله عن أوبس - فقال : تركته رث البيت قليل المتاع . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يأتى عليكم أوبس بن عامر مع أمداد من أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم ، له والدة هو بها برلوا قسم على الله لأبره ، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل . فأتى أوبساً فقال . إستغفر لى . قال : أنت أحدث عهداً بسفر صالح فاستغفر لى . قال : لقيت عمر؟ قال : نعم فاستغفر له . ففطن له الناس فانطق على وجهه) والأرواح جنود مجندة ، ما تعارف منها ائتلف . وهذا عمر بن الخطاب الذى تنبأ له الرسول أنه أجدر الناس بالإلهام ، وإن يكن فى أمته محدثون فإنه عمر . وهذا أوبس البار العالم العارف لنعم ربه وحقوق أمه ، يتلاقيان فيتعارفان ، ويستغفر لمن يطلب منه لعل الله أن يغفر .

وهذه القصة يجب ألا يغيب عن أذهاننا أنها من تنبؤات النبي ، وأنها فيها عمر وأوبس ، وما أدراك من عمر ومن أوبس ، فمن الخطأ أن نقيس عليها غيرها مما تقطع بتكذيبها القرأين ، ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً .

وفى رواية لمسلم أيضا عن أسير بن جابر رضى الله عنه أن أهل الكوفة

وفدوا على عمر رضى الله عنه وفيهم رجل من كان يستخر بأويس فقال عمر : هل ههنا أحد من القرنيين ؟ فجاء ذلك الرجل فقال عمر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال : (إن رجلا يأتيكم من اليمن يقال له أويس لا يدع باليمن غير أم له ، قد كان به بياض ، فدعا الله تعالى فأذهبه لإلا موضع الدينار أو الدرهم . فمن لقيه منكم فليستغفر لكم) .

وفي رواية له عن عمر رضى الله عنه قال : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن خير التابعين رجل يقال له أويس وله والدة ، وكان به بياض فروه فليستغفر لكم) .

(١٢) (لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة فقالوا : يا رسول الله لو أذنت لنا فنحرننا نواضحننا فأكلنا وادهننا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : افعلوا . فجاء عمر رضى الله عنه فقال : يا رسول الله إن فعلت قل الظهر ، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ، ثم ادع الله لهم عليها بالبركة لعل الله أن يجعل في ذلك البركة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم فدعا بتطعم فبسطه ثم دعا بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجيء بكف تمر ويجيء الآخر بكسرة ، حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال : خذوا في أوعيتكم ، فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملؤوه وأكلوا حتى شبعوا وفضل فضلة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة) .

وهكذا من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين . اقترحوا أن يذبحوا . واقترح الفقيه عمر أن يأتوا بفضل الزاد ليحقق أمرين : المحافظة على الخيل وهى وسائلهم فى الحرب وأهم أسلحتهم فى النضال . والأمر الثانى اكتساب البركة بفضل دعاء النبى وإقامة برهان عملى ، على أن يندل عن طيب نفس وإن كان قليلا فإنه يكفى الكثير ؛ أما رسول الله فهو بالمؤمنين رؤوف رحيم

قبل الإقتراح الأول لإقرار الضرورة ، وقبل إقتراح الفقيه إلتماسا للبركة ،
صلى الله عليه وسلم .

(١٣) (بينما رجل يمشى بفلاة من الأرض فسمع صوتا فى سحابة اسق
حديقه فلان ، فتنحى ذلك السحاب ، فأفرغ ماءه فى حرة فإذا شرجة من
تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله ، فتنبع الماء فإذا رجل قائم فى حديقه
يحول الماء بمسحاته فقال له : يا عبد الله ما اسمك ؟ قال : فلان للإسم الذى
سمع فى السحابة . فقال له : يا عبد الله لم تسألنى عن اسمى ؟ فقال : إنى سمعت
صوتا فى السحاب الذى هذا ماؤه يقول : اسق حديقه فلان لإسمك فما تصنع
فيها ؟ فقال : أما إذا قلت هذا فإنى أنظر إلى ما يخرج منها فأصدق بثلته ،
وآكل أنا وعيالى ثلثا ، وأرد فيها ثلثه) .

هذا هو العدل يعرف للمعطى الحقيق حقه ، فيعطيه للفقراء ، ويعرف
للجهد الإنسانى حقه ، فيأخذ أجر عمله ، ويعرف مالوجوب الاستثمار من
قيمه ، فيستثمر برد البذر إلى أرضه ليعطيه غلة ، (ومما رزقناهم ينفقون)
(ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء
والأرض) .

(١٤) (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إنى مجهود(١) فأرسل
إلى بعض نسائه فقالت : والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء ، ثم أرسل إلى
أخرى فقالت مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك : لا والذى بعثك بالحق
ما عندى إلا ماء . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : من يضيف هذا الليلة ؟ فقال
رجل من الأنصار : أنا يا رسول الله ، فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته :
أكرمى ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفى رواية قال لامرأته :
هل عندك شىء ؟ قالت : لا ، إلا قوت صييانى ، قال : فعليهم بشىء وإذا

(١) أصابه جوع .

أرادوا العشاء فنوميمهم ، وإذا دخل ضيفنا فاطفئ السراج وأريه أننا ناكل .
فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين (١) ، فلما أصبح غدا على النبي صلى الله
عليه وسلم فقال : لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة (خ ج ٢ (فضائل
الصحابة) ص ٦١) ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق
شح نفسه فؤلئك هم المفلحون) تلك أخلاق الصحابة ، وبسبب المضيف ، أما
بيت النبوة فليس فيه شيء لأنه لا على المال يحرص ولا على الجاه يبتغي ، فإذا
لم يتسع للضيف فإنه لم يتخلى عن أن يبحث عن مضيف آخر قام بواجبه ،
وزاد كرمه إلى حد أن كان موضعاً لإلهام النبي به في صورة إعجاب الله جل
شأنه من سخاء عبده .

(١٥) (إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان فرض للمهاجرين
الأوليين أربعة آلاف ، وفرض لابنه ثلاثة آلاف وخمسةائة . فقيل له :
هو من المهاجرين فلم نقصته ؟ فقال : إنما هاجر به أبوه يقول : ليس هو
كن هاجر بنفسه) .

(قاموا بالقسط شهداء لله ولو على أنفسهم ، أو الوالدين والأقربين)
حققوا العدل بين الناس بعد أن ألزموا به أنفسهم ، تنزهوا عن المحاباة
والمحتوية فحضعت لهم جباه الجبابرة ، فرقوا بين أولادهم وسائر المهاجرين
لأمر غير ذى بال فتقصوا أولادهم من أجله .

ما أروع ذلك التهذيب للنفس ! ولا عجب فإن صاحب الأمر
والنهي عمر .

(١٦) عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم :
(هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال : لقد لقيت من قومك ،
وكان أشد ما لقيته منهم يوم العقبة (٢)) إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن

(١) جائعين (أى الزوجين) .

(٢) حين ذهب للطائف .

عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت . فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي وإذا أنا بسحابة قد أظلمتني فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال : إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلم على ثم قال : يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك ، وأنا ملك الجبال ، وقد بعثني ربي إليك لتأمرني بأمرك ؛ فما شئت أطبقت عليهم الأخشبين (١) ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا) خ ج ٢ (بدء الخلق) ص ٣٤ .

والأنبياء أشد الناس بلاء ، لأنهم أكثر الناس مسئولية ، وكلما عظمت المسئولية اشتد الإبتلاء ، وهو لم ينس موقفا من أهل الطائف ردوه فيه أقبح رد ، وكان قد خرج إليهم يستنصر بهم على تساة أهل مكة ، ولم تنتهي الشدة بانهاء الطائف ، فكانت بأساء وضراء أحد . لا يظن ظان أن هناك موقفا كان أشد عليه من أحد ، فأخبر أن موقف الطائف أشد ، والحقيقة أنه تعرض لمواقف عديدة كانت شديدة وقاسية تحملها مؤمنا ، وتخطاها منتصرا وبعد أن أمكنه الله لم يدع على أعدائه ، بل طلب تحقيق أمينته هداية الخلق إلى رب العالمين .

(١٧) إنطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر ، وجاء المشركون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه . فدنا المشركون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض . قال يقول عمير بن الحمام الأنصاري رضى الله عنه : يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض ؟ قال : نعم . قال : بخ بخ . فقال رسول الله صلى الله

(١) الجبلان المحيطان بمكة .

عليه وسلم : ما يحملك على قولك بخ بخ ؟ قال : لا والله . يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها . قال : فإنك من أهلها . فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه ، إنها لحياة طويلة فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل .

إن التأميل في الآخرة هو بضاعة الأنبياء . وهل لأصحاب العقائد وفداة الحق من راحة إلا هناك ؟ .

وبهذه الروح المؤمنة ، وهت صفوف المشركين تحت مطارق هذا الإيمان الزاهد في متاع الحياة الدنيا . وراعهم محمد عليه الصلاة والسلام ، وقد نزل بنفسه إلى ميدان يقاتل أشد القتال ، ومعه أصحابه يشتدون نحو عدوهم لا يباليون شيئا . فانكسرت قریش وأخذها الفزع .

(١٨) (جاء ناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن ابعث معنا رجلا يعلمونا القرآن والسنة ، فبعث إليهم سبعين رجلا من الأنصار يقال لهم القراء فيهم خال (١) حرام ، يقرءون القرآن ، ويتدارسون به بالليل : يتعلمون وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد ، ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفه ، وللفقراء ، فبعثهم النبي صلى الله عليه وسلم فعرضوا لهم فقتلوه قبل أن يبلغوا المسكان . فقالوا : اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضيتنا عنك ورضيت عنا . وأتى رجل حراما خال أنس من خلفه فطعنه برمح حتى أنفذه . فقال حرام : فزت ورب الكعبة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن إخوانكم قد قتلوا وإنهم قالوا : اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضيتنا عنك ورضيت عنا) خ ج ٢ (الحور) ص ١٤ ، ١٥

خرج الدعاة من المدينة حتى بلغوا بئر معونة . وكانوا سبعين من خيار المسلمين يعرفون بالقراء ، يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل ، ويحجون

على هذا النسق الرتيب من جهاد للحياة ورغبة في الآخرة . فلما أمرهم الرسول بالمسير لإبلاغ رسالات الله ، خرجوا وما كانوا يعرفون أنهم - جميعا - يمشون النخلى إلى مصارعهم في أرض انتشر الغادرون في فجاجها .

وحينما انتهى القراء إلى (بئر معونة) بعثوا أحدهم - حرام بن ملحان إلى عامر بن الطفيل رأس الكفر في هذه البقاع ، فأعطاه كتاب النبي الذي يدعوه فيه إلى الاسلام فلم ينظر عامر في الكتاب وأمر رجلا من أتباعه أن يقتال حامل الرسالة ، فما شعرا حرام إلا وطعنته نجلد تخترق ظهره ، وتنفذ من صدره ، وكان هذه الشهادة المفاجئة لاقت رجلا يتسناها من قديم ، فقد صاح حرام على أثر ذلك : فزت ورب الكعبة .

ومضى عامر في غشمه ، قاستصرخ أعوانه ليواصلوا العدوان على سائر القوم ، فانضمت إليه قبائل «رعل» و «ذكوان» و «القارة» فهجم بهم عامر على القراء الوادعين .

ورأى هؤلاء الموت مقبلا عليهم من كل صوب ، فهرعوا إلى سيوفهم يدفعون عن أنفسهم دون جدوى ، إذ استطاع الأعراب الهمج أن يغشوهم في رحالهم ، وأن يستأصلوهم عن آخرهم .

وكان في سرح القراء اثنان لم يشهدا هذه المأساة . منهم عمر بن أمية الضمرى . ولم يعرفا النبأ المحزن ، إلا من أفواج الطير المتوحشه ، تنطلق نحو المسكر محومة حول الجثث الملقاة على الرمل الأعفر ، طاعمة بما تستطيع اختطافه بأظافرهما ومناقرها . قالوا : والله إن لهذه الطير لشأنا . فأقبلا لينظرا فإذا القوم مضرجون في دمائهم . وإذا الخيل التي أصابتهم واقفه .

قال زميل عمرو له : ماذا ترى ؟ قال عمرو : أرى أن نلحق برسول الله نقص عليه الخبر . لكن زميله كره هذا الرأي ، وكان له بين من استشهدوا صديق حميم يدعى المنذر . لذلك أجاب عمرو بن أمية قائلا : ما كنت لأرغب

بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر . وما كنت لأبقى حتى أتص خبره على الرجال . وهجم على الأعراب يقاتلهم حتى قتل .

وأسر عمرو ثم أعتق وعاد إلى المدينة ، حاملا معه أبناء المصاب الفادح . مصرع سبعين من أفاضل المسلمين ، تذكر نكبتهم بنكبة أحد ، إلا أن هؤلاء ذهبوا في قتال واضح ، وأولئك ذهبوا في غدره شائنة .

ومع أن هذه الواقعة توجب على المسلمين أن يتبصروا قبل بعث أى وفد لنشر الإسلام بين القبائل البعيدة والمجاهل المريية ، إلا أن ضرورة بث الدعوة - مهما فدحت النخسائر - جعلت النبي ينظر إلى هذه التضحيات على أنها أمر لا بد منه . كالتاجر الذى يتحمل المخارم الثقيلة حينما من الدهر ، لأن الإنسحاب من السوق بغية تجنّبها - قضاء عليه . فهو يبقى متجملا حتى تهب الريح من جديد ، رخاء تعوض ما فقد . وذلك هو سر استجابة الرسول في إرسال الدعوة .

(١٩) (إن أصحاب الصفة كانوا أناسا فقراء وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال مرة : من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس بسادس أو كما قال ، وأن أبا بكر رضى الله عنه جاء بثلاثة ، وانطلق النبي صلى الله عليه وسلم بعشرة ، وأن أبا بكر تعشى عند النبي صلى الله عليه وسلم ثم لبث حتى صلى العشاء ، ثم رجع فجاء بعد ماضى من الليل ماشاء الله . قالت امرأته : ما حبسك عن أضيافك ؟ قال : أو ما عشيتهم قالت : أبوا حتى تجيء وقد عرضوا عليهم ، قال : فذهبت أنا فاخترت فقال يا غنث ، فجدع وسب ، وقال : كلوا لاهنيثا والله لا أطعمه أبدا ، قال : وأيم الله ما كنا نأخذ من لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها حتى شبعوا وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك ، فنظر إليها أبو بكر فقال لامرأته : يا أخت بنى فراس ما هذا ؟ قالت : لا وقره عيني لهى الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات فأكل منها أبو بكر وقال : فما كان ذلك من الشيطان ، يعنى يمينه ، ثم أكل منها

لقمة ثم حملها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأصبحت عنده . وكان بيننا وبين قوم عهد فضى الأجل فنفر قنا لاثني عشر رجلا مع كل رجل منهم أناس ، الله أعلم كم مع كل رجل ، فأكوا منها أجمعون) خ ج ١ (مواقيت الصلاة) ص ٤٥٥ (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) .

(٢٠) (شكا أهل الكوفة سعدا ، يعنى ابن أبي وقاص رضى الله عنه ، إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه واستعمل عليهم عمارا ، فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن صلى . فأرسل إليه فقال : يا أبا إسحاق إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلى ؟ فقال : أما أنا والله فإني كنت أصلى بهم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأخرم عنها ، أصلى صلاة العشاء فأركد في الأوليين وأخف في الآخرين . قال : ذلك الظن بك يا أبا إسحاق ، وأرسل معه رجلا - أو رجالا - إلى الكوفة يسأل عنه أهل الكوفة فلم يدع مسجدا إلا سأل عنه ، ويثنون معروفًا ، حتى دخل مسجدا لبني عبس فقام رجل منهم ، يقال له أسامة بن قنادة يكنى أبا سعدة ، فقال : أما إذ نشدتنا فإن سعدا كان لا يسير بالسرية ولا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية . قال سعد : أما والله لأدعون بثلاث : اللهم إن كان عبدك هذا كاذبا ، قام رياء وسمعة فأطل عمره ، وأطل فقره ، وعرضه للفتن ، وكان بعد ذلك إذا سئل يقول : شيخ كبير مفتون ، أصابتنى دعوة سعد . قال عبد الله بن عمير الراوى عن جابر بن سمرة : فأنا رأيت بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر ، وإنه ليتعرض للجوازي في الطريق فيغمزهن) (١) .

لعل في هذه القصة العادلة أنموذجا حيا للمسؤولين في وزارة الأوقاف ، الذين يستمعون إلى الأفاكين عن العاملين في المساجد .

ولقد كان عمر حسن الظن بسعد ، ومع ذلك تحرى . وفي هذه كرامة الأولياء ، وإلى أى مدى يستجيب الله دعوة المظلوم ؟

٢٨٥ -

(٢٠) (وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : لما حضرت أحد ، دعاني أبي من الليل فقال : ما أراي إلا مقتولا في أول من يقتل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وإني لا أترك بعدى أعز على منك غير نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن على ديننا فاقض واستوص بأخواتك خيرا ، فأصبحنا فكان أول قتيل ، ودفنت معه آخر في قبره ، ثم لم تطب نفسى أن أتركه مع آخر . فاستخرجته بعد ستة أشهر فاذا هو كيوم وضعت غير أذنه فجعلته في قبر علي حدة) .

وهكذا شعور المؤمنين يخافون على نبيهم أكثر من خوفهم على آبائهم وأبنائهم .

ولا ينسى المؤمن في آخر عهده بالدنيا حقوق الآخرين عليه ، فيوصى بقضائها كالوصية بأولاده ، وهو يعد نفسه غدا للجهاد .

وهكذا يتنبأ الأولياء لأنفسهم ، فكانوا أول الشهداء كما تنبأوا .

ولقد أكرم الله أبا جابر ، فحرم على الأرض أن تأكل جسده ، والله أن يكرم عباده بما يشاء وهو يتولى الصالحين .

خاتمة

وحيث قد انتهينا من ثلاثين موضوعا، استعرضنا فيها قدرا من الأحاديث لنضع يد القارىء على شيء من كنوز السنة الخالدة ولا ندعى الإحاطة بها علما ، ولكن كما قلت - هذه قطوف من الثمر الجنى اقتطفتها من رياض السنة ، والتزمت فيها ذكر الصحيح والحسن .

وأذكر القارىء أنى بشر أخطيء وأصيب ، فأرجو نقدا بناء ، والخير أردت . وماتوفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

وهذه نبذة يسيرة عن علوم السنة ، أقدمها لتمام الفائدة :-

- ١ - المتواتر لا بد أن يستند إلى أحد المحسوسات .
- ٢ - خبر الواحد إن تردد فيه المعدل ردت روايته مالم يعدله غيره .
- ٣ - المسند يطلق على :-
(أ) المتصل المرفوع . (ب) مرويات كل صحابي على حدة .
(ج) الإسناد - أى الرجال .
- ٤ - تعديل الإمام الثقة لخبر الواحد ، أو وجوده في كتاب محترم يقربه من اليقين - أى خبر الواحد .
- ٥ - أصل السند الصحابة والتابعون . ويسمون بالفرد المطلق وهو فرد بكثرة وغريب بقلّة ، ومقابلهما يسمون بالفرد النسبي - وهو فرد بقلّة وغريب بكثرة .
- ٦ - حسن صحيح : إن كان له سندان فعناه حسن وصحيح . وإلا لحسن
- ٧ - حسن غريب يراد به الحسن لغيره .
- ٨ - زيادة راوى الحسن والصحيح مقبولة مالم تخالف الأرجح .
هذه قواعد ذكرتها لأن الدارس للسنة تصادفه هذه التعبيرات فذكرتها للعلم بها . وهذه بعض التعريفات :
- ١ - المحفوظ : رواية الأرجح - عددا أو صفة مخالفا للرجوح الثقة . ومقابله يسمى الشاذ .
- ٢ - المعروف : رواية الأرجح عددا أو صفة مخالفا للرجوح غير الثقة ، ومقابله المنكر .
- ٣ - المتابع : الحديث الذى شارك غيره لفظا أو معنى فى الصحابي . فإن وافقه فى غير الصحابي يسمى شاهد .

- ٤ - المحكم : الحديث الذي لم يعارض . فإن عورض فهو المختلف . فإن
أمكن الجمع جمع ، وإلا فإن أمكن معرفة الناسخ قيل به ، وإلا فإن أمكن
معرفة الأرجح حمل عليه ، وإلا توقفنا فيه .
- ٥ - ١ - المتصل : ما اتصلت سلسلة روايته .
ب - المعلق : ما كان الحذف في أول السلسلة .
ج - المرسل : ما كان الحذف في آخر السلسلة - أى الصحابي .
د - المنقطع : ما كان الحذف في وسط السلسلة - واحد فأكثر
لاعلى التوالى .
٥ - المعضل : ما كان الحذف اثنين على التوالى .
- ٦ - ١ - المنقطع : رواية الراوى عن راو آخر لم يعاصره ولم يلقه .
ب - المدلس : رواية الراوى عن راو عاصره ، ولقيه لكنه لم
يسمع منه .
ج - المرسل الخفى : رواية الراوى عن راو عاصره ، ولم يلقه ولم يسمع
منه . فالفرق بينه وبين سابقه المدلس أن فى التدليس لقاء من غير سماع .
أما المرسل الخفى فليس فيه لقاء ولا سماع .
- ٧ - ١ - الموضوع : مارواه الكذاب .
ب - المتروك : مارواه المتهم بالكذب .
ج - المنكر : مارواه الفاسق ، مخالفا للثقة . ولا بد للسكر من أن
يكون الفسق معروفا .
- د - المجهول : فإنه يبحث عنه ، وتوقف روايته حتى يعدل .
٥ - المبتدع : فإن كان داعيا أو مروجا لبدعته ردت . وإلا قبلت .
٨ - فاحش الغلط وفاحش الغفلة يسمى منكرا . أما سبىء الحفظ
فيسمى شادا . هذا عند قوم .

٤ - المعلل : مارواه الموهوم .

١٠ - المدرج : ما حصل فيه تغيير . فإن كان التغيير في السياق فهو مدرج الإسناد . وإن كان التغيير في المتن فهو مدرج المتن .

١١ - المقلوب : ما حصل فيه تقديم وتأخير .

١٢ - المضطرب : ما استبدل فيه بعض الرواة .

١٣ - ومتصل الأسانيد : زيادة الراوى .

١٤ - المحرف : ما غير فيه الشكل .

١٥ - المصحف : ما غيرت فيه النقط .

١٦ - العالى : ما قلت روايته بالنسبة لسند آخر . ومقابلته النازل . فإن

قلت الرواة بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم فهو العالى علوا مطلقا . وإن

قلت بالنسبة لإمام أو لأحد الكتبت الستة فهو العالى علوا نسبيا . والنازل

كذلك . وكلاهما ينقسم إلى :

موافق - بدل - منساوى - مصافح .

فالموافق : توافق الحديث في سنيين .

والبدل : إبدال أحد الرواة براو آخر ثم اتفاق في باقى السلسلة والمساوى :

كأن يوجد رجال مساوون لرجال السند الآخر . والمصافح : كأن نروى

بسلسلة مساوية لتلييد النسائى .

١٧ - ورواية الأقران ورواية المديج - كأن يروى كل قرين عن قرينه .

ورواية السابق كرواية الكبير عن الصغير ثم يروى آخر لم يعاصر الكبير عن

الصغير ، فيشتركان فى الرواية عن الصغير .

١٨ - المتفق والمفترق : مثل محمد بن عبد الله الأنصارى .

١٩ - والمؤتلف والمختلف مثل : سلام . وسلام . والمتشابه : مثل محمد

ابن عقيل . ومحمد بن عقيل . والمشتبه المقلوب مثل : الأسود بن يزيد ،

وزيد بن الأسود ،

٣٠ - المسلسل : رواية الحديث على نفس الحالة التي روى عليها - كالقبض على اللحية حين الرواية .

شروط التحمل : - التمييز والضبط .

شروط الأداء : - العدالة والضبط .

والتحمل هو سماع الحديث وحفظه . أما الأداء فنقله للغير .

صبيغ التحمل :

١ - السماع . ٢ - العرض .

٣ - الكتابة مقيدة بالإجازة . ٤ - الكتابة مطلقا .

٥ - المناولة مقيدة بالإجازة . ٦ - الإجازة .

٧ - المناولة . ٨ - الإعلام .

٩ - الوصية . ١٠ - الوجادة .

شروط المعدل والمجرح :

١ - العدالة ٢ - التيقظ

٣ - المعرفة بأسباب الجرح والتعديل .

٤ - الدراية النامة بأحوال الرواة .

مراتب التعديل :

١ - لأحد أثبت منه . ٢ - ثقة ثقة .

٣ - ثقة . ٤ - صدوق .

٥ - صدوق له أوهام . ٦ - مقبول .

مراتب الجرح :

١ - لين . ٢ - ضعيف .

٣ - مردود ، ٤ - متروك ، ٥ - كذاب ؛
وعلم الحديث ينقسم إلى :

(١) رواية . (ب) دراية .

ومسائل علم الحديث دراية كلية . أما الرواية لجزئية .

فمثلا - خبر الواحد يجوز العمل به . فإنها قاعدة كلية .

أما إذا قلنا عن حديث منسوب لأبي هريرة إنه ضعيف - فليس معنى هذا الحكم على جميع روايات أبي هريرة بالضعف كما توهم الجبهة الذين يكتبون عن غير علم .

تعريف الرواية : حمل الحديث ونقله وإسناده إلى من عزى إليه بصيغة من صيغ الأداء .

تعريف الدراية : علم يعرف به أحوال السند والمتن من حيث القبول أو الرد .

وقد اهتم المسلمون بالحديث اهتماما لا يقل عن اهتمامهم بالقرآن الكريم وإن كان القرآن في المرتبة الأولى ، فالحديث في المرتبة الثانية .

وخلاصة ما نقله المسلمون متعلقا بدينهم :

١ - القرآن وسائر العبادات .

٢ - الأخبار المتواترة .

٣ - الأحاديث الصحيحة .

٤ - الحديث المقطوع - وهو ما أضيف للتابعي . والموقوف : ما أضيف للصحابي . والمرفوع : ما أضيف للنبي .

٥ - الحديث الذي في سلسلته مجروح أو مجهول . وذلك للبحث عنه وإثبات صحته أو ضعفه .

والحديث إما متواتر أو غير متواتر . والخبر إما أن يكون غير محفوظ
بالقرائن أو محفوظ بالقرائن .

والقرائن إما لتصديقه أو لتكذيبه .

والخبر المحفوظ بقرائن تكذيبه : ما كان مخالفاً للنقول القطعي من
كتاب أو سنة متواترة ، أو مخالفاً للعقل القطعي ، أو للإجماع أو اتفاق على
تكذيبه جمع كثير ، أو سكتوا عن ذكره .

وللمحدثين إصطلاح في معنى الخبر والأثر والحديث والسنة - وكما معان
مقاربة تشمل ما أضيف للنبي أو الصحابي .

شروط الرواية الصحيحة :

١ - الإتصال .

٢ - عدالة الراوى .

٣ - ضبطه .

٤ - عدم شذوذه

٥ - عدم وجود علة .

حكم العمل بخبر الواحد :

ويجوز العمل بخبر الواحد عند الجمهور . وخالفهم الجبائي وله دليلان :

١ - لو جاز العمل به لجاز التعبد به . ولو جاز التعبد به لجاز اجتماع
النقيضين عند التعارض - كتعارض حديثين أحدهما الجهر بالتسمية والآخر
الإصرار بها .

والجواب عن اعتراض الجبائي ودليله : أن نقول للجبائي إن تساويا
وجب الوقف . وإن ترجح أحدهما وجب العمل بالأرجح . وإن علم الناسخ
وجب العمل به .

وإن قال الجبائي بتعدد الحق ، قلنا له نحن مطالبون بما انتهى إليه علمنا ،
وإن كان يقول بوحدته فالإجماع منعقد أن المصيب له أجران والمخطيء
له أجر .

— ٤٩٣ —

الدليل الثاني لإعتراض الجبائي وقوله لا يجوز العمل بخبر الواحد : لو جاز العمل بخبر الواحد لأمكن نقل القرآن به وادعاء النبوة من غير معجزة والعمل به في العقائد وهذا كله لم يحزه الجمهور ، وجوابه : أن القرآن بما تتوافر الدواعي على نقله متواترا . وأن ادعاء النبوة من غير معجزة منقوض بأن الله لم يرسل نبيا إلا أيده بها .

أما العقائد فعلتها ثبتت من أول الأمر مطابقة للواقع فلا يقبل فيها إلا اليقين . وخبر الواحد يفيد الظن .

أما الروايف فقالوا عن العمل بخبر الواحد هو جائز عقلا ، غير واقع شرعا . واستدلوا :

- ١ - قوله : « ولا تقف ما ليس لك به علم ، وجوابه : إما أن تكون خصوصية للنبي صلى الله عليه وسلم ، وإما أن الظن لا يكفيه في الوحي ، وإما أنها منع للشاهد من أن يجزم بالظن ، وإما أن العلم يراد منه الظن .
- ٢ - استدلوا بقوله : « وما يتبع أكثرهم إلا ظانا ، وجوابه : أنها في العقائد أو أنها في الظن الناشئ عن غير دليل . والدليل على العمل بخبر الواحد عمله صلى الله عليه وسلم به حين كان يرسل الدعاء ويعمل بمقتضى أخبارهم ، وهذا ثابت مشهور فلا معنى للمخالفة .

تقسيم التواتر : —

(أ) لفظي : وهو ما اتفقت الروايات على معنى واحد في قصة واحدة

(ب) التواتر المعنوي : ما اتفقت الروايات على معان متعددة في قصص

متباينة — كشجاعته ومروءته ووفائه .

والأول كحديث رفع اليدين في الدعاء — فإنه من التواتر اللفظي . وكلاهما يفيد العلم بالضرورة فلا دخل لبحث المحدث فيه بعد أن ثبت له تواتره .

تعريف : الغريب ما رواه واحد . العزيز ما رواه إثنان : المشهور :
مارواه ثلاثة .

وقد تكون هذه الأقسام صحيحة . وقد تكون ضعيفة .
والضعيف : منه ما يعتبر به وما لا يعتبر به . والمشهور : يفيد طمأنينة
العلم . والعزيز : يفيد أغلب الرأى . والغريب : يفيد الظن .
أما عند ابن رشد : فسنه لا ينكرها إلا كافر ، وأخرى لا ينكرها
إلا زائع ، وثالثة توجب العلم والعمل ، ورابعة توجب العمل .
والمتواتر يفيد العلم بنفسه لا بالقرائن .
وشروط المتواتر :

- ١ - أن يحيل للعقل تواضعهم على الكذب .
 - ٢ - أن يكون المخبرون كثيرين .
 - ٣ - أن يكون سندهم إلى الحس .
 - ٤ - أن تكون الجماعة الكثيرة موجودة في كل طبقة .
- وهذه بعض القواعد والأصول لمعرفة مدى صحة الحديث بناء على
التعبير عنه : -

١ - قول الصحابي أمرنا أو نهينا أو من السنة - فهو من المرفوع
على رأى ابن الصلاح والجمهور . وخالفهم قوم . ولهم دليلان : -
(أ) احتمال أن يكون الأمر غير الرسول .
(ب) عدم التصريح بقول الرسول - وقيل إن قال ذلك أبو بكر فهو
من المرفوع .

٢ - قول الصحابي كنا نفعل ، فإن أضافه إلى زمن النبي فهو من
المرفوع ، وإلا فلا . وقيل إن كان محالاً يخفى على الناس فهو من المرفوع .

وإن قالها التابعى فهل تقرير الصحابة يجعله موقوفاً أو لم يزل مقطوعاً وقف على التابعى .

٣ - تفسير الصحابي إن كان في سبب النزول أو لا مجال للرأى فيه مرفوع .

٤ - قول الصحابي : نزلت الآية في كذا فرأى البخارى أنه مرفوع . وإن كان القائل من أئمة التابعين فرسل مرفوع . وقال ابن حجر قول الصحابي فيما لا مجال للرأى فيه - إن كان لم يأخذ عن أهل الكتاب مرفوع .

٥ - وإن قال الصحابي برفعه مرفوع . وإن حذف الصحابي القائل مرفوع .

ومن المحدثين من يقسم الحديث إلى مقبول أو مردود، وأعترض عليه لأن اصطلاحات المحدثين مختلفة - فمنهم من يجعل الحسن قسماً من الصحيح، ومنهم من لا يجعله قسماً منه .

والصحيح إما لذاته أو لغيره . وهو حديث أصله حسن لكن أيده حديث آخر صحيح فصار الحسن صحيحاً لغيره .

والحسن كذلك : إما لذاته أو لغيره وأصله حديث ضعيف أيده حديث حسن لذاته فصار الحديث الضعيف حسناً لغيره .

والضعيف درجات . كما أن الصحة درجات . فما رواه عدل تام الضبط خال من الشذوذ والعلة متصل الإسناد فصحيح .

أما ما رواه ضعيف الضبط فالحسن . والتجريح من أجل العدالة أخطر من التجريح من أجل الضبط .

وللعلماء اصطلاحات في تعريف الصحيح . أشهرها ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه ، ولا يكون شاذاً ولا معللاً . وهذا تعريف ابن الصلاح .

وعرفه ابن الخطابي بأنه ما اتصل سنده و عدلت نقلته . واعترض عليه بأنه غير مانع .

والمسند له اطلاقات :-

- ١ - المتصل المرفوع . ٢ - ما اتصل إلى منتهاه .
 - ٣ - أنه المرفوع . وقد يراد به المعنى اللغوي وهو ماله سند .
- ولا يخفى أن المسند يطلق على مرويات الصحابة كذلك كما فعل الإمام أحمد .

وقد اعترض على هذه التعريفات :

- ١ - من يقبل المرسل ولا يطلق عليه أنه مسند لأنه سقط منه الصحابي .
 - ٢ - الفقهاء يأخذون بالشاذ والمعلل .
 - ٣ - لا يشمل الحسن إن ترقى .
 - ٤ - المتواتر صحيح وليس صادقاً عليه .
 - ٥ - الشروط المختلف فيها من شهرة الراوى ، وفهمه ، وكثرة سماعه ، وعلمه ، وفقهه ، ولقاؤه بمن روى عنه . وتعدد الرواة كالشهادة .
 - ٦ - عدم الشذوذ يغني عن اشتراط الضبط .
 - ٧ - لم يشترط نفي الإنكار . ٨ - لم يقيد العلة .
- وأجيب عن هذه الاعتراضات :-

الإعتراف الأول : التعريف عند المحدثين . أما عن الإعتراض الثاني فكذلك . والثالث بأن المراد الصحيح لذاته . والرابع أن المتواتر تنطبق عليه الشروط . والخامس يمكن دخول الشروط في التعريف والسادس هو في مقام التوضيح . والسابع الإنكار هو الشاذ عند ابن الصلاح . والثامن إرادة العلة الفادحة .

والصحيح المتفق عليه خمسة :

- ١ - أن يروى عن الصحابي إثنين من التابعين .
 - ٢ - أن يروى عن الصحابي واحد عن واحد .
 - ٣ - أن يروى عن التابعي واحد فقط .
 - ٤ - الغرائب الثقات - واحد عن واحد .
 - ٥ - الإمام عن أبيه عن جده إلى النبي .
- الصحيح المختلف فيه خمسة :-

- ١ - المرسل .
- ٢ - المدلس إن لم يذكر سماعا .
- ٣ - ما أسنده الثقة وأرسله الثقات .

٤ - روايات الثقات غير الحفاظ . ٥ - روايات المبتدعة الحاذقين .
واعترض على الثالث المختلف فيه بوجوده في الصحيحين وكذلك نفس
الإعتراض على الخامس . أما الرابع فادعى الإتفاق عليه .

أما ابن الصلاح فقال : إن توافرت الشروط التي هي في تعريف
الصحيح فتنفق على صحته . وإلا قد اختلفوا حسب نظرتهم لوجود هذه
الشروط . فن أدى أنها موجودة حكم بالصحة .

أما تعريف ابن الصلاح السابق فلا توجه له هذه الاعتراضات لأنه
أراد الصحيح المتفق عليه عند المحدثين .

وحكى النووي أن الطبقات المقبولة :-

- ١ - أئمة الحديث .
- ٢ - من دونهم في الحفظ .

- ٣ - المعتدلون من أهل البدع .

أما الطبقات المردودة :-

- ١ - الكذابون .
- ٢ - من كثر خطوهم .

٣ - أهل البدع المغالون . والمختلف فيها المجهولون .

الصحيح باعتبار تدوينه :

- ١ - ما اتفق عليه البخارى ومسلم . ٢ - ما انفرد به البخارى .
- ٣ - ما انفرد به مسلم . ٤ - ما كان على شرطهما .
- ٥ - ما كان على شرط البخارى . ٦ - ما كان على شرط مسلم .
- ٧ - ما كان على شرط غيرهما .

وشرط البخارى المعاصرة واللقاء . وشرط مسلم فى الراوى أن يعاصر من نقل عنه ولو لم يلقه .

ومن المحدثين من اعترض على هذا الترتيب . ووجهة نظرهم : لم يشمل الكتب الستة . وأجيب بأن تخرىج الكتب الأربعة لا يعنى أنه صحيح لعدم التزامهم بإخراجه . ففيها غير الصحيح . أى الكتب الأربعة .

ما يفيد الحديث الصحيح :

الصحيح من حيث هو يفيد ترجيح الصدق على الكذب ، وهو المعروف بالظن وهذا رأى الجمهور . وحكى عن بعضهم أنه يفيد القطع . ونقل عن بعض الشافعية إن كان فيه إمام أفاد القطع ، وإلا فلا . وقال ابن الصلاح ما فى الصحيحين يفيد القطع إلا ما استدرك عليهما .

أدلة الجمهور :

- ١ - جواز الخطأ والنسيان على الثقة .
 - ٢ - لو أفاد القطع من غير قرينة للزم .
- (أ) كونه عاديا فيطرد .
- (ب) اجتماع النقيضين عند تعارض العدلين .
- ٣ - وجوب تخطئة المجتهد المخالف له .

٤ — عند معارضته للتواتر .

٥ — امتناع التشكيك بما يعارضه .

وهذا كله غير مسلم . فثبت أنه يفيد الظن كما قال الجمهور . وللقائلين إفاذته القطع أدلة لا تخول من اعتراضات عليها . واختار الغزالي أنه إذا اقترن بالقرائن فقد يفيد العلم . ونوقش بأن القرائن هي التي أفادت القطع لانفس الخبر .

وثانيا : لو أفاد لكان كل خبر آحاد اقترن بالقرائن أفاد القطع .

وأجاب الغزالي أن الدعوى هي أن القرينة مع الخبر قد تفيد القطع لا أن كل خبر معه قرينة يفيد القطع .

ثالثا : بما اعترض به على الغزالي كيف نفرق بين ما أفاد العلم وما لا يفيد ؟

وأجاب بأنه إذا حصل العلم أيقنا أن الخبر المحفوف بالقرينة هو الذي أحدث هذا العلم .

وقال ابن حجر الخبر المشهور الذي معه القرينة يفيد العلم النظري . وبعضهم قال إن الخلاف لفظي . فمن قال بالظن أراد العلم النظري . ومن قال بالقطع لم يرد العلم الضروري . والحق بعد هذا كله هو هل الخبر مع القرينة التي أفادت القطع له دخل في الإفادة بأن يكون جزء علة ، أو شرطا في إفادة القطع ، أو لا ؟

والصحيح إذا كانت القرينة مثبتة لمضمون الخبر ، فإن كانت قطعية فلا دخل للخبر في الإفادة . وإن كانت غير قطعية فمعها يبقى احتمال عدم ثبوت مضمون الخبر . وكذلك عدم ثبوت مضمون الأخبار . وهنا لا يفيد القطع . أما إن كانت القرائن على صدق الخبر وهي قطعية كان إخباره مفيد للقطع . وهذا الكلام في غير المنصوم من الأنبياء والإجماع . لأن خبرهما قطعي . ومن القرائن المحتفة بالخبر ما أخرجه الشيخان ، أو الخبر المشهور ، أو خبر الأئمة العدول . فإن ذكر الأئمة لهذا الخبر قرينة حافة بالخبر .

أشهر مؤلفات الحديث :

الكتب الستة . وصحيح ابن خزيمة ، وابن حبان ، ومستدرک الحاكم .
ومسند أحمد .

ويقدم ابن خزيمة على ابن حبان :

١ - لدقة تحريره فكثيرا ما يقول إن صحيح الخبر .

٢ - إن ابن حبان يروى عن المجهول الذى يروى عن ثقة ، ويروى عن ذلك المجهول ثقة . وهو أصح من الحاكم لأن الحاكم يتساهل . وليست الكتب الستة فى درجة واحدة . فالبخارى ثم مسلم فأبو داود . والفرق بينهما :

١ - إن التفاوت عند مسلم فى الرجال . أما عند أبي داود فى المتن .

٢ - فى أبي داود ما فيه وهن غير بين . وليس كذلك فى مسلم .

٣ - الطبقة الثالثة عند مسلم يجعلها من المتابعات ، ولا كذلك أبو داود .

٤ - إن مسلم يلتزم الصحيح ، وأبو داود لم يلتزم .

ثم النسائى ، والترمذى .

والفرق بين طبقات رجال النسائى وأبي داود من جهة وطبقات الترمذى

من جهة أخرى :

أن الأولين لم يسلم رجالهم من غوائل الجرح والتعديل . أما طبقة الترمذى فكذلك ولكن قلت ممارستهم للزهرى النابغى . وامتاز البخارى بفقته تراجمه . وأبو داود فى جمعه الأحكام . والترمذى فى صناعة الحديث . والنسائى فى أدق هذه الصناعة . وهناك مستخرجات على الصحيحين ولها فوائد :

١ - ليكون الإسناد أوقع .

٢ - زيادة الصحيح .

٣ - كثرة الطرق للترجيح عند المعارضة .

٤ - توضيح عن اختلط عليهم .

- ٥ - سماع المدلس الراوى بالضعفة .
٦ - توضيح المبهم .
٧ - تسمية المهمل .
٨ - إزالة العلل .
- وقال ابن دقيق العيد : إن كنت في مقام الرواية فقيّد بما تروى عنه من الكتب . وإن كنت في مقام الاحتجاج فيكفيك الإطلاق .
- ويرى ابن الصلاح أنه في هذه العصور لا تتجاسر على تصحيح ما لم يسبق تصحيحه . وخالفه النووي .

ودليل ابن الصلاح تصور المهمل وزيادة الجسارة ، واهتمام الأئمة المتقدمين ووجود مستدرك الحاكم الكبير .

ولم يفرق ابن الصلاح بين عدم التصحيح وعدم التحسين في عصرنا . أما للنووي فقد أجاز التصحيح والتحسين من باب أولى . وكذلك منع ابن الصلاح القول بالتضعيف أو بالوضع في زمننا ، وتوقف في القول بالفرد والغرابة .

والحديث الضعيف الذي لا يجبر ما كان فيه الخستان : الستر والغفلة .
أما ما كان فيه أحدهما ، أو كان ضعفه بسبب انقطاع فإنه يجبر بشروط :

١ - خلوه من الشذوذ والنسكاراة .

٢ - أن يكون المقوى له صالحا للإعتبار .

ويجب العمل بالحديث الحسن . كما يجب العمل بالحديث الصحيح .

ورواية البخارى المعلق بصيغة يروى : إما لأنه يرويه بالمعنى ، أو هو على غير شرطه ، أو ضم إليه ما لم يصح ، أو يكون حسنا ، أو ضعيف نبه عليه أم لا .

والجمهور لا يحتجون بالمرسل لاحتمال أن يكون في المحذوف شيء ، ولقوله تعالى : (فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين) الآية .
ومن السنة : تسمعون ويسمع منكم ويسمع عن منكم . وقال مالك

وأبو حنيفة وأحمد : يحتج به مع قليل من الاحتراز . وقال الشافعي : يحتج به إن كان المرسل من كبار التابعين وأيد . وقال ابن الصلاح حكم المرسل كالضعيف يحتج به إن تعضد . وزاد الرازي في المعتضد أن يكون مساويا للمرسل . وزاد الأصوليون أن يوافقه قياس أو عمل مشهور . ومرسل الصحابة يحتج به على الرأي الراجح .

وابن الصلاح والنووي يسويان بين المرسل الخفي والمدلس .
والتدليس أقسام :

- ١ - تدليس القطع : أن يدلس من غير ذكر أداة .
- ٢ - تدليس التجويد أو التسوية : أن يحذف الضعيف ويروى عن فوفه لكونه ثقة .
- ٣ - تدليس العطف : كأن يروى عن فلان ولم يسمه ولم يسمع منه .
- ٤ - تدليس السكوت : كأن يقول سمعت ثم يسكت .
- ٥ - تدليس التورية : كأن يقول سمعته ثم يروى حديثاً آخر .
- ٦ - تدليس الاستدراك : كأن يقول سمعت من عبد الرحمن من أبيه وهو سامع من أبيه فقط .

وهذه الأنواع من التدليس في الإسناد .

وقسم الحاكم المدلسين إلى .

- ١ - من لم يميز بين ما سمع وبين ما لم يسمع .
 - ٢ - من يدلس ثم يعترف بالتدليس إن سئل .
 - ٣ - من دلس عن مجهول .
 - ٤ - من دلس ولكن عمن سمع منه .
 - ٥ - من دلس عمن يره .
 - ٦ - من يصف شيخه بغير المشهور به .
- وفي الإحتجاج بالمدلس خلاف وتفصيل في الصيغ والرجال وما عرف
هن المدلس من روايته عن الثقات ،

أنواع الموضوع :

إما كلام الواضع ، أو يأخذ كلام غيره ، أو يجعل للحديث الصحيح سنداً صحيحاً .

هذا قليل من كثير ، ذكرته لعموم الفائدة ، ولأن النظرات في السنة يجب أن تكون في علم الدراية ، ولا تختصر على علم الرواية ، واخترت لما الخاتمة كي لا يصد العامة عن الكتاب لمطالعته لما لا يدركون ، وأخطاب به الذين يتحدثون عن السنة من غير علم ، يحسبوننا سهلة ، وأنها مجرد نقل حديث من كتاب - تلك دراستهم .

والأمر أعمق من هذا وأدق ، وإذا كانت الفلسفات الحديثة والمنطق الجديد يعتمدان على الملاحظة والتجربة - ففي علوم الحديث هذا المنهج الدقيق ، الذي زاد عن منهج الفلاسفة دراسة نفسية لأحوال الرواة ، من غير تتبع لعوراتهم ، ولا تجسس عليهم بطريقة غير مشروعة .

فإلى المتحدثين عن السنة أن يدرسوا قبل أن يتحدثوا ، ومن الإثم أن ينقل حديث من كتاب فقه - إلى أنه منقول من كتاب حديث - فالسنة كتبها ، ولفقه مراجعه ، وما يقبله الفقيه من حديث قد لا يقبله المحدث كما سبق .

وإلى كل منصف أن يبصرني بما يجده من خطأ في هذا الكتاب ، وليس في العلم كبير ، وفوق كل ذى علم عليم .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه .
والمهتدين بهديه ، أولئك حزب الله ، ألا إن حزب الله هم المفلحون .

وقد كان الفراغ منه يوم ٢٠ رمضان سنة ١٣٨٧ هـ ، الموافق ٢١ ديسمبر سنة ١٩٦٧ م ، جمع فيه ألف ومئتا وإثنى عشر حديثاً .

د ، محمد عبد المنعم محمود القيبي
مدرس بكلية أصول الدين

(محتويات الكتاب)

رقم الصفحة	
٤	١ - النبي صلى الله عليه وسلم
٢٨	٢ - الله
٥٠	٣ - الدعاء
٥٨	٤ - تنبؤات
٦٧	٥ - الرؤيا
٦٨	٦ - الأولياء
٧٢	٧ - العلم
٧٩	٨ - الأسرة
٩٢	٩ - حقوق الأقارب
٩٥	١٠ - الرحمة
٩٨	١١ - الصبر
١٠٣	١٢ - الأمانة
١٠٤	١٣ - التوبة
١٠٥	١٤ - الحكم
١١٥	١٥ - الصلاة ومقدماتها
١٣١	١٦ - الزكاة
١٣٦	١٧ - الصوم
١٣٨	١٨ - الحج
١٤٢	١٩ - الجهاد
١٥٢	٢٠ - القرآن
١٥٧	٢١ - الكذب
١٥٩	٢٢ - الجزاء

- ٣٠٤ -

رقم الصفحة

١٧٣

١٧٨

١٨٤

٢٠٩

٢٢٥

٢٣٩

٢٥٩

٢٦٥

٢٨٥

٢٣ - الأدب

٢٤ - الموت وأحكامه

٢٥ - كياسة

٢٦ - العدل

٢٧ - على هامش المعاملات

٢٨ - اجتماعيات

٢٩ - مبادئ

٣٠ - القصص

ثم خاتمه في علوم الحديث

(تم الكتاب بحمد الله)

